البلاغة الواضحة

البيان والمعاني والبديع

للمدارس الثانوية

وفقاً للمنهاج الحديث الذى أقرته وزارة التربية والتعليم

تأليف

علي الجارم و مصطفى أمين

١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م

دار المعارف بمصر

البلاغة الواضحة

البيان والمعانى والبديع

للمدارس الثانوية

وفقاً للمنهاج الحديث الذى أقرته وزارة التربية والتعليم

تأليف

على الجارم و مصطفى أمين

(الطبعة السابعة عشرة) ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٤ م

حسن يوسف اللويشي

دار المعارف بمصر

عيسى يوسف الدويشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد ومَنْ والاه ، وبعد فهذا كتابٌ وضَعْناه فى البلاغة ، واتجهْنا فيه كثيرًا إلى الأدب ، رجاءَ أَن يَجْتَلِيَ الطُّلَّابُ فيه محاسنَ العربية ، ويَلْمَحُوا ما فى أَساليبها من جلال وجمال ، ويَدْرُسُوا من أَفانين القول وضروب التعبير ، ما يَهَبُ لهم نِعْمَةَ الذَّوْق السليم ، ويُرَبِّى فيهم ملكةَ النَّقْد الصحيح ، وأَملْنَا أَن يكون لعملنا هذا شأْنٌ فى إِحياءِ الأَدب ، وتَوْجِيهِ أَذهان المعلمين والطُّلاب إلى هذه الطريقة التى ابتكرناها فى دراسة البلاغة. ولَعلنا نكون قد وُفِّقْنا إلى ما قَصَدْنا إليه ، واللهُ خَيْرُ مُسْتعان.

مُقَدِّمة

الفصاحة ـ البلاغة ـ الأُسلوب

الفَصاحة : الظهور والبيان ، تَقُول : أَفْصَحَ الصُّبْحُ إذا ظَهَرَ . والكلامُ الفصيحُ ما كان واضحَ المعنى ، سَهلَ اللفظِ ، جَيِّدَ السَّبك . ولهذا وجَب أن تكون كلُّ كلمةٍ فيه جاريةً على القياس الصَّرفى[1] ، بينةً فى معناها ، مفهومةً عَذْبةً سَلِسة .

وإنما تكونُ الكلمة كذلك إذا كانت مأْلوفَةَ الاستعمال بَينَ الناهين من الكتاب والشعراء ، لأَنها لم تَتَداولها أَلسِنَتُهم ، ولم تَجْرِ بها أَقلامهم ، إلا لمكانها من الحُسْن باستكمالها جميعَ ما تقدمَ من نُعوت الجوْدة وصِفات الجمال .

والذوقُ السليمُ هو العُمْدَةُ فى معرفةِ حُسن الكلمات وسَلاسَتِها ، وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ؛ لأَن الأَلفاظَ أصواتٌ ، فالذى يطْرَبُ لصَوْت البُلبُل ، ويَنْفِر من أَصوات البُوم والغِرْبان ، يَنْبُو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبةً مُتَنَافِرَ الحروف[2] . أَلا ترى أَن كلمَتَى «المُزْنة» و «الدِّيمة» للسحابة المُمْطِرة ، كلتاهما سَهلَة عذْبَةٌ يسكن إليها السمع ، بخلاف كلمة «البُعَاق» التى فى معناهما ؛ فإنها قبيحة تَصُكُّ الآذان . وأَمثال ذلك كثير فى مُفْردات اللغة تستطيع أَن تُدْركه بذَوْقك .

* * *

---

(١) فقول المتنبى :

فلا يُبرِم الأمر الذى هو حالل ولا يُحلِّل الأمر الذى هو يبرم

غير فصيح ؛ لأنه اشتمل على كلمتين غير جاريتين على القياس الصرفى ، وهما حالل ، ويحلل ، فإن القياس حال ويحل بالإدغام . (٢) تنافر الحروف : وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم المكتسب بالنظر فى كلام البلغاء وممارسة أساليبهم .

(١) ويشترط فى فصاحة التركيب فوْقَ جَريانِ كلماته على القياس الصحيح وسهولتِها أَن يسلمَ من ضَعفِ التأْليفِ ، وهو خروج الكلام عن قواعد اللغة المطردَة كرجوع الضمير على متأَخر لفظاً ورتبة فى قول سيدنا حَسانَ رضى الله عنه[١] :

ولو أَنَّ مَجدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ واحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِما[٢]

فإن الضميرَ فى «مَجده» راجع إلى «مُطعِما» وهو متأَخر فى اللفظ كما ترى ، وفى الرتبة لأَنه مفعول به ، فالبيت غير فصيح .

(٢) ويشترط أَن يسلم التركيب من تنافر الكلمات ، فلا يكونُ اتِّصالُ بعضها ببعض مما يُسبِّب ثِقَلَها على السمع ، وصُعوبةَ أَدائها باللسان ، كقول الشاعر :

وقَبْرُ حربٍ بِمكانٍ قَفْرُ وليْسَ قُرْبَ قَبرِ حَربٍ قَبرُ[٣]

قيلَ إن هذا البيتَ لا يَتَهيَّأُ لأَحد أَن يُنْشِدَهُ ثلاثَ مراتٍ متواليات دونَ أَن يَتَتَعْتَعَ[٤] ، لأَن اجْتماعَ كلماته وقُربَ مخارج حروفها ، يحدِثان ثِقلاً ظاهرًا ، مع أَن كل كلمة منه لو أُخذت وحدها كانت غير مُستكْرهةٍ ولا ثقيلة .

(٣) ويجب أَن يسلم التركيب من التَّعقيد اللفظى ، وهو أَن يكون الكلام خَفِيَّ الدلالة عَلَى المعنى المراد بسبب تأْخير الكلمات أَو تقديمها عن مواطنها الأَصلية أَو بالفصل بين الكلمات التى يجب أَن تتجاورَ ويتَّصِلَ بعضها ببعض ، فإذا قلت : «ما قرأَ إلَّا واحدًا محمدٌ معَ كتاباً أَخيه»

---

(١) هو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر . قيل إنه عاش ١٢٠ سنة ، ٦٠ فى الجاهلية و ٦٠ فى الإسلام ، وتوفى سنة ٥٤ هـ .

(٢) هو مطعم بن عدى أحد رؤساء المشركين ، وكان يذب عن النبى صلى الله عليه وسلم . ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان أو شرفه سبباً لطول حياته وخلوده فى هذه الدنيا ، لكان مطعم بن عدى أولى الناس بالخلود ، لأنه حاز من المجد والسؤدد ما لم يحزه غيره . (٣) البيت من الرجز ، ولا يعرف قائله ، ولعله مصنوع . (٤) تتعتع فى الكلام : تردد فيه من حصر أو عى .

كان هذا الكلام غيرَ فصيح لضعْفِ تـأْليفه ، إذ أَصله «ما قرأَ محمدٌ مع أَخيه إلا كتاباً واحدًا » ، فقُدِّمت الصفة على الموصوف ، وفُصل بين المتلازمين ، وهما أَداةُ الاستثناء والمستثنى ، والمضافُ والمضافُ إليه . ويشبه ذلك قول أَبي الطِّيب المتنبي[1] :

أَنَّى يَكونُ أَبا البَرِيَّةِ آدمٌ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنتَ مُحَمَّدُ؟[2]

والوضع الصحيح أَن يقول : كيف يكون آدم أَبا البرية ، وأَبوك محمد ، وأَنت الثقلان ؟ يعني أَنه قد جَمَعَ ما في الخليقة من الفضل والكمال ، فقد فَصَل بين المبتدأ والخبر وهما « أَبوك محمد » ، وقَدَّم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللبس في قوله « والثقلان أَنت » ، على أَنه بعد التعسف لم يسلم كلامُه من سُخف وهَذَر .

(٤) ويجب أَن يسلم التركيب من التعقيد المعنوى ، وهو أَن يَعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية ، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذى يُريده ، فيضطرب التعبير ويلتبس الأَمر على السامع . مثال ذلك أَن كلمة اللسان تُطلَق أَحياناً ويُراد بها اللغة ، قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ » أَى ناطقاً بلغة قومه ، وهذا استعمال صحيح فصيح ، فإذا استعمل إنسانٌ هذه الكلمة في الجاسوس ، وقال : « بثَّ الحاكم أَلسنته في المدينة » كان مخطئاً ، وكان في كلامه تعقيدٌ معنوى ، ومن ذلك قول امرئ القيس[3] في وَصْفِ فرَس :

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيفانةً كَسا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنتشر[4]

---

(١) أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين الشاعر الطائر الصيت ، كان من المطلعين على غريب اللغة ، وشعره غاية في الجودة ، يمتاز بالحكمة وضرب الأمثال وشرح أسرار النفوس ، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة سنة ٣٠٣ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٤ هـ . (٢) الثقلان : الإنس والجن ، والبيت من قصيدة طويلة في مدح شجاع بن محمد الطائى . (٣) هو رأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى الافتنان في أبواب الشعر وضروبه ، ولد سنة ١٣٠ ق هـ ، وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وتوفى سنة ٨٠ ق.هـ ، وله المعلقة المشهورة . (٤) الروع : الفزع ، والسعف جمع سعفة : وهى غصن النخل .

الخَيْفانةُ فى الأَصل الجرادة ، ويريد بها هنا الفرس الخفيفة ، وهذا لا بأْس به وإن كان تشبيه الفرس بالجرادة لا يخلو من ضعف ، أما وصف هذه الفرس بأَن شَعر ناصيتها طويلٌ كَسَعف النخل يُغطِّى وجهها ، فغير مقبول ؛ لأَن المعروف عند العرب أَن شعرَ الناصية إذا غَطَّى العينين لم تكن الفرس كريمة ولم تكن خفيفة . ومن التعقيد المعنوى قول أَبى تمَّام[1] :

جَذَبتُ نَداهُ غدوةَ السَّبتِ جَذْبةً فخرَّ صَريعاً بينَ أَيدِى القصائد[2]

فإنه ما سكتَ حتى جعل كرم ممدوحه يَخرُّ صريعاً وهذا من أَقبح الكلام .

* * *

أَما البلاغةُ فهى تأْديةُ المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة ، لها فى النفس أَثر خلاب ، مع ملاءمة كلِّ كلام للموطن الذى يُقالُ فيه ، والأَشخاص الذين يُخاطَبون .

فليست البلاغةُ قبلَ كل شىء إلّا فنًّا من الفنون يَعْتمِد على صفاء الاستعداد الفِطرى ودقة إدراك الجمال ، وتبَين الفروق الخفية بين صنوف الأَساليب ، وللمرانة يدٌ لا تُجحَد فى تكوين الذوق الفنِّى ، وتنشيط المواهب الفاتِرة ، ولا بد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأَدب ، والتَّملؤ من نَميره الفياض ، ونقدِ الآثار الأَدبية والموازنة بينها ، وأَن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسناً وبقبْح ما يَعُدُّه قبيحاً .

وليس هنالك من فرق بين البليغ والرَّسام إلا أَنَّ هذا يتناول المسموع من الكلام ، وذلك يُشاكل بين المرْئى من الأَلوان والأَشكال ، أَما فى غير ذلك فهما سواء ، فالرَّسام إذا همّ برسم صورة فكَّر فى الأَلوان الملائمة لها ، ثم فى

---

(١) أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور . كان واحد عصره فى الغوص وراء المعانى وفصاحة الشعر وكثرة المحفوظ ، وتوفى بالموصل سنة ٢٣١ هـ .

(٢) الندى : الجود . وخر صريعاً : سقط على الأرض .

تأليف هذه الألوان بحيث تختلب الأبصار وتثير الوجدان ، والبليغ إذا أراد أن يُنْشئ قصيدة أو مقالة أو خطبة فكّر فى أجزائها ، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع ، وأكثرها اتصالاً بموضوعه . ثم أقواها أثراً فى نفوس سامعيه وأروعها جمالاً .

فعناصر البلاغة إذاً لفظٌ. ومعنًى وتأليفٌ للألفاظ يَمْنَحُها قوة وتأثيراً وحُسْناً . ثم دقةٌ فى اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنَّزْعةِ النفسية التى تَتَملَّكهم وتُسَيْطِرُ على نفوسهم ، فَرُبَّ كلمة حَسُنتْ فى موطن ثم كانت نابية مُسْتكْرَهةً فى غيره . وقديماً كَرِهَ الأُدباءُ كلمة « أيضاً » وعَدُّوها من ألفاظ العلماء فلم تَجرِ بها أقلامهم فى شعر أو نثر حتى ظَهَرَ بينهم من قال :

رُبَّ ورْقَاءَ هَتُوفٍ فى الضُّحا ... ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فى فَنَنِ[1]

ذَكَرَتْ إلفاً ودهْرًا سَالِفاً ... فَبكَتْ حُزناً فَهاجتْ حَزَنى[2]

فَبكائى رُبَّما أَرَّقها ... وبُكاها ربَّما أَرَّقَنى[3]

ولَقدْ تَشْكو فَمَا أَفْهمُها ... ولقدْ أشكو فَما تَفهمُنى

غيْرَ أنّى بالجوَى أَعْرِفُها ... وهْىَ «أيضاً» بالجوَى تعْرِفُنى[4]

فوَضعَ « أيضاً » فى مكان لا يتَطلب سواها ولا يتَقبَّل غيرها ، وكان لها من الرَّوْعة والحُسن فى نفس الأديب ما يَعْجِزُ عنها البيان .

ورُبَّ كلام كان فى نفسه حَسَناً خلاباً حتى إذا جاء فى غير مكانه ، وسقَطَ فى غير مَسقَطِه ، خرج عن حدِّ البلاغة ، وكان غَرَضاً لسهام الناقدين .

---

(١) الورقاء : الحمامة فى لونها بياض إلى سواد . والهتوف : كثيرة الصياح . والشجو : الهم والحزن . والصدح : رفع الصوت بالغناء ، والفنن : الغصن . (٢) الإلف : الأليف.
(٣) الأرق : السهر ، وأرقها : أسهرها . (٤) الجوى : الحرقة وشدة الوجد .

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي لكافور الإخشيدى[1] فى أول قصيدة مدحه بها :

كَفَى بِكَ داءً أَن ترى الموتَ شافيا   وحَسْبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانيا[2]

وقوله فى مدحه :

وما طرَبِى لمَّــا رأَيتُك بِدْعــةً   لقد كنتُ أَرْجو أَن أَراك فأَطْرَبُ

قال الواحِدىُّ[3] : هذا البيتُ يشبه الاستهزاءَ فإنه يقول : طَرِبتُ عند رؤيتك كما يَطرَبُ الإنسان لرؤية المضحكات . قال ابن جِنِّى[4] : لما قرأت على أَبي الطيب هذا البيت قلتُ له : مَا زِدتَ على أَن جعلت الرجل قردًا ، فَضَحِك . ونرَى أَن المتنبي كان يَغْلِى صَدرُه حِقدًا على كافور وعلى الأَيام التى أَلجأَته إلى مدحه ؛ فكانت تَفر من لسانه كلماتٌ لا يستطيع احتباسَها ، وقديماً زَلَّ الشعراءُ لمعنى أَو كلمة نَفَّرت سامعيهم ، فأَخرجت كلامهم عن حد البلاغة ، فقد حَكَوا أَن أَبا النجم[5] دخل على هشام ابن عبد الملك وأَنشده :

صَفْراءُ قد كادت ولمَّا تَفْعَلِ   كأَنَّها فى الأُفْقِ عيْنُ الأَحوَل[6]

---

(١) كافور الإخشيدى : هو الأمير المشهور صاحب المتنبى ، وكان عبداً اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه وأعتقه ، فترقى عنده ، وما زالت همته تسمو به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ ، وكان مع شجاعته فطناً ذكياً حسن السياسة ، وتوفى بالقاهرة سنة ٣٥٧ هـ . (٢) كفى بك : أى كفاك فالباء زائدة ، والمنايا : جمع منية وهى الموت ، والأمانى : جمع أمنية وهى الشىء الذى تتمناه ؛ يخاطب أبو الطيب نفسه ويقول : كفاك داء رؤيتك الموت شافياً لك ، وكفى المنية أن تكون شيئاً تتمناه . (٣) الواحدى : مفسر عالم بالأدب ، مولده ووفاته بنيسابور ، وكتبه البسيط والوسيط والوجيز فى التفسير مخطوطة ، وشرحه لديوان المتنبى مطبوع توفى سنة ٤٦٨ هـ . (٤) ابن جنى : هو من أئمة النحو والعربية ولد فى الموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . ومن مؤلفاته الخصائص فى اللغة ؛ وكان المتنبى يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى . (٥) أبو النجم : هو الفضل بن قدامة ، وهو من رجال الإسلام ، والفحول المتقدمين فى الطبقة الأولى منهم ، وله مع هشام بن عبد الملك أخبار طويلة ؛ وكانت وفاته آخر دولة بنى أمية . (٦) قيل هذا البيت فى وصف الشمس ، والأحول : من بعينه حول ، وهو ظهور البياض فى مؤخر العين ، ويكون السواد من قبل الماق .

وكان هشام أَحْوَل فأَمر بحبسه .

ومدح جرير[١] عَبْدَ الملك بْنَ مَرْوان بقصيدة مطلعها :

«أَتَصْحُو أَمْ فؤَادُكَ غيْرُ صاحٍ» فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له : بل فؤادك أنت .

وَنَعَى علماء الأَدب على البُحْتُرى[٢] أن يبدأَ قَصيدةً يُنشدها أمام ممدوحه بقوله :

«لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تقاصَرَ آخِرُه» .

وعابوا على المتنبي قولَهُ فى رثاء أُمِّ سيف الدولة[٣] :

صلاةُ اللهِ خالِقِنا حَنوطٌ على الْوَجْهِ المكفَّنِ بالجمَال[٤]

قال ابْنُ وَكِيع[٥] : إن وصفه أُمَّ الملك بجمال الوجه غيرُ مختار .

وفى الحق أَن المتنبي كان جريئاً فى مخاطبة الملوك ، ولعلَّ لعظم نفسه وعَبْقَريَّته شأْنًا فى هذا الشذوذ .

إذن لا بدَّ للبليغ أَولًا من التفكير فى المعانى التى تجيش فى نفسه ، وهذه يجب أَن تكون صادقة ذاتَ قيمة وقوة يظهر فيها أَثر الابتكار

---

(١) جرير : هو ابن عطية التميمى ، أحد الشعراء الثلاثة المقدمين فى دولة بنى أمية ، وهم الأخطل ، وجرير ، والفرزدق ، وقد فاق صاحبيه فى بعض فنون الشعر ، وتوفى سنة ١١٠ ﻫ

(٢) البحترى شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، سئل أبو العلاء المعرى : من أشعر الثلاثة ، أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فقال : أبو تمام والمتنبى حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى . وكانت ولادته بمنبج (وهى بلدة قديمة بين حلب والفرات) ، وتوفى بها سنة ٢٨٤ ﻫ .

(٣) سيف الدولة : هو أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان ، كان ملكاً على حلب ، وكان أديباً شاعراً مجيداً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز له ؛ قيل لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء ، وقد انقطع المتنبى إليه وخصه بمدائحه . وكانت ولادته سنة ٣٠٣ ﻫ وهى سنة ولادة المتنبى ، ووفاته سنة ٣٥٦ ﻫ بعد مقتل المتنبى بسنتين .

(٤) الصلاة : الرحمة ، والحنوط : طيب يخلط للميت . يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت .

(٥) ابن وكيع : شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ولد فى تنيس بمصر وتوفى بها سنة ٣٩٣ ﻫ وله ديوان شعر .

وسلامةِ النظر ودقة الذوق فى تنسيق المعانى وحسن ترتيبها ، فإذا تم له ذلك عَمَدَ إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة ، فألّف بينها تأليفاً يكسبها جمالًا وقوّة ، فالبلاغة ليست فى اللفظ وحده ، وليست فى المعنى وحده ، ولكنها أثرٌ لازمٌ لسلامة تأليف هذين وحُسْن انسجامهما .

* * *

بعد هذا يحسن بك أن تَعرف شيئاً عن الأُسلوب الذى هو المعنَى المَصُوغُ فى ألفاظ مؤلفة على صورة تكونُ أقربَ لنَيْل الغرض المقصود من الكلام وأفعل فى نفوس سامعيّة ، وأنواع الأساليب ثلاثة :

(١) **الأسلوب العلمى :** وهو أهدأُ الأساليب ، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم ، وأبعدُها عن الخيال الشِّعرىّ ، لأنه يخاطب العقل ، ويناجى الفكر ويَشرَح الحقائق العلمية التى لا تخلو من غموض وخفاء ، وأظهرُ ميزات هذا الأُسلوب الوُضوح . ولا بد أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال ، وقوته فى سطوع بيانه ورصانة حُججه ، وجَمالهُ فى سهولة عباراته ، وسلامةِ الذوق فى اختيار كلماته ، وحُسنِ تقريره المعنى فى الأفهام من أقرب وجوه الكلام .

فيجب أن يُعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة فى معناها الخالية من الاشتراك ، وأن تُولّف هذه الألفاظ فى سهولة وجلاء ، حتى تكون ثوباً شَفًّا للمعنى المقصود ، وحتى لا تصبح مثارًا للظنون ، ومجالًا للتوجيه والتأويل .

ويحسن التَّنَحِّى عن المجاز ومُحَسِّنات البديع فى هذا الأُسلوب ؛ إلاَّ ما يجىء من ذلك عفواً من غير أن يَمَسَّ أصلًا من أُصوله أو ميزة من ميزاته . أما التشبيه الذى يُقصد به تقريبُ الحقائق إلى الأفهام وتوضيحُها بذكر مماثلها ، فهو فى هذا الأسلوب حسن مقبول .

ولسنا فى حاجة إلى أن نُلقِى عليك أمثلة لهذا النوع ، فكتُبُ الدراسة

التى بين يديك تجرى جميعُها على هذا النحو من الأساليب .

(٢) **الأسلوب الأدبى** : والجمال أبرز صِفاته ، وأظهر مُميِّزاته ، ومَنشأُ جماله ما فيه من خيال رائع ، وتَصْوير دقيق ، وتلمُّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء ، وإلباس المعنوىّ ثوبَ المحسوس ، وإظهار المحسوس فى صورة المعنوىّ .

فالمتنبى لا يَرَى الحُمَّى الراجعةَ كما يراها الأطباء أثرًا لجراثيم تَدْخل الجسم ، فترفع حرارته ، وتُسبب رِعْدة وقُشَعْريرةً . حتى إذا فرغت نوْبَتُها تَصبَّبَ الجسم عَرَقاً ، ولكنه يُصَوِّرها كما تراها فى الأبيات الآتية :

وَزَائِرتِى كأَنَّ بها حَيَــاءً	فلَيْسَ تَزُورُ إلَّا فى الظَّلام[١]
بَذَلتُ لَهَا المَطَارِفَ والحَشَايَا	فَعَافتها وَباتتْ فى عظامى[٢]
يَضيقُ الجِلدُ عَنْ نَفسِى وعَنها	فَتُوسِعُهُ بِأَنواعِ السَّقَام[٣]
كأَنَّ الصبحَ يَطْرُدُها فتجرى	مَدَامِعُهــا بأَربعــة سجام
أُرَاقِبُ وَقْتَها مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ	مُرَاقَبَةَ المَشُوقِ المُسْتهَامِ[٤]
ويَصْدُقُ وَعْدُهَا والصِّدْقُ شرٌّ	إذَا أَلْقاكَ فى الكُرَبِ العِظام[٥]
أبِنتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كلُّ بِنْتٍ	فكيفَ وصَلتِ أنتِ مِنَ الزِّحام ؟[٦]

والغُيُوم لا يراها ابنُ الخياط[٧] كما يراها العالِمُ بخارًا مُتراكِماً يَحُولُ

---

(١) الواو واو رب أى رب زائرة لى ، يريد بهذه الزائرة الحمى وكانت تأتيه ليلا ، يقول : كأنها فتاة ذات حياء ؛ فهى تزورنى تحت سواد الليل .

(٢) المطارف : جمع مطرف ككرم وهو رداء من خز ، الحشايا : جمع حشية وهى الفراش المحشو ، وعافتها : أبتها . يقول هذه الزائرة أى الحمى لا تبيت فى الفراش ، وإنما تبيت فى العظام .

(٣) يقول : جلدى يضيق عن أن يسع أنفاسى ويسعها ، فهى تذيب جسمى وتوسع جلدى بما تصيبه به من أنواع السقام .

(٤) يقول إنه يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شوقاً .

(٥) يريد بوعدها وقت زيارتها ، ويقول إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميقاتها ، وذلك الصدق شر ، لأنها تصدق فيما يضر .

(٦) يريد ببنت الدهر الحمى ، وبنات الدهر شدائده ، يقول للحمى : عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامهن من الوصول إلى ؟

(٧) ابن الخياط : شاعر من أهل دمشق ، طاف بالبلاد يمتدح الناس ، وعظمت شهرته . وله ديوان شعر مشهور ، توفى بدمشق سنة ٥١٧ هـ .

إلى ماء إذا صادف فى الجوّ طبقة باردةً ولكنه يراها :

كأَن الْغيومَ جُيُوشٌ تَسُومُ من العدْل فى كلِّ أَرض صلاحا[١]

إذا قاتل المحْلَ فيها الغَمامُ بِصَوْبِ الرِّهَامِ أَجَادَ الكفاحا[٢]

يُقَرْطِسُ بالطَّلِّ فيـــه السِّهامَ ويُشْرِعُ بالوَبْلِ فيه الرِّماحا[٣]

وَسلَّ عَليْهِ سُيوفَ البرُوقِ فأَثْخَنَ بالضرْب فيهِ الجراحا[٤]

تُرَى أَلْسُنُ النوْر تُثْنى عَلَيْهِ فَتَعْجَبُ منهن خُرْساً فِصَاحا[٥]

وقد يتظاهر الأَديب بإنكار أَسباب حقائق العلم ، ويَتَلمس لها من خياله أَسباباً تُثبت دَعواه الأَدبية وتُقوِّى الغرض الذى يَنشدُهُ ، فَكَلَفُ البدرَ الذى يَظهر فى وجهه ليس ناشئاً عما فيه من جبال وقيعان جافةٍ كما يقول العلماء ، لأَن المَعرِّى[٦] يرى لذلك سبباً آخر فيقول فى الرثاء :

وما كلْفةُ البَدْر المُنير قَدِيمةً ولكنها فى وجْههِ أَثرُ اللَّطم[٧]

ولا بد فى هذا الأُسلوبِ من الوضوح والقوة ؛ فقول المتنبى :

قِفِى تَغرَمِ الأُولى من اللَّحظِ مُهجتِى بثانية والمتْلِفُ الشىءَ غارِمُه[٨]

غير بليغ ؛ لأَنه يريد أَنه نظر إليها نظرة أَتلفت مهجته ، فيقول لها قِفِى لأَنظرك نظرة أُخرى ترد إلىَّ مهجتِى وتُحييها ، فإن فعلْتِ كانت النظرة غرْماً لِمَا أَتلفته النظرة الأُولى .

---

(١) تسوم من العدل فى كل أرض صلاحاً ، أى تولى كل أرض صلاحاً بالخصب والنماء .

(٢) المحل : الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ ، والصواب : نزول المطر ، والرهام : جمع رهمة وهى المطر الضعيف الدائم ، والكفاح : القتال والمدافعة .

(٣) القرطاس : الغرض أو الهدف ، ويقال قرطس الرامى إذا أصاب القرطاس أى الغرض ، فهو يقول : إن الغمام يسدد السهام إلى المحل فيقضى عليه ، ومعنى يشرع الرماح يسددها ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٤) أثخن بالضرب فيه الجراح : بالغ الجراحة فيه .

(٥) النور : الزهر

(٦) المعرى : هو أبو العلاء المعرى اللغوى الفيلسوف الشاعر المشهور ، ولد بالمعرة وهى بلد صغير بالشام ، وعمى من الجدرى وهو فى الرابعة من عمره ، وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ

(٧) الكلفة : حمرة كدرة تعلو الوجه .

(٨) غرم ما أتلفه : لزمه أداؤه ، وتغرم جواب قفى وفاعله الأولى ، ومن اللحظ بيان للأولى ، ومهجتى مفعول تغرم .

فانظر كيف عانينا طويلاً فى شرح هذا الكلام الموجز الذى سبَّبَ ما فيه من حذف وسوء تأْليف شِدَّةَ خفائه وبُعْدَه عن الأَذهان ، مع أَن معناه جميل بديع ، وفكرَته مُؤَيَّدة بالدليل .

وإذا أَردت أَن تَعْرِفَ كيف تَظْهر القوةُ فى هذا الأُسلوب ، فاقرأ قول المتنبى فى الرثاء :

مَا كُنْتُ آمُلُ قَبلَ نَعْشِك أَن أَرَى   رَضْوَى على أَيْدِى الرجالِ يَسيرُ[١]

ثم اقرأ قول ابن المعتز[٢] :

قدْ ذَهبَ النَّاسُ وماتَ الكمالْ   وصاح صَرْفُ الدّهْرِ أَين الرجالْ ؟

هــذَا أَبُو العَبَّاس فى نَعْشِه   قُومُوا انْظُرُوا كيفَ تَسيرُ الجبالْ

تجد أَن الأُسلوب الأَول هادئٌ مطمئن ، وأَن الثانى شديدُ المِرَّة عظيم القوة وربما كانت نهايةُ قوَّته فى قوله : « وصاح صرْفُ الدهر أَين الرجالْ » ثم فى قوله : « قوموا انظروا كيف تسير الجبالْ » .

وجملة القول أَن هذا الأُسلوب يجب أَن يكون جميلاً رائعاً بديع الخيال ، ثم واضحاً قويًّا . ويظن الناشئون فى صناعة الأَدب أَنه كلما كثر المجاز ، وكثرت التشبيهات والأَخيلة فى هذا الأُسلوب زاد حسنه ، وهذا خطأٌ بيِّن ، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأُسلوب أَكثر من التكلف ، ولا يُفْسِده شرٌّ من تَعمُّد الصناعة ، ونَعْتقد أَنه لا يُعجبك قول الشاعر :

فأَمْطَرَت لُؤْلُؤًا مِن نَرْجِس وسقتْ   وَرْدًا وَعَضَّتْ على العُنَّاب بالبَرَدِ[٣]

هذا ومن السهلِ عليك أَن تَعْرِف أَن الشعر والنثْر الفنى هما مَوْطِنا

---

(١) رضوى : اسم جبل بالمدينة ، شبه المرثى به لعظمته وفخامة قدره . (٢) ابن المعتز : هو عبد الله بن المعتز العباسى ، أحد الخلفاء العباسيين ، منزلته فى الشعر والنثر رفيعة . ويشتهر بتشبيهاته الرائعة ، وهو أول من كتب فى البديع ، توفى سنة ٢٩٦ هـ . (٣) العناب : ثمر أحمر تشبه به الأنامل ، والبرد ، حب الغمام وتشبه به الأسنان .

هذا الأُسلوب ففيهما يَزْدهِر ، وفيهما يبلغ قُنَّة الفنّ والجمال .

(٣) **الأسلوب الخطابى** : هنا تَبْرُزُ قوة المعانى والأَلفاظ ، وقوة الحجة والبرهان ، وقوة العقل الخصيب ، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم ، ولجمال هذا الأُسلوب ووضوحه شأن كبير فى تأْثيره ووصوله إلى قرارة النفوس ، ومما يزيد فى تأثيرهذا الأُسلوب منزلة الخطيب فى نفوس سامعيه وقوةُ عارضته ، وسطوعُ حجته ، ونَبَرات صوته ، وحسن إلقائه ، ومُحْكَم إشارته .

ومن أَظهر مميزات هذا الأسلوبْ التكرارُ ، واستعمال المترادفات ، وضربُ الأَمثال ، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين ، ويحسن فيه أَن تتعاقب ضروب التعبيرَ من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار ، وأَن تكون مواطن الوقف فيه قويةً شافية للنفس . ومن خير الأَمثلة لهذا الأُسلوب خطبة على بن أَبى طالب[١] رضى الله عنه لمَّا أَغار سُفيانُ بنُ عوفٍ الأَسدِى[٢] على الأَنبار[٣] وقتل عامله عليها :

« هَذَا أَخُو غامدٍ قد بَلغتْ خَيْله الأَنْبارَ وقَتلَ حَسَّانَ البَكرِىّ[٤] وأَزال خَيْلَكم عنْ مسَالِحِها[٥] وَقَتلَ مِنْكم رجالًا صَالِحِين .

« وقدْ بلغنى أَنَّ الرَّجُل منهُمْ كان يَدْخُلُ على الْمرأَةِ الْمُسْلمةِ والأُخرى المُعَاهِدَةِ[٦] ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا[٧] ، وقُلْبَهَا[٨] ، ورِعاثَها[٩] ، ثمَّ انْصَرَفُوا

---

(١) على بن أبى طالب : هو رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وقد اشتهر ببلاغته وشجاعته ، توفى سنة ٤٠ هـ .

(٢) سفيان بن عوف الأسدى : هو أحد بنى غامد ، وهى قبيلة باليمن ، وقد بعثه معاوية لشن الغارة على أطراف العراق . (٣) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٤) حسان البكرى : هو عامل على رضى الله عنه على الأنبار .

(٥) المسالح جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر حيث يخشى طروق العدو .

(٦) المعاهدة : الذمية (٧) الحجل : الخلخال (٨) القلب بالضم : السوار .

(٩) الرعاث : جمع رعثة القرط .

وافِرِين(١) ما نالَ رجلًا منهم كَلْمٌ(٢) ، ولا أُرِيقَ لهم دَمٌ ، فلو أَنَّ رَجُلاً مُسْلماً مات مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً ، ما كانَ به مَلُوماً ، بَلْ كان عِنْدِى جَدِيرًا.

«فَواعجَباً مِنْ جِدِّ هَؤُلاء فى بَاطِلِهِمْ ، وفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُم . فَقُبْحاً لَكمْ حِينَ صِرْتُم غَرَضاً يُرْمَى(٣) ، يُغَارُ عَلَيْكمْ ولا تُغِيرُون ، وتُغْزَوْنَ وَلا تَغزونَ ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْنَ(٤) » .

فانظر كيف تدرج ابن أَبى طالب فى إثارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القِمَّةِ فإنه أخبرهم بغَزْوِ الأَنْبار أولاً ، ثم بقتل عامله ، وأَنَّ ذلك لم يكْفِ سُفْيان بن عوْف فأَغْمَدَ سيوفه فى نحور كثيرٍ من رجالهم وأَهليهم .

ثم توجه فى الفقرة الثانية إلى مكان الحميَّةِ فيهم ، ومَثار العزيمة والنخوة من نفس كل عربى كريم ، أَلا وهو المرأة ، فإن العرب تبذل أرواحها رخيصة فى الذود عنها ، والدفاع عن خِدْرها . فقال : إنهم استباحوا حِماها ، وانصرفوا آمِنين .

وفى الفقرة الثالثة أَظهر الدَّهَش والحَيْرَةَ من تمسك أَعدائه بالباطل ومناصرته ، وفَشَل قومه عن الحق وخِذْلانه . ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فَعيَّرهم بالجُبن والخَوَر .

هذا مثال من أمثلة الأُسلوب الخطابى نكتفى به فى هذه العُجالة ، ونرجو أَن نكونَ قد وُفقنا إلى بيان أَسرار البلاغة فى الكلام وأَنواع أَساليبه ، حتى يكون الطالب خبيرًا بأَفانين القول ، ومواطن استعمالها وشرائط تأْديتها ، والله الموفق .

---

(١) وافرين : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم .

(٢) الكلم بالفتح : الجرح . (٣) الغرض : ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها.

(٤) يشير بالعصيان إلى ما كان يفعله جيش معاوية من السلب والنهب والقتل فى المسلمين والمعاهدين ، أما رضا أهل العراق بهذا العصيان فكناية عن قعودهم عن المدافعة ، إذلو غضبوا لهموا إلى القتال

علم البيان

التشبيه

(١) أَرْكانُه

الأَمثلة

(١) قال الْمَعَرِّى فى الْمَدِيح :

أَنْتَ كالشَّمْسِ فى الضِّياءِ وَإِنْ جا ... وَزْتَ كيوانَ فِى عُلُوّ المكان[١]

(٢) وقال آخرُ :

أَنْتَ كاللَّيْثِ فى الشَّجَاعةِ والإِقْـــدام وَالسَّيْفِ فى قِراعِ الخُطوب[٢]

(٣) وقال آخرُ :

كأَنَّ أَخْلَاقَكَ فِى لُطْفِها ... ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباح

(٤) وقال آخرُ :

كأَنَّما الْماءُ فِى صفاءٍ ... وَقَدْ جرَى ذَائِبُ اللُّجَيْن[٣]

البحث :

فى البيت الأَول عَرَف الشاعِرُ أَن مَمْدُوحه وَضِيءُ الوجه مُتَلأْلِئُ الطلعة ، فأَراد أن يأْتى له بِمَثِيل تَقْوَى فيه الصفةُ ، وهى الضياء والإشراق فلم يجد أَقوى من الشمس ، فضاهاه بها ، ولبيان المضاهاة أَتى بالكاف .

وفى البيت الثانى رَأَى الشاعر ممدوحه متصفاً بوصفَيْن ، هما الشجاعة ومُصَارعة الشدائد ، فبَحَث له عن نَظِيرَيْنِ فى كلٍّ منهما إحدى هاتين

(١) كيوان : زحل ، وهو أعلى الكواكب السيارة . (٢) قراع الخطوب : مصارعة الشدائد والتغلب عليها . (٣) اللجين : الفضة .

الصفتين قويةً ، فضاهاه بالأَسدَ فى الأُولى ، وبالسيف فى الثانية ، وبيَّن هذه المضاهاة بـأَداة هى الكاف .

وفى البيت الثالث وجَدَ الشاعر أخلاق صَدِيقِه دمِثَةً لَطِيفَةً تَرْتاح لها النفس ، فَعمل على أن يأْتى لها بنظير تَتَجَلَّى فيه هذه الصِّفة وتَقْوَى ، فرأى أن نسيم الصباح كذلك فَعَقَدَ المماثلة بينهما ، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف « كأَنَّ » .

وفى البيت الرابع عَمِل الشاعِر على أن يَجِدَ مثيلاً للماء الصافى تَقْوَى فيه صِفَة الصفاء ، فرأى أن الفضة الذائبةَ تَتجلَّى فيها هذه الصفةُ فماثل بينهما ، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف « كأَنَّ » .

فأَنت ترى فى كل بيت من الأَبيات الأَربعة أن شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شىء فى صفة مشتركة بينهما ، وأَنّ الذى دلّ على هذه المماثلة أَدَاةٌ هى الكاف أو كأَن ، وهذا ما يُسَمَّى **بالتشبيه** ، وقد رأَيتَ أن لا بدَّ له من أركان أَربعة : الشىء الذى يراد تشبيهه ويسمى **المشبه** ، والشىء الذى يُشَبَّه به ويسمى **المشبه به** ، (وهذان يسميان طرفى التشبيه) ؛ والصفةُ المشتركة بين الطرفين وتسمى **وجه الشبه** ، ويجب أن تكون هذه الصفة فى المشبَّه به أقوى وأَشْهَرَ منها فى المشبَّه كما رأيت فى الأَمثلة ، ثم **أداة التشبيه** وهى الكاف وكأَن ونحوهما[1]

ولا بد فى كل تشبيه من وجود الطرفين ، وقد يكون المشبه محذوفاً للعلم به ولكنه يُقَدَّرُ فى الإعراب ، وهذا التقدير بمثابة وجوده كما إذا سُئِلتَ « كيف على » ؟ فقلت : « كالزهرةِ الذابِلةِ » فإن « كالزهرة » خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير هو الزهرة الذَّابِلةُ ، وقد يحذف وجه الشبه ، وقد تحذف الأَداة . كما سَيُبَيَّن لك فيما بعد .

(١) أداة التشبيه إما اسم ، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها ، وإما فعل ، يشبه ويماثل ويضارع ويحاكى ويشابه ، وإما حرف ، وهو الكاف كأن .

القواعد

(١) التَّشْبِيهُ : بَيانُ أَنَّ شَيْئاً أَوْ أَشْياءَ شارَكَتْ غيْرَها فى صفةٍ أَوْ أَكْثرَ ، بِأَداة هِيَ الكاف أَوْ نحْوُها ملْفوظةً أَوْ ملْحُوظةً .

٢) أَرْكانُ التَّشْبِيهِ أَرْبعة، هِيَ : المُشَبَّهُ ، والمُشَبَّهُ بهِ ، ويُسَمَّيانطَرَفَى التَّشْبِيهِ ، وأَداةُ التَّشْبِيهِ ،وَوَجْهُ الشَّبَهِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَظْهَرَ فِى الْمُشبَّهِ بهِ مِنْهُ فى الْمُشَبهِ .

نَمُوذَج

قال الْمعَرى :

رُبَّ لَيْل كأَنَّه الصُّبْحُ فى الْحُسْـ ـنِ وإنْ كانَأَسْوَدَالطَّيْلَسان[1]

* * *

وَسهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الْحِبِّ فى اللَّوْ نِ وقَلْبِ الْمُحِبِّ فِى الخَفقان[2]

المشبه	المشبه به	الأداة	وجه الشبه
الضمير فى كأنه العائد على الليل	الصبح	كأن	الحسن
سُهَيْل	وجنة الْحِب	الكاف	اللون و والاحمرار
سهيل	قلب المحب	الكاف «مقدرة»	الخفقان

(١) الطيلسان : كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء ، وهو من لباس العجم ، جمعه طيالس وطيالسة . (٢) سهيل : كوكب ضوؤه يضرب إلى الحمرة فى اهتزاز واضطراب ، الحب : الحبيب . والخفقان : الاضطراب .

تمرينات

(١)

بَيِّن أركان التشبيه فيما يأتى :

(١) أَنْتَ كالبَحْرِ فى السَّماحَةِ والشَّمْـ ـسِ عُلُوًّا وَالْبدْرِفى الإشراقِ[١]

(٢) العُمْرُ مِثْــلُ الضَّيْفِ أَوْ كالطيْفِ لَيْسَ لَهُ إقامهْ

(٣) كلام فلان كالشَّهْدِ فى الحلاوة[٢].

(٤) الناس كأَسْنان المُشْطِ فى الاستواء .

(٥) قال أعرابى فى رجل : ما رأَيتُ فى التوقُّدِ نَظْرَةً أَشْبَهَ بِلَهيب النارِ من نَظْرته .

(٦) وقال أعرابى فى وصف رجل : كانَ له عِلْمٌ لا يخالطه جَهْلٌ ، وَصِدْق لا يَشُوبه كَذِبٌ ، وكان فى الجُودِ كأَنهُ الوَبْلُ عِنْدَ المَحْلِ[٣].

(٧) وقال آخر : جاءوا عَلَى خَيل كأَنَّ أَعْناقَها فى الشُّهرَة أَعلام[٤] ،وآذانَها فى الدِّقَّةِ أَطرافُ أَقلام ، وَفرْسانها فى الجُرْأَةِ أُسودُ آجام[٥].

(٨) أَقوالُ الملوك كالسيوف المواضى فى القَطع والبتِّ[٦] فى الأُمور .

(٩) قلبُه كالحجارة قَسْوةً وصلابةً .

(١٠) جَبِينُ فلان كَصفْحَةِ المِرْآة صفاءً وتلألُؤًا .

(٢)

كَوِّن تشبيهاتٍ من الأَطراف الآتية بحيث تختارُ مع كلِّ طَرف مايناسبه :

العزيمة الصادقة ، شجرة لا تُثْمر ، نَغَمُ الأوْتار ، المَطَرُ للأَرض .

الحديث المُمْتِع ، السيف القاطع ، النخيل ، الحياة تدِبُّ فى الأَجسام .

(١) السماحة : الجود (٢) الشهد : العسل فى شمعه . (٣) الوبل : المطر الشديد ، المحل : القحط والجدب . (٤) الأعلام : الرايات . (٥) الآجام جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف . (٦) البت فى الأمور : إنفاذها .

(٣)

كوِّن تشبيهاتٍ بحيث يكون فيها كلٌّ مما يأتى مُشبَّهاً :

القِطار الهرَمُ الأكبر الكِتاب الحِصان

المصابيح الصَّدِيق المُعَلِّم ، الدَّمع

(٤)

اِجْعَل كلَّ واحد مما يأتى مُشبَّهاً به :

بَحْر - أسَد - أمٌّ رَءُوم[1] - نسيم عليل - مِرْآة صافية - حُلْم لذيذ

(٥)

اِجعل كلَّ واحد مما يأتى وَجْهَ شَبَهٍ فى تشبيهٍ من إنشائك ، وعيِّن طَرَفى التشبيه :

البياض - السواد - المرارة - الحلاوة - البُطءُ - السُّرْعة - الصلابة

(٦)

صف بإيجاز سفينة فى بحر مائج ، وضمِّن وصفَك ثلاثة تشبيهات.

(٧)

اِشرح بإيجاز قول المتنبى فى المديح ، وبيِّن جمالَ ما فيه من التشبيه :

كالبَدْر من حيثُ التفَتَّ رأَيْتَهُ يُهْدِى إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقبا[2]

كالبَحْر يَقْذِفُ للقَريب جَوَاهِرًا جودًا ويَبعَثُ للبَعِيدِ سَحائبا

كالشمْسِ فى كَبدِ السَّماءِ وَضَوْءُها يَغْشَى البلادَ مَشَارِقاً ومَغاربا

---

(١) الرءوم : العطوف . (٢) الثاقب : المضىء .

(٢) أقسام التشبيه

الأمثلة

(١) أنا كالماءِ إنْ رَضيتُ صفاءً ... وإذَا مَاسَخِطتُ كُنتُ لهيبا

(٢) سِرْنا فى ليل بَهِيمٍ[1] كأَنهُ البَحْرُ ظَلاماً وإرْهاباً .

(٣) قال ابنُ الرُّومىّ[2] فى تأْثير غِناءِ مُغَنٍّ :

فَكأَنَّ لذَّةَ صَوْتِهِ وَدَبيبَها ... سِنَةٌ تَمَشَّى فى مَفَاصِلِ نُعَّسِ[3]

(٤) وقال ابنُ المعتزّ :

وكأَنَّ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ دِيـــنارٌ جَلَتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَّابِ[4]

(٥) الجَوَاد فى السرعة بَرْقٌ خاطِفٌ .

(٦) أَنْتَ نجْمٌ فى رِفْعةٍ وضِياءٍ ... تجْتَليكَ الْعيُونُ شَرْقاً وغَرْبا[5]

(٧) وقال المتنبى وقدِ اعْتَزَمَ سيفُ الدولةِ سَفَرًا :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهذا الْهُمامُ؟ ... نَحْنُ نَبْتُ الرُّبا وأَنْتَ الْغمام[6]

(٨) وقال الْمُرَقَّش :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوه دَنا ... نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[7]

---

(١) البهيم : المظلم . (٢) هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه ، وقد توفى سنة ٢٨٣ هـ . (٣) السنة : النعــاس .
(٤) جلته : صقلته ، والضراب : الذى يطبع النقود . (٥) تجتليك : تنظر إليك.
(٦) أزمعت : وطدت عزمك ، والربا : الأراضى العالية . (٧) النشر : الرائحة الطيبة ، والعنم : شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب

البحث :

يُشبه الشاعر نفسَه فى البيت الأَول فى حال رضاه بالماء الصافى الهادئ ، وفى حال غضبه بالنار الملتهبة ، فهو محبوب مخوف . وفى المثال الثانى شُبِّه الليلُ فى الظلمة والإرهاب بالبحر . وإذا تأَمّلت التشبيهين فى الشطر الأَول والمثال الثانى رأَيت أداة التشبيه مذكورة بكل منهما ، وكلُّ تشبيه تذكر فيه الأَداةُ يسمى **مرسلا** . وإذا نظرت إلى التشبيهين مرة أُخرى رأَيت أَن وجه الشبه بُيِّنَ وفُصِّلَ فيهما ، وكل تشبيه يذكر فيه وجه الشبه يسمى **مفصلا** .

ويصف ابنُ الرومى فى المثال الثالث حُسنَ صوت مُغَنٍّ وجميلَ إيقاعه ، حتى كأَنَّ لذةَ صوته تسرى فى الجسم كما تسرى أَوائل النوم الخفيف فيه ، ولكنه لم يذكر وجه الشبه معتمدًا على أَنك تستطيع إدراكه بنفسك وهو الارتياح والتلذذ فى الحالين. ويشبه ابنُ المعتز الشمس عند الشروق بدينار مجلوٍّ قريبٍ عهده بدار الضرب ، ولم يذكر وجه الشبه أَيضاً وهو الاصفرار والبريق ، ويسمى هذا النوع من التشبيه ، وهو الذى لم يذكر فيه وجه الشبه ، **تشبيهاً مجملا** .

وفى المثالين الخامس والسادس شُبِّه الجواد بالبرق فى السرعة ، والممدوح بالنجم فى الرفعة والضياء من غير أَن تذكر أداةُ التشبيه فى كلا التشبيهين ، وذلك لتأكيد الادعاء بأَن المشبه عَينُ المشبه به ، وهذا النوعُ يسمى **تشبيهاً مؤكداً** .

وفى المثال السابع يسأَل المتنبي ممدوحه فى تظاهر بالذعر والهلَع قائلا : أَين تقصد ؟ وكيف ترحل عنا ؟ ونحن لا نعيش إلا بك ، لأَنك كالغمام الذى يحيي الأَرض بعد موتها ، ونحن كالنَّبتِ الذى لا حياة له بغير الغمام . وفى البيت الأَخير يشبه المرقش النشرَ ، وهو طِيبُ رائحة مَنْ يصف ، بالمسك ، والوجوه بالدنانير ، والأَناملَ المخضوبة بالعنم ، وإذا تأَملت هذه التشبيهاتِ رأَيت أَنها من نوع التشبيه المؤكد ، ولكنها جمعت إلى حذف

الأداة حذفَ وجه الشبه . وذلك لأَن المتكلم عمد إلى المبالغة والإغراق فى ادعاء أَن المشبه هو المشبه به نفْسُه ، لذلك أَهمل الأَداة التى تدل على أَن المشبه أَضعف فى وجه الشبه من المشبه به ، وأَهمل ذكرَ وجه الشبه الذى يَنِمُّ عن اشتراك الطرفين فى صفة أَو صفات دون غيرها . ويسمى هذا النوع **بالتشبيه البليغ** ، وهو مظهر مّن مظاهر البلاغة وميدان فسيح لتسابق المجيدين من الشعراء والكتاب .

القواعد

(٣) التشبيهُ الْمُرْسَلُ ما ذُكِرَتْ فِيه الأَداةُ .

(٤) التشبيهُ الْمُؤَكَّد ما حُذِفت منهُ الأَداة .

(٥) التشبيهُ الْمُجْمل ما حُذِف منه وجهُ الشبهِ .

(٦) التشبيهُ الْمُفَصَّلُ ما ذُكِرَ فيه وجهُ الشبهِ .

(٧) التشبيه البليغُ ما حُذِفتْ منهُ الأَداةُ ووَجهُ الشبه[1] .

نموذج

(١) قال المتنبي فى مدح كافور :

إِذَا نِلتُ مِنْكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ ... وكلُّ الَّذِى فَوْقَ الترابِ ترابُ

(٢) وصف أَعرابى رجلاً فقال :

كأَنه النهار الزاهر والقمرُ الباهر الذى لا يخفى عَلَى كل ناظر .

(٣) زرنا حديقةً كأَنها الفِرْدَوْسُ فى الجمال والبهاء .

(٤) العالِمُ سِراجُ أُمَّته فى الهِدَاية وتَبديد الظلَام .

---

(١) من التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو راغ روغان الثعلب ، ومنه أيضاً إضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية . ولاستيفاء صور التشبيه الذى لم تذكر فيه الأدة انظر هامش صفحة ٤٦ .

الإجابة

المشبه	المشبه به	نوع التشبيه	السبب
(١) كل الذى فوق التراب	تراب	بليغ	حذفت الأداة ووجه الشبه
(٢) مدلول الضمير فى كأنه	النهار الزاهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
(٢) مدلول الضمير فى كأنه	القمر الباهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
(٣) الضمير فى كأنه العائد على الحديقة	الفردوس	مرسل مفصل	ذكرت الأداة ووجه الشبه
(٤) العالم	سراج	مؤكد مفصل	حذفت الأداة وذكر وجه الشبه

تمرينـــات

(١)

بيِّن كل نوع من أنواع التشبيه فيما يأتى :

(١) قال المتنبى :

إنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهِنَّ إذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ[١]

تَلْقَى الحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ[٢]

(٢) وقال فى المديح :

فَعلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّماءِ بِأَرْضِهِ ... خِلَعُ الأميرِ وحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ[٣]

(٣) وقال :

ولَا كُتْبَ إلا المشرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلَا رُسُلٌ إلَّا الْخَمِيسُ العَرَمرم[٤]

---

(١) المعنى أن السيوف لا تفيد إذا التقى الجيشان إلا إذا جردها شجعان لهم قلوب قوية صلبة كصلابة السيوف . (٢) إن السيف القاطع يصير كالجبان إذا استعمله الجبان .

(٣) زانتنا خلع الأمير بوشيها ونضارتها كما زينت السماء أرضه بالنبات ولم نقض حق الثناء عليه . (٤) المشرفية : السيوف ، والخميس : الجيش ، والعرمرم : الكثير ، أى أن سيف الدولة إذا بعث إلى أعدائه يدعوهم إلى الطاعة جعل كتبه إليهم السيوف ، والرسل الحاملة لهذه الكتب الجيوش .

(٤) وقال :

إذا الدولةُ اسْتكفَتْ بهِ فى مُلِمّةٍ   كَفاها فكانَ السَّيْفَ والكَفَّ والقَلْبَا[١]

(٥) وقال صاحب كليلة ودمنة :

الرجُل ذو المروءة يُكْرَمُ على غير مال كالأُسد يُهابُ وإن كان رَابضاً[٢]

(٦) لكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَــةِ الْـ   أَبْــرَار طــاهِرَةٌ نَقِيَّــهْ[٣]

(٧) المالُ سَيْفٌ نَفْعاً وضَرًّا .

(٨) قال تعالى : «وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كالأَعلامِ[٤]» .

(٩) وقال تعالى : «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خَاوِيةٍ[٥]» .

(١٠) وقال البُحْتُرِىُّ فى المديح :

ذَهَبَتْ جِدَّةُ الشِّتاءِ ووَافَــا   نَا شَبيهاً بِكَ الرَّبيعُ الجَديدُ

ودَنا العِيدُ وهُــو لِلنَّاسِ حَتى   يَتَقَضَّى وأَنتَ لِلعيدِ عِيدُ

(١١) قال تعالى : «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً[٦] كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّماءِ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ[٧] بِإِذْنِ رَبِّهَا ويَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ[٨] مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ[٩]» .

---

(١) استكفت : استعانت ، والملمة : النازلة من نوازل الدهر ، أى إذا استعانت الدولة به كان سيفاً لها على أعدائها ، وكفاً تضرب بها بذلك السيف ، وقلباً تجترئ به على اقتحام الأهوال .
(٢) رابضاً : مقيما وساكناً .   (٣) أى أن ذكرك بين الناس ليس به ما يشين ، فهو كصحيفة الطاهرين الأتقياء لم يدون بها إلا حسنات .   (٤) الجوارى : السفن ، والأعلام : الجبال .   (٥) أى كأنهن جذور نخل خالية الجوف .   (٦) الشجرة الطيبة : كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين .   (٧) تؤتى أكلها كل حين : أى تثمر دائماً فى مواعيد إثمارها .   (٨) اجتثت : قطعت .   (٩) القرار : الاستقرار والثبات .

(١٢) وقال تعالى : «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاة[١] فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ[٢] يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ[٣] يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْه نَارٌ نُورٌ عَلَى نُور[٤] يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ منْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيم» .

(١٣) القلوبُ كالطير فى الأُلفَةِ إِذَا أَنِسَتْ .

(١٤) مَدَحَ أَعْرَابِى رجلاً فقال :

له هِزَّةٌ كَهِزَّةِ السيف إذا طَرِبَ ، وجُرْأَةٌ كجرأَة الليثِ إذا غَضِبَ[٥] .

(١٥) ووَصفَ أعرابى أخاً له فقال :

كانَ أَخى شَجَرًا لَا يخلفُ ثَمَرُه ، وبَحْرًا لا يُخَافُ كَدَرُه .

(١٦) وقال البحتُرِىُّ :

قُصُورٌ كالكَواكِبِ لامِعَــاتٌ ... يَكَدْنَ يُضِئْنَ لِلسَّارِى الظلاَما

(١٧) رَأْىُ الحازم ميزانٌ فى الدِّقَّة .

(١٨) وقال ابن التعاويذى[٦] :

إِذَا ما الرّعدُ زَمْجَرَ خِلْتَ أُسْدًا ... غِضاباً فى السَّحابِ لها زَئيرُ[٧]

---

(١) المشكاة : فتحة فى الحائط غير نافذة ، والمراد الأنبوبة التى تجعل فيها الفتيلة ثم توضع فى القنديل (٢) درى : منسوب إلى الدر لفرط ضيائه وصفائه. (٣) لا شرقية ولا غربية : أى لا يتمكن منها حر ولا برد . (٤) يريد أن النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوى النور . (٥) الهزة : النشاط والارتياح . (٦) هو الشاعر الأديب سبط بن التعاويذى ؛ جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ، ورقة المعانى ودقتها ، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ، وتوفى ببغداد سنة ٥٨٤ هـ ، وعمى قبل موته بخمس سنين . (٧) زمجر : رعد .

(١٩) وقال السَّرِيُّ الرَّفَّاءُ[1] فى وصف شمعة :

مَفْتُـــولَةٌ مَجــدُولَةٌ تَحْكِى لنَا قَدَّ الأَسَلْ[2]

كأَنَّهـــا عُمْرُ الْفَتَى وَالنارُ فِيهــا كالأَجَلْ

(٢٠) وقال أعرابى فى الذم :

لقد صَغَّر فلاناً فى عينى عِظَمُ الدنيا فى عينه ، وكأَنَّ السائلَ إذا أتاهُ مَلَكُ المَوْتِ إذا لاقاه .

(٢١) وقال أعرابى لأمير : اِجْعَلْنى زِماماً من أَزِمَّتِكَ التى تَجُرُّ بها الأَعداءَ[3].

(٢٢) وقال الشاعر :

كَمْ وُجُوهٍ مِثْلِ النَّهارِ ضِياءً لِنُفُوسٍ كالليْلِ فى الإظْلَامِ

(٢٣) وقال آخر :

أَشْبَهْتَ أَعْدائِى فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إذ كان حَظى مِنْكَ حَظِّى مِنْهُمُ

(٢٤) وقال البحترى فى المديح :

كالسيف فى إخْذَامِهِ والْغَيْثِ فى إرْهامِهِ والليْثِ فى إقــدامِه[4]

(٢٥) وقال المتنبى فى وصف شعره :

إنَّ هَذَا الشِّعْرَ فى الشِّعْرِ ملَكْ سَارَ فَهْوَ الشَّمْسُ والدُّنيا فَلَكْ[5]

(٢٦) وقال فى المديح :

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لكانُوا الظَّلَامَ وكُنتَ النهارَا

---

(١) السرى الرفاء : كان فى صباه يرفو ويطرز بدكان بالموصل ، وكان مع ذلك يتعلق بالأدب وينظم الشعر ، ولم يزل كذلك حتى جاد شعره ، وكان عذب الألفاظ كثير الافتنان فى التشبيه والوصف ومات ببغداد سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) مفتولة مجدولة : أى محكمة ، والقد : القامة ، الأسل : الرماح .

(٣) الزمام : حبل تقاد به الدابة . (٤) الإخذام : القطع ، والإرهام دوام سقوط المطر (٥) الملك : واحد الملائكة ، والفلك : مدار الشمس ، أى أن شعرى أعلى من سائر الشعر .

(٢٧) وقال فى مدح كافور :

وَأَمْضى بِسِلَاحٍ قَلَّدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ   رَجَاءُ أَبِى المِسْكِ الكَرِيمِ وقَصْدُهُ

(٢٨) فلانٌ كالمِئْذَنَة فى استقامة الظاهر واعْوِجاج الباطن .

(٢٩) وقال السَّرِىُّ الرَّفَّاء :

بِرَكٌ تَحَلَّتْ بِالكَوَاكِبِ أَرْضُهَا   فَارْتَدَّ وَجْهُ الأَرْضِ وهْوَ سماءُ[1]

(٣٠) وقال البُحْتُرِى :

بِنْتَ بِالفَضْلِ وَالعُلُو فأَصْبَحْ   تَ سَماءً وأَصْبَحَ النَاس أَرْضَا[2]

(٣١) وقال فى روضة :

وَلَوْ لَمْ يَسْتَهِلَّ لَها غَمَامٌ   بِرِيّقِهِ لكنْتَ لَها غماما[3]

(٣٢) الدنيا كالمِنْجَلِ استواؤُها فى اعوجاجها[4].

(٢٣) الحِمْيَةُ من الأَنامِ ، كالحِمْيَةِ من الطعام[5].

(٣٤) وقال المعرى :

فَكَأَنِّى مَا قُلْتُ واللَّيْلُ طِفْلٌ   وَشَبَابُ الظَّلْمَاءِ فِى عُنْفُوَانِ[6]

لَيْلَتِى هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنْ   جِ عَلَيْها قلَائدٌ مِنْ جُمَانِ[7]

هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِىَ فيهَا   هَرَبَ الأَمْن عَنْ فؤَادِ الجَبَان

---

(١) أي أن خيال الكواكب ظهر فوق الماء الذى يغطى هذه البرك .

(٢) أى بعدت بفضلك وعلو منزلتك عن أن تشبه الناس . (٣) استهل الغمام : انصب مطره بشدة وصوت ، والريق من كل شيء أوله ، والمعنى : لو لم ينزل المطر بهذه الأرض لقمت مقام الغمام فى إحيائها . (٤) المنجل : آلة من الحديد معوجة يقطع بها الزرع .

(٥) الحمية : الوقاية والابتعاد . (٦) يقصد بطفولة الليل أوله ، وعنفو الشباب وعنفوانه أوله .

(٧) الزنج وتكسر الزاي : جيل من السودان واحدهم زنجى ، والجمان : حب من الفضة كاللؤلؤ .

(٣٥) وقال ابن التعاويذى :

رَكِبُوا الدَّياجِىَ والسرُوجُ أَهِلَّةٌ وهُمُ بُدُورٌ والأَسِنَّة أَنجُمُ(١)

(٣٦) وقال ابن وَكِيع :

سُلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غِمْدِ الدُّجَى وتَعَرَّى اللَّيْلُ مِنْ ثَوْبِ الغَلَسْ(٢)

(٢)

اِجعل كل تشبيه منَ التشبيهين الآتيين مفصَّلاً مؤكَّدًا ثم بليغاً :

وكأَنَّ إِيماضَ السُّيُوفِ بَوَارِقٌ وعَجَاجَ خَيْلِهم سَحَابٌ مُظْلِمُ(٣)

(٣)

اِجعل كلَّ تشبيه من التشبيهين الآتيين مرسلاً مفصلاً ثم مرسلاً مجملا :

أَنَا نَارٌ فِى مُرْتقى نَظَرِ الحَا سِدِ مَاءٌ جارٍ مَعَ الإِخْوَانِ(٤)

(٤)

اِجعل التشبيه الآتى مؤكدًا مفصلاً ثم بليغاً ، وهو فى وصف رجلين اتفقا على الوشاية بين الناس :

كَشِقَّىْ مِقص تجمَّعْتمـا عَلَى غَيْرِ شَىْءٍ سِوَى التَّفْرِقهْ(٥)

(٥)

كوِّن تشبيهاتٍ مرسلةً بحيث يكون كلٌّ مما يأْتى مشبهاً .

الماءُ ــ القِلاع (٦) ــ الأَزهار ــ الهلال ــ السيارة ــ الكريم ــ الرعد ــ المطر

---

(١) ركبوا الدياجى : أى ركبوا الخيل السود ، والأسنة : أطراف الرماح .
(٢) الدجى : ظلام الليل ، والغلس : ظلام آخر الليل . (٣) الإيماض : اللمعان ، والبوارق : جمع بارق وهو البرق ، والعجاج : الغبار . (٤) المرتقى : موضع الارتقاء ، وفى ذلك إشارة إلى رفعة المحسود وضعة الحاسد . (٥) الشق بكسر الشين : الجانب ، وقد يطلق على النصف من كل شىء . (٦) جمع قلعة وهى الحصن .

(٦)

كوِّن تشبيهات مؤكدةً بحيث يكون فيها كلٌّ مما يأْتى مشبهاً به :

نَسيم ماء زُلَال جَنَّة الخُلْدِ بُرْجُ بَابل
دُرٌّ زهرة ناضرة نار مُوقَدَة البدر المتأَلِّق

(٧)

كوِّن تشبيهات بليغةً يكون فيها كلٌّ مما يأْتى مشبهاً :

اللسان ـ المال ـ الشرف ـ الأَبناء ـ الملاهى ـ الذليل ـ الحَسد ـ التعليم

(٨)

اِشرح قولَ ابن التعاويذى بإيجاز فى وصف بِطِّيخَة ، وبيِّن أنواع التشبيه فيه :

حُلْوَةُ الرِّيق حَـلَالٌ دَمُهَـا فِى كلِّ مِلَّـهْ
نِصْفُهَـا بَدْرٌ وَإِنْ قَسَّـمْتَهَـا صَارَتْ أَهِـلَّهْ

(٩)

وَازِن بين قَوْلَىْ أَبِى الفتح كُشاجم[1] فى وصف روضتين ثم بيِّن نوع كل تشبيه بهما :

وروْض عَنْ صَنِيعِ الغيثِ رَاض كما رَضِىَ الصَّدِيقُ عَن الصَّدِيق
يُعِيرُ الرِّيحَ بالنَّفَحَاتِ رِيحاً كأَنَّ ثَرَاهُ مِنْ مِسْكٍ فَتِيق[2]
كأَنَّ الطَّلَّ مُنْتَشِرًا عَلَيْـهِ بَقَايا الدَّمْعِ فى الْخَدِّ الْمشُوق

* * *

غَيثٌ أَتانا مُـؤْذِناً بالخَفْض مُتَّصِل الْوَبْل سَرِيعُ الرَّكْض[3]
فالْأَرْضُ تُجْلَى بالنَّباتِ الغَضِّ فِى حَلْيِهـا المُحْمَرِّ والمُبْيَضِّ[4]

---

(١) شاعر مفتن مطبوع ومنشىء بارع ، كان يعد ريحانة الأدب فى زمانه ، أقام بمصر مدة فاستطابها وله تصانيف عدة ، وتوفى سنة ٣٣٠ ﻫ . (٢) المسك الفتيق: ما مزج بغيره لتظهر رائحته . (٣) الخفض : الدعة وهناءة العيش ، والركض : الجرى .
(٤) الغض : الناضر الطرى ، الحلى : ما يتزين به .

وأُقْحُــوان كاللجيْن الْمَحْضِ ونرْجِسٍ زَاكى النَّسِيمِ بَضٍّ[١]
مِثْلِ الْعُيُون رُنِّقَتْ لِلْغمْضِ تَرْنُو فيَغشَاهَا الْكرَى فتُغضِى[٢]

(١٠)

صف بإيجاز ليلة مُمْطِرة ، وهاتِ فى غضون وصفك تشبيهين مرسلين مجملين ، وآخرين بليغين .

(٣) تَشْبِيهُ التّمثيل

الأَمثلة

(١) قال البُحْتُرِىُّ :

هُوَ بَحْرُ السَّماحِ والجُودِ فَازْدَدْ مِنْهُ قُرْباً تزْدَدْ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدَا[٣]

(٢) وقال امْرُؤُ الْقَيْس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عليّ بِأَنْواعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِى[٤]

* * *

(٣) وقال أَبو فِراس[٥] :

والْماءُ يَفصِلُ بيْنَ رَوْضِ الـــزَّهْرِ فى الشَّطَّين فَصْلَا[٦]
كَبِساطِ وَشْىٍ جــرَّدَتْ أَيْدِى الْقُيُون عَلَيْهِ نَصْلَا[٧]

---

(١) الأقحوان : نبت من نبات الربيع طيب الرائحة أبيض النور فى وسطه دائرة صغيرة صفراء ، وأوراق زهرة مفلجة صغيرة ، يشبهون بها الأسنان ، واحدته أقحوانة والجمع أقاحى ، والمحض : الخالص ، والزاكى : الطاهر النقى ، والبض : الطرى الرخص . (٢) رنقت : أخذت تميل للنعاس ، والغمض : الكرى والنوم ، والإغضاء : انطباق الجفنين . (٣) السماح : الجود . (٤) أرخى : أرسل وأسبل ، والسدول : جمع سدل وهو الحجاب والستر ، ويبتلى : من الابتلاء وهو الاختبار . (٥) هو أبو فراس الحمدانى ، كان فريد عصره فى الأدب والكرم والشجاعة ، وكان شعره جيداً سهلا . قال الصاحب بن عباد : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، يعنى امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبى يشهد له ويخشاه ، ومات قتيلا سنة ٣٥٧ هـ . (٦) الشط : جانب النهر . (٧) الوشى : نوع من الثياب المنقوشة ، وجرد السيف : سله ، والقيون : جمع قين وهو صانع الأسلحة ، والنصل : حديدة السيف أو السهم أو الرمح أو السكين .

(٤) وقال المتنبي فى سَيْفِ الدولة :

يَهُزُّ الْجَيْشَ حولَكَ جَانِبَيْهِ   كما نَفَضَتْ جَناحَيْها الْعُقابُ[١]

(٥) وقال السَّرىُّ الرَّفَّاءُ :

وَكأَنَّ ٱلْهِلاَلَ نُونُ لُجَيْن   غَرِقَتْ فِى صَحيفَةٍ زَرْقاء

البحث :

يُشَبِّه البحترى ممدوحَه بالبحر فى الجود والسماح ، وينصح للناس أن يقتربوا منه ليبتعدوا من الفقر ، و يشبه امرؤ القيس الليلَ فى ظلامه وهَوْله بموج البحر ، وأَنَّ هذا الليل أَرخَى حُجُبَهُ عليه مصحوبةً بالهموم والأَحزان ليختبر صَبْرَهُ وقوةَ احتماله . وإذا تأَملتَ وجْهَ الشبه فى كل واحد من هذين التشبيهين رأَيت أَنه صفة أَو صفاتٌ اشتركت بين شيئين ليس غيرُ ، هى هنا اشتراكُ الممدوح والبحر فى صفة الجود ، واشتراكُ الليل وموجِ البحرِ فى صفتين هما الظلمة والروْعة . ويسمى وجه الشبه إذا كان كذلك **مفرداً** ، وكونه مفردًا لا يمنع من تعدد الصفات المشتركة ، ويسمى التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه كذلك **تشبيهاً غير تمثيل** .

اُنظر بعد ذلك إلى التشبيهات التالية :

يشبه أَبو فِرَاسٍ حالَ ماء الجدول ، وهو يجرى بين روضتين على شاطئيه حلَّاهما الزَّهْر ببدائع أَلوانه مُنْبَثًّا بين الخُضرة الناضرة ، بحال سيف لماع لا يزال فى بريق جدَّته ، وقد جَرَّدَه القُيُون على بِسَاط من حرير مُطَرَّز . فأَين وجه الشبه ؟ أَتظنُّ أَن الشاعر يريد أَن يَعْقِد تشبيهين : الأَول تشبيه الجدول بالسيف ، والثانى تشبيه الروضة بالبِساط الْمُوَشَّى ؟

(١) العقاب : طائر كاسر معروف بالعز والمنعة ، ويضرب به المثل فى ذلك فيقال : « أمنع من عقاب الجو » وهو خفيف الجناح سريع الطيران .

لاَ ، إنه لم يرد ذلك ، إنما يريد أن يشبّه صورةً رآها بصورة تخيلها ، يريد أن يشبه حال الجدول وهو بين الرياض بحال السيف فوق البساط الموشّى ، فوجه الشبه هنا صورة لا مفرد ، وهذه الصورة مأخوذة أو مُنْتَزَعَة من أشياء عدّة ، والصورة المشتركة بين الطرفين هى وجود بياض مستطيل حوله اخضرار فيه ألوان مختلفة .

ويشبه المتنبي صورة جانبي الجيش : مَيْمَنَتِه ومَيْسَرتِه ، وسيفُ الدولة بينهما ، وما فيهما من حركة واضطراب . بصورة عُقَابٍ تَنْفُض جَناحَيْها وتحركهما ، ووجه الشبه هنا ليس مفردًا ولكنه مُنْتَزَع من متعدد وهو وجود جانبين لشيء فى حال حركة وتموُّج .

وفى البيت الأخير يشبه السَّرِىُّ حال الهلال أبيض لمّاعاً مقوّساً وهو فى السماءِ الزرقاء ، بحال نون من فضة غارقةٍ فى صحيفة زرقاء ، فوجه الشبه هنا صورةٌ منتزعة من متعدد ، وهو وجود شىءٍ أبيض مقوّس فى شىء أزرق. فهذه التشبيهات الثلاثة التى مرت بك والتى رأيت أن وجه الشبه فيها صورةٌ مكوَّنة من أشياءَ عِدَّةٍ يسمى كل تشبيه فيها تمثيلا .

القاعدة

(٨) يُسمّى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيهِ صورة مُنْتَزَعَة من متعدد ، وغيْرَ تَمْثِيل إذَا لم يَكُنْ وجْهُ الشَّبَهِ كذلك .

نَمُوذَجٌ

(١) قال ابن المعتز :

قَدِانْقضَتْ دوْلَةُ الصِّيامِ وقدْ بشَّرَ سُقْمُ الْهِلالِ بِالْعِيدِ
يَتْلُو الثرَيَّا كفَاغِرٍ شرِهٍ يَفْتَحُ فاهُ لِأَكْلِ عُنْقُودِ[1]

(٢) وقال المتنبي فى الرثاء :

وما الموت إلا سارِقٌ دَقَّ شَخصُه يصُولُ بلا كفٍّ ويسْعَى بِلا رِجْلِ[2]

(٣) وقال الشاعر :

وتراه فِى ظُلَمِ الْوَغَى فتَخَالُه قَمرًا يكُرُّ عَلَى الرجال بِكَوْكَبِ

الإجابة

المشبه	المشبه به	الوجه	نوع التشبيه من حيث الوجه
(١) صورة الهلال والثريا أمامه	صورة شره فاتح فاه لأكل عنقود من العنب	صورة شيء مقوس يتبع شيئاً آخر مكوناً من أجزاء صغيرة بيضاء	تمثيل
(٢) الموت	اللص الخفى الأعضاء	الخفاء وعدم الظهور	غير تمثيل
(٣) صورة الممدوح وبيده سيف لامع يشق به ظلام الغبار	صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء	ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ فى وسط الظلام	تمثيل

(١) الثريا : نجوم مجتمعة تشبه العنقود ، وفغر فاه : فتحه .
(٢) يقول : الموت أشبه بلص دقيق الشخص خفى الأعضاء يسعى إلينا من غير أن نشعر به ، ويسطو من حيث لا ندرى : فلا سبيل لنا إلى الاحتراس منه .

تمرينــــات

(١)

بيِّن المشبه والمشبه به فيما يأتى

(١) قال ابن المعتز يصف السماءَ بعد تقشُّع سحابة :

كأَنَّ سماءَنا لمَّا تَجلَّتْ ... خِلالَ نجُومِهَا عِند الصباحِ

رِياضُ بنَفْسجٍ خَضِلٍ نَداهُ ... تَفَتَّح بَيْنَهُ نَوْرُ الأَقاحى[١]

(٢) وقال ابن الرومى :

ما أَنْس لا أَنسَ خَبَّازًا مَررْتُ به ... يدْحُوالرُّقاقَةوشْكَ اللمْحِ بِالبصر[٢]

ما بيْن رُؤْيتِهَا فى كَفِّــهِ كُرةً ... وبَيْن رُؤْيتِهَا قَوْراءَ كالقَمرِ[٣]

إلَّا بِمقدارِ ما تَنْداحُ دائِرةٌ ... فى صفْحةِ الْماءِتَرْمى فِيهِبالحجر[٤]

(٣) وقال فى المشيب :

أولُ بدْءِ المشيبِ وَاحِــدة ... تُشْعِلُ ما جاوَرَتْ مِن الشَّعر

مِثْلُ الحرِيقِ العظِيمِ تَبْدؤهُ ... أَوَّلُ صوْلٍ صغيرةُ الشَّرَرِ[٥]

(٤) وقال آخر :

تقَلَّدتْنى الليالِى وهْى مُدْبِرةٌ ... كأَنَّنى صارِمٌ فِى كَفِّ مُنْهَزِمِ[٦]

---

(١) الخضل : الرطب ، يقول : بعد أن انقشعت هذه الغمامة صارت السماء بين النجوم المنتثرة وقت الفجر كرياض من البنفسج المبتل بالماء تفتحت فى أثنائه أزهار الأقاحى .

(٢) يدحو : يبسط ، وشك اللمح : أى فى سرعة اللمح . واللمح : اختلاس النظر .

(٣) القوراء : المستديرة . (٤) تنداح : تنبسط وتتسع . (٥) الصول : مصدر صال يصول بمعنى وثب وسطا . (٦) الصارم : السيف القاطع .

(٥) وقال تعالى : إنَّما مثَلُ الْحيَاة الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يأْكُلُ النَّاسُ والأَنْعَامُ حتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيهَا [١] أَتَاهَا أَمْرُنا [٢] لَيْلاً أَو نَهارًا فَجَعَلْنَاهَا حصِيدًا [٣] كأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ [٤].

(٦) وقال صاحب كليلة ودمنة :

يبْقَى الصَّالحُ من الرجال صالحاً حتى يُصاحِبَ فاسِدًا فإذا صاحبه فسد ، مثل مياهِ الأَنهارِ تكون عذْبةً حتى تُخَالِط ماءَ البحر فإذا خالطته مَلحتْ . وقال : مَن صنَع معروفاً لِعاجِل الجزاءِ فهو كَمُلْقِي الحب للطير لا لِينْفَعها بل لِيصِيدها به .

(٧) وقال البحترى :

وَجدْتُ نَفْسك مِنْ نَفسى بِمنزلةٍ ... هِي الْمُصافاةُ بَين الماءِ والرَّاحِ [٥]

(٨) وقال أَبو تمَّام فى مُغَنِّيَة تُغنى بالفارسية :

وَلَمْ أَفْهَمْ معـــانِيهَا وَلكن ... وَرتْ كَبدِى فَلَمْ أَجْهلْ شجاها [٦]

فبِتُّ كأَنَّنى أَعْمى مُعَنًّى ... يحبُّ الغانِيـــاتِ ولا يَراها [٧]

(٩) وقال فى صديق عاق :

إنّى وإيَّاكَ كالصادِى رأَى نَهلاً ... ودُونَهُ هُوَّةٌ يخشَى بها التَّلَفَا [٨]

رأَى بِعَيْنَيهِ ماءً عزَّ مَورِدهُ ... ولَيْس يَمْلِكُ دُون الماءِ مُنْصرفَا

---

(١) متمكنون من تثميرها . (٢) أتاها أمرنا : أى أصبناها بآفة تهلك زرعها

(٣) الحصيد : ما يحصد من الزرع ، والمراد جعل زرعها يابساً جافاً .

(٤) كأن لم تغن بالأمس : أى كأن لم يكن بها زرع . (٥) الراح : الخمر

(٦) ورت كبدى : ألهبته ، والشجا مصدر شجى يشجى أى حزن ، والمعنى لم أجهل ما بعثته فى نفسى من الحزن . (٧) المعنى : المتعب الحزين . (٨) الصادى : الظمآن ، والمراد بالنهل هنا مورد الماء ، والهوة : ما انهبط من الأرض

(١٠) وقال الله تَعالَى : مثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يضَاعِفُ لمَن يشَاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ .

(١١) وقال تعالى : اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَة وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَل غَيْثٍ[١] أَعْجَبَ الْكُفَّارَ[٢] نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُون حُطاماً[٣] وَفِى الاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ .

(١٢) وقال تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ[٤] بِقِيعَةٍ[٥] يَحْسَبُهُ الظمانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَه لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاه حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ[٦] يَغْشَاه[٧] مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ[٨] إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَه نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نور[٩].

---

(١) الغيث : المطر (٢) الكفار : الزراع. (٣) الحطام : الشجر اليابس المفتت . يشبه الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا ، وهى حياة اللعب واللهو والزينة والمباهاة بالأحساب والأنساب ، بمطر أنبت زرعاً فنما حتى صار بهجة النفس وقرة العين ، ثم أصابته آفة فاصفر ثم صار شجراً يابساً لا ينفع . (٤) السراب : هو ما يرى فى الفلوات والصحارى عند شدة الحر كأنه ماء وليس به . (٥) القيعة : منبسط من الأرض . (٦) اللجى : العميق . (٧) يغشاه : يغطيه . (٨) ظلمات بعضها فوق بعض : هى ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر . (٩) ومن لم يجعل . . . إلخ : أى من لم يهده الله فما له من هاد .

(٢)

مَيِّز تشبيه التمثيل من غيره فيما يأتى :

(١) قال البوصيرى[١] :

والنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

(٢) وقال فى وصف الصحابة :

كأَنَّهمْ فى ظُهُورِ الخَيْلِ نَبتُ رُباً مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لَامِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ[٢]

(٣) وقال المتنبى فى وصف الأَسد :

يَطأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ فكأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا[٣]

(٤) وقال فى وصف بحيرة فى وسط رياض :

كأَنهـا فى نهارِهـا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِها ظُلَمُ[٤]

(٥) وقال الشاعر :

رُب لَيلٍ قَطَعْتهُ كَصُدُودٍ وفِرَاقٍ ما كانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٍ كالثَّقِيلِ تَقْذَى به العَيْـ ـنُ وتَأْبَى حَدِيثَهُ الأَسْمَاعُ[٥]

(٦) وقال تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيتاً وَإِنَّ أَوْهنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لو كانُوا يَعْلَمُونَ.

---

(١) البوصيرى : كاتب شاعر متصوف حسن الديباجة مليح المعانى ، وأشهر شعره البردة والهمزية ، وقد نظمهما فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ وقبره بها مشهور يزار . (٢) أى أن ثباتهم فوق خيولهم ناشئ من قوة حزمهم وحيطتهم لا من إحكام أحزمة السروج . (٣) الثرى : الأرض ، والتيه : الكبرياء ، والآسى : الطبيب . (٤) حف به : أحاط ، والجنان : جمع جنة وهى البستان . (٥) تقذى به : تتأذى به .

(٧) وقال ابن خَفاجَة[١] :

لِلّهِ نَهْرٌ سالَ فى بَطْحَـاءِ ... أَحْلَى وُرُودًا مِن لَمَى الحَسْناءِ[٢]

مُتَعَطِّفٌ مِثْلُ السِّوارِ كأنَّهُ ... والزهْرُ يَكْنُفُهُ مجرُّ سَماءِ[٣]

(٨) وقال أعرابى فى وصف امرأة :

تِلكَ شمسٌ باهَتْ بها الأَرضِ شمسَ السماء

(٩) وقال تعالى : فَما لَهُمْ عن التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ، كأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ[٤].

(١٠) وقال الشاعر :

فى شجَرِ السَّرْوِ منهُمْ مَثَلٌ ... لهُ رُواءٌ وما لهَ ثَمَرُ[٥]

(١١) وقال التهامى[٦] :

فالعَيْشُ نومٌ والمَنِيَّة يَقْظَةٌ ... والمَرْءُ بَينهُمـا خَيَـالٌ سَارِ

(١٢) وقالَ آخرُ فى وصف امرأة تَبْكى :

كأَنَّ الدُّمُـوعَ على خَدِّها ... بقِيَّةُ طَـلّ على جُلّنَارْ[٧]

---

(١) شاعر من أهل الأندلس ، تعفف عن استماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله ، توفى سنة ٥٣٣ هـ (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه رمل وحصى ، واللمى : سمرة فى الشفتين. (٣) مجر السماء والمجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه طريق بيضاء ملتوية . (٤) القسورة : الأسد والرماة من الصيادين، الواحد قسور.

(٥) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، والرواء . الحسن. (٦) هو على بن محمد التهامى شاعر مشهور من تهامة ، جاء مصر فاعتقل فى سجن القاهرة وقتل سجيناً سنة ٤١٦ هـ

(٧) الطل : أخف من الندى ، الجلنار : زهر الرمان وهو أحمر

(١٣) وقال تعالى :

واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آياتِنا[١] فَانْسَلَخَ مِنْها[٢] فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فكانَ مِنَ الغاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِها وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ[٣] واتَّبَعَ هَوَاهُ فمثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ[٤] يَلْهَثْ[٥] أَو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا فاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .

(١٤) وقال تعالى : مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا[٦] فلمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ[٧] . أَوْ كَصَيِّبٍ[٨] مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكافرينَ . يَكادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا[٩] وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

(١٥) وقال أبو الطَّيب :

أَغارُ مِنَ الزُّجاجةِ وَهْىَ تجْرى ... على شفةِ الأَمِير أَبى الحُسَيْنِ[١٠]

كأَنَّ بَياضهـا والراحِ فِيهَا ... بَياضٌ مُحْدِقٌ بسَوادِ عَيْنِ[١١]

---

(١) الذى آتيناه آياتنا : هو عالم من بنى إسرائيل أعطى علم بعض كتب الله .

(٢) فانسلخ منها : خرج من الآيات بأن كفر بها . (٣) أخلد إلى الأرض : مال إلى الدنيا وحطامها . (٤) إن تحمل عليه : تزجره وتطرده . (٥) يلهث : يخرج لسانه من النفس الشديد عطشاً أو تعباً . (٦) مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً : أى حال المنافقين فى نفاقهم كحال الذى أوقد ناراً ليستضىء بها . (٧) لا يرجعون : أى لا يعودون إلى سبيل الحق.

(٨) أو كصيب ، الصيب : المطر الشديد ، والمراد أصحاب صيب نزل بهم ، فالكلام على حذف مضاف . (٩) قاموا : وقفوا فى مكانهم ، وفى هذه الآيات تشبيه معجز لمن وقع فى الحيرة والدهش . (١٠) الأمير أبو الحسين : هو الحسين بن إسحق التنوخى .

(١١) الراح : الخمر ، وأحدق به : أحاط .

(١٦) وقالَ السريُّ الرَّفَّاء :

والتَهَبَتْ نارُهـا فَمَنْظَرُها	يُغْنيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عجَبِ
إذا ارْتَمَتْ بالشَّرَار واطَّرَدَتْ	على ذُرَاها مَطارفُ اللَّهَب[١]
رَأَيْتَ يَاقوتَةً مُشبَّكَةً	تطيرُ عنْها قُرَاضَةُ الذهَب[٢]

(١٧) وقال فى وصف دولاب[٣] :

أُنْظُرْ إليْهِ كأنَّهُ وكأَنمَا	كِيزَانُهُ والمَاءُ مِنْها ساكِبُ
فَلَكٌ يَدُورُ بأَنْجُمٍ جُعِلَتْ لهُ	كالعِقْدِ فَهْيَ شوَارقٌ وغوَاربُ

(٣)

اجعل كلاًّ مما يأْتى مشبهاً فى تشبيه تمثيل :

(١) جيْشٌ منهزم يَتْبَعهُ جيش ظافر .

(٢) الرجل العالم بين من لا يعرفون منزلته .

(٣) الحازم يَعْمل فى شبابه لِكِبَرِه .

(٤) السفينة تجْرى وقد تَرَكَتْ وراءها أثرًا مستطيلاً .

(٥) المذنب لا يزيدُه النُّصْح إلا تمادياً .

(٦) الشمس وقد غَطاها السحاب إلا قليلا .

(٧) الماء وقد سَطعتْ فوقه أَشعة الشمس وقت الأَصِيل[٤] .

(٨) المتردد فى الأُمور يَجْذِبُهُ رَأىٌ هنا ورأْىٌ هناك .

(٩) الكلِمَة الطيبة لا تُثْمر فى النفوس الخبيثة .

(١٠) المريض وقد أَحَسَّ دبيبَ العافية بعد اليأْس .

---

(١) اطرد الشىء : تبع بعضه بعضاً ، والذرا : جمع ذروة وهى أعلى الشىء ، والمطارف : جمع مِطرَف أو مُطرَف وهو رداء من حرير . (٢) القراضة : فتات المعدن الذى يسقط منه بالقرض . (٣) الدولاب : آلة كالناعورة يستقى بها الماء (الساقية) .

(٤) الأصيل : من العصر إلى الغروب .

(٤)

اجعل كلاً مما يأتى مشبهاً به فى تشبيه تمثيل :

(١) الشعْلة إذا نُكِسَت زادت اشتعالاً .

(٢) الشمس تَحْتجِبُ بالغمام ثم تظهر

(٣) الماءُ يُسرِعُ إلى الأماكن المنخفضة ولا يَصل إلى المرتفعة .

(٤) الجزار يطعم الغنم ليذبحها .

(٥) الأَزهار البيضاء فى مُروج خضراء[١]

(٦) الجَدْوَلُ لا تسمع له خريرًا وآثارُه ظاهرة فى الرياض .

(٧) الماء الزلال فى فم المريض .

(٨) القمر يبدو صغيرًا ثم يصير بدرًا .

(٩) الريح تُميلُ الشجيرات اللَّدْنَة وتَقْصِفُ الأَشجار العالية[٢]

(١٠) الحَمَلُ بين الذئاب[٣].

(٥)

اجعل كل تشبيهين مما يأتى تشبيه تمثيل :

١ الناس كركاب السفينة .
٢ الحوادث كبحر مضطرب .

١ الأَسنة كالنجوم.
٢ القَتَام[٥] كالليل .

١ الشَّيب كالصبح .
٢ الشعر الفاحم[٤] كالليل .

١ القمر كوجه الحسناء .
٢ البحيرة كالمرآة .

---

(١) المروج : جمع مرج وهو مرعى الدواب . (٢) اللدنة : اللينة، تقصف : تكسر .
(٣) الحمل : الخروف (٤) الفاحم : الأسود . (٥) القتام : الغبار .

(٦)

اشرح قول مسلم بن الوليد [١] وبيِّن ما فيه من حُسْن وروعة :

وإنِّى وإسْمَاعيــلَ يَوْمَ وَفاتِه ‍‍‍‍‍‍‍‍‍ لكالغِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ فارقهُ النَّصْلُ [٢]

فإنْ أغشَ قوْمًا بعْدَهُ أو أزُرْهُم ‍‍‍‍ فكالْوَحْشِ يُدْنيها من الأَنَسِ المَحْلُ [٣]

(٧)

صف بإيجاز حال قوم اجترَف سَيْلٌ قريتَهم وَاعْملْ على أن تأْتى بتشبيهىْ تمثيل فى وصفك .

(٤) التَّشْبيه الضّمنى

الأَمثلة :

(١) قال أَبو تمام :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى [٤]

فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكانِ الْعالِى

(٢) وقال ابن الرومى :

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً

أَنْ يُرَى النَّورُ فِى الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

---

(١) كان يلقب بصريع الغوانى ، وكان شاعراً متصرفاً فى شعره ، ويقال إنه أول من تعمد البديع فى شعره ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، وكانت وفاته سنة ٢٠٨ هـ

(٢) فى رواية يوم وداعه ، النصل : حديدة السهم والرمح والسيف والسكين .

(٣) الأنس : مصدر أنس ضد توحش ، والمحل : الجوع الشديد

(٤) العطل : الخلو من الحلى .

(٣) وقال أبو الطيب :

مَنْ يَهُنْ يَسْهُل الْهَوَانُ عَليهِ
ما لِجُــرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلَام

البحث :

قد ينْحُو الكاتب أو الشاعر مَنْحًى من البلاغة يُوحى فيه بالتشبيه من غير أن يُصرِّح به فى صورة من صوره المعروفة[1] يَفْعَل ذلك نُزوعاً إلى الابتكار ، وإقامةً للدليل على الحكم الذى أسنده إلى المشبه ، ورغبةً فى فى إخفاء التشبيه ، لأن التشبيه كلما دقّ وخفىَ كان أبلغَ وأفعلَ فى النفس.

انظر بيت أبى تمام فإنه يقول لمن يخاطبها : لاتستنكرى خلوَّ الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيباً لأن قِمَمَ الجبال وهى أشرفُ الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماءُ السيل . ألم تلمح هنا تشبيهاً ؟ ألم تر أنه يشبه ضِمْناً الرجلَ الكريم المحروم الغِنى بِقمّة الجبل وقد خلت من ماءِ السيل ؟ ولكنه لم يَضَعْ ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان .

ويقول ابن الرومى : إنَّ الشابَّ قد يَشيبُ ولم تتقدم به السن ، وإن ذلك ليس بعجيب فإن الغصن الغض الرطب قد يظهر فيه الزهر الأبيض . فابن الرومى هنا لم يأْت بتشبيه صريح فإنه لم يقل : إن الفتى وقد وَخَطه

---

(١) صور التشبيه المعروفة هى ما يأتى :
ما ذكرت فيه الأداة نحو الماء كاللجين . أو حذفت والمشبه به خبر نحو الماء لجين ، وكان الماء لجيناً . أو حال نحو سال الماء لجيناً . أو مصدر مبين للنوع مضاف نحو صفا الماء صفاء اللجين أو مضاف إلى المشبه نحو سال لجين الماء . أو مفعول به ثان لفعل من أفعال اليقين والرجحان نحو علمت الماء لجيناً ، أو صفة على التأويل بالمشتق نحو سال ماء لجين ، أو أضيف المشبه إلى المشبه به بحيث يكون الثانى بياناً للأول نحو ماء اللجين أى ماء هو اللجين . أو بين المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين .

الشيب كالغصن الرطيب حين إزهاره ، ولكنه أتى بذلك ضمناً .

ويقول أبو الطيب : إنَّ الذى اعتادَ الهوان يسهلُ عليه تحمُّلهُ ولا يتألم له ، وليس هذا الادعاءُ باطلاً ؛ لأن الميت إذا جُرِحَ لا يتألم ، وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة .

فنى الأبيات الثلاثة تَجِدُ أركانَ التشبيه وتَلْمَحُهُ ولكنك لا تَجِدُه فى صورة من صوره التى عرفتها ، وهذا يسمى بالتشبيه الضمنى .

القاعدة

(٩) التشبيهُ الضِّمنىُّ : تشبيهٌ لا يُوضعُ فيه الْمُشَبَّهُ والمشبَّهُ بِهِ فى صورةٍ من صُور التشبيه المعروفةِ بَلْ يُلْمَحان فى التركيبِ . وهذا النوع يُؤْتَى به لِيُفيدَ أن الحُكْمَ الذى أُسْنِدَ إلَى المشَبَّه مُمكنٌ .

نَموذَجٌ

(١) قال المتنبى :

وَأَصْبَحَ شِعْرِى منهما فى مكانه وفى عُنُقِ الحَسْناء يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ[1]

(٢) وقال :

كَرَمٌ تَبَيَّنَ فى كلامِك ماثلاً ويَبِينُ عِتقُ الْخَيْل من أَصواتِها[2]

---

(١) أى أصبح شعرى فى مدح الأمير وأبيه فى المكان اللائق به لأنهما أهل الثناء فاستحسن وقعه فيهما كما يستحسن العقد فى عنق الحسناء . (٢) يقول : من سمع كلامك عرف منه كرم أصلك كما يعرف الفرس العتيق الكريم من صهيله .

الإجابة

المشبه	المشبه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
(١) حال الشعر يثنى به على الكريم فيزداد الشعر جمالا لحسن موضعه	حال العقد الثمين يزداد بهاء فى عنق الحسناء	زيادة جمال الشىء لجمال موضعه	ضمنى
(٢) حال الكلام وأنه ينم عن كرم أصل قائله	حال الصهيل الذى يدل على كرم الفرس	دلالة شىء على شىء	ضمنى

تمرينات

(١)

بين المشبَّه والمشبَّه به ونوع التشبيه فيما يأْتى مع ذكر السبب :

(١) قال البحترى :

ضَحُوكٌ إلى الأَبْطالِ وهْوَ يَرُوعُهم ... وللسَّيفِ حَدٌّ حين يَسْطُو ورَوْنَقُ[1]

(٢) وقال المتنبى :

ومِنَ الْخَيرِ بطءُ سَيْبِكَ عَنى ... أَسْرَعُ السُّحْبِ فى المَسِيرِ الْجَهَام[2]

(٣) وقال :

لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِه ... وهَلْ يَرُوق دَفيناً جَوْدَةُ الكَفَن[3]

(٤) وقال :

ومَا أنا مِنْهمُ بالعَيشِ فيهمْ ... وَلكِنْ معْدِن الذَّهَبِ الرَّغامُ[4]

(٥) وقال أبو فراس :

سَيَذْكُرنى قَوْمى إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وفى اللَّيْلَة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْر[5]

---

(١) يروعهم : يخيفهم ويفزعهم ، ورونق السيف : بريقه .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : السحاب لا ماء فيه . يقول : بطء وصول عطائك خير لى ويقيم البرهان . (٣) المضيم : المظلوم ، والبزة : اللباس ، وراقه الشىء : أعجبه .

(٤) الرغام : التراب ، والمقصود فى البيت أنه ليس مشابهاً للناس الذين يعيش بينهم .

(٥) جد جدهم : أى اشتد بهم الأمر وحل بهم الكرب ، ويفتقد : يطلب عند غيبته .

(٦) تَزْدَحِمُ القُصَّادُ فِي بَابِهِ والمَنْهل العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحام

(٢)

بيِّن التشبيه الصريح ونوعَه والتشبيهَ الضمنى فيما يأتى :

(١) قال أبو العتاهية[1] :

تَرْجُو النَّجاةَ ولَمْ تَسلك مَسَالِكها؟ إنَّ السَّفينَةَ لاَ تجْرِى على اليَبَسِ

(٢) قال ابن الرومى فى وصف المِدَاد :

حِبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعابُ الليل كأنَّهُ أَلْوَانُ دُهْمِ الْخَيْلِ[2]

يَجْرِى إلى الإخْوَانِ جَرْىَ السَّيْل بِغَيْرِ وَزْنٍ وبِغَيْرِ كَيْل

(٣) قال الشاعر :

ويْلاَهُ إنْ نَظَرتْ وإنْ هى أَعْرَضَتْ وَقْـعُ السِّهامِ ونَزْعُهُنَّ أَلِيمُ

(٤) المؤمن مِرآة المؤمن .

(٥) وقال البحترى فى وصف أخلاق ممدوحه :

وَقَدْ زَادَهَا إفْرَاطَ حُسْن جِوارُها خَلائِقَ أَصْفَار مِنَ المَجْدِ خُيَّبِ[3]

وحُسْنُ دَرَارِىءِ الكَوَاكِب أَنْ تُرَى طَوَالِعَ فى داجٍ مِنَ اللَيْل غَيْهَب[4]

(٣)

حوِّل التشبيهات الضمنيَّةَ الآتية إلى تشبيهات صريحة :

(١) قال أبو تمام :

اِصْبِرْ على مَضَض الحَسُو د فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُه[5]

---

(١) هو أبو إسحق إسماعيل بن القاسم ، ولد ونشأ بالكوفة سنة ١٣٠ هـ ، وكان شعره سهل اللفظ كثير المعانى قليل التكلف ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، توفى سنة ٢١١ هـ .

(٢) دهم : جمع أدهم وهو الأسود . (٣) الصفر مثلثة الصاد : الخالى .

(٤) الدرارىء بالهمزة ويسهل : النجوم العظام التى لا تعرف أسماؤها ، والغيهب : المظلم .

(٥) المضض : وجع المصيبة .

النــارُ تـأْكُلُ بَعْضَهـا   إنْ لَمْ تجـد ما تأْكلهْ

(٢) وقال :

لَيْس الْحِجَابُ بِمقْصٍ عَنْكَ لى أملا   إنَّ السَّماءَ تُرَجَّى حين تحتَجبُ[1]

(٣) وقال أبو الطيب :

فإنْ تَفقِ الأَنام وأَنْتَ مِنْهمْ   فإنَّ المسْكَ بعْضُ دمِ الغَزَال[2]

(٤) وقال :

أَعْيا زَوَالكَ عَنْ مَحلٍّ نِلْتَهُ   لَا تخْرُجُ الأَقمارُ عَنْ هالاتها[3]

(٥) وقال :

أَعاذَكَ اللهُ مِن سِهامِهم   ومُخطئٌ منْ رَميُّهُ الْقمَرُ[4]

(٦) وقال :

لَيْسَ بالمنْكَرِ أَنْ بَرَّزْتَ سَبْقاً   غيْرُ مَدفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابُ[5]

(٤)

حوِّل التشبيهات الصريحة الآتية إلى تشبيهات ضمنيَّة :

(١) قال مسلم بن الوليد فى وصف الراح وهى تُصَبُّ من إبريق :

كأَنَّها وَحبابُ الماءِ يقْرَعُها   دُرٌّ تَحَدَّرَ فى سِلكٍ مِنَ الذَّهَب[6]

(٢) قال ابن النبيه[7] :

والليل تَجْرى الدَّرارى فى مَجَرَّتِه   كالرَّوْض تطْفُو على نَهرٍ أَزاهِر[8]

---

(١) يقصد بالحجاب هنا احتجابٌ الأمير الممدوح عن قصاده ، وتحتجب : تختفى عن الناس بالغمام . (٢) يقول لا عجب أن فضلت الناس وأنت واحد منهم؛ فإن بعض الشىء قد يفوق جملته كالمسك فإنه بعض دم الغزال وهو يفضله . (٣) يقول : تعذر انتقالك من المنزلة السامية التى نلتها، والهالة : دائرة من شعاع تحيط بالقمر . (٤) أعاذك الله : حفظك ، والرمى : المرمى يقول : إن من يرمى القمر بسهم مخطئ لا محالة ؛ لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميه . (٥) برز : سبق أصحابه ، وسبقاً مفعول مطلق مرادف أو حال بمعنى سابقاً ، والعراب : الخيل العربية. (٦) حباب الماء : فقاقيعه التى تطفو . (٧) هو شاعر منشئ من أهل مصر ، مدح الأيوبيين ، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى ، ورحل إلى نصيبين فتوفى فيها سنة ٦١٩ هـ . (٨) المجرة : نجوم كثيرة لا ترى ، ويرى ضوؤها فى انبساط واعوجاج .

(٣) وقال بَشَّارُ بنُ بُرْد[1] :

كأَنَّ مُثارَ النَّقعِ فَوْقَ رُءوسِنا ... وأَسْيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَوَاكِبُهْ[2]

(٥)

كوِّن تشبيهاً ضمنيًّا من كل طرفين مما يأْتى :

(١) ظهور الحق بعد خفائه وبروز الشمس من وراءِ السحب

(٢) المصائب تظهر فضل الكريم والنار تزيد الذهب نقاءً .

(٣) وعد الكريم ثم عطاؤُه والبرق يَعْقُبُه المطر .

(٤) الكلمة لا يستطاع ردها والسهم يخرج من قوسه فيتعذر رده .

(٦)

هات تشبيهين ضمنيين ، الأَول فى وصف حديقة ، والثانى فى وصف طيارة .

(٧)

اشرح قول أَبى تمام فى رثاءِ طفلين لعبد الله بن طاهر[3] وبيِّن نوع التشبيه الذى به :

لهفى على تِلْكَ الشَّواهِد منهما ... لَوْ أُمْهِلَتْ حَتى تكونَ شمائِلاَ[4]

إِنَّ الهِلالَ إِذا رَأَيتَ نُمُوَّه ... أَيقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كاملاَ

---

(١) كان شاعراً مشهوراً ، أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين المجيدين من الشعراء ، وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، توفى سنة ١٦٧ هـ . (٢) النقع : الغبار ، وتهاوى أصله تتهاوى : أى تتساقط . والشاعر يصف قومه فى ساعة القتال . (٣) هو أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى ، ولد سنة ١٨٢ هـ وتوفى بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ وكان من أكثر الناس بذلا للمال مع علم ومعرفة وتجربة . (٤) يقصد بالشواهد دلائل النبل والنبوغ ، والشمائل جمع شمال : وهو الطبع .

(٥) أغراض التشبيه

الأمثلة :

(١) قال البحترى :

دَانٍ إلى أَيْدِى العُفَاةِ وشَاسِعٌ ... عَنْ كلِّ نِدٍّ فى النَّدى وضَرِيبِ
كالْبَدْرِ أفرَطَ فى العُلُوِّ وضَوْءُهُ ... لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

* * *

(٢) وقال النابغة الذُّبْيانىُّ [١] :

كأَنَّكَ شَمْسٌ والْمُلوكَ كَواكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

* * *

(٣) وقال المتنبى فى وصف أَسد :

مَا قوبِلَتْ عَيناه إِلَّا ظُنَّتا ... تَحتَ الدُّجَى نارَ الْفَرِيقِ حُلولا [٢]

* * *

(٤) وقال تعالى :

وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ .

---

(١) شاعر من شعراء الجاهلية ، وسمى النابغة لنبوغه فى الشعر ، شهد له عبد الملك بن مروان بأنه أشعر العرب وكان خاصاً بالنعمان ومن ندمائه ، وكانت تنصب له قبة حمراء بسوق عكاظ فيأتى إليه الشعراء ينشدونه أشعارهم فيحكم فيها ، وقد مات قبيل البعثة . (٢) الدجى : جمع دجيه وهى الظلمة ، والفريق : الجماعة ، وحلولا : أى مقيمين وهو حال من الفريق .

* * *

(٥) وقال أَبو الحسن الأَنبارىّ[١] فى مصلوب :

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفاءً كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بالهباتِ[٢]

* * *

وقال أَعرابى فى ذم امرأته :

وتَفْتَحُ - لا كانتْ - فماً لَوْ رَأَيْتَهُ تَوَهَّمْتَهُ باباً مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ

البحث :

وَصَف البحترى ممدوحه فى البيت الأَول بأَنه قريب للمحتاجين ، بعيدُ المنزلة ، بينه وبين نُظَرَائه فى الكرم بَوْنٌ شاسع . ولكنّ البحترىّ حينما أَحس أنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين ، هما القُرب والبُعد ، أَراد أَن يبين لك أَن ذلك ممكن ، وأَن ليس فى الأَمر تناقض ؛ فشبّه ممدوحه بالبدر الذى هو بعيد فى السماء ولكنَّ ضوءه قريب جدًّا للسائرين بالليل ، وهذا أَحد أَغراض التشبيه وهو بيان إمكان المشبَّه .

والنَّابغة يُشبِّه ممدوحه بالشمس ويُشبِّه غيره من الملوك بالكواكب ، لأَن سطوة الممدوح تَغُضُّ من سطوةِ كل ملك كما تخفى الشمس الكواكب فهو يريد أَن يبين حالَ الممدوح وحالَ غيره من الملوك ، وبيان الحال من أَغراض التشبيه أَيضاً .

وبيت المتنبي يصف عَيْنَى الأَسد فى الظلام بشدة الاحمرار والتوقد حتى إن من يراهما من بُعْد يظنهما نارًا لقومٍ حُلول مقيمين ، فلو لم يعْمدِ المتنبي إلى التشبيه لقالَ : إنَّ عَيْنَيِ الأَسد محمرتان ولكنه اضْطُرَّ إلى

(١) هو أبو الحسن الأنبارى أحد الشعراء المجيدين عاش فى بغداد ، وتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، وقد اشتهر بمرثيته التى رثى بها أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب ، وهى من أعظم المراثى ولم يسمع بمثلها فى مصلوب ، حتى إن عضد الدولة الذى أمر بصلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه .

(٢) الاحتفاء : المبالغة فى الإكرام ، والهبات : جمع هبة والمقصود بها العطية .

التشبيه لِيُبَيِّن مقدار هذا الاحمرار وعِظَمَه ، وهذا من أغراض التشبيه أيضاً .

أمّا الآية الكريمة فإنها تتحدَّث فى شأْن من يَعْبدون الأَوثان ، وأَنهم إذا دَعَوْا آلهتَهم لا يستجيبون لهم ، ولا يَرْجع إليهم هذا الدعاءُ بفائدة ، وقد أَراد الله جل شأْنه أَن يُقَرِّر هذه الحال ويُثَبِّتَها فى الأَذهان ، فشبَّه هولاء الوثنيين بمن يبسُط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماءُ إلى فمه بالبداهة ؛ لأَنه يَخْرُجُ من خلال أَصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين ، فالغرض من هذا التشبيه تقرير حال المشبَّه ، ويأْتى هذا الغرض حينما يكون المشبَّه أمرًا معنويًّا ؛ لأَن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمَها بالحسيَّات فهى فى حاجة إلى الإقناع .

وبيت أَبى الحسن الأَنبارى من قصيدة نالت شهرة فى الأَدب العربى لا لشيءٍ إلا أَنها حسّنت ما أَجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه « وهو الصَّلْب » فهو يشبّه مدّ ذراعى المصلوب على الخشبة والناس حولَه بمدِّ ذراعيه بالعطاء للسائلين أَيام حياته ، والغرض من هذا التشبيه التزيين ، وأَكثر ما يكون هذا النوع فى المديح والرثاء والفخر ووصف ما تميل إليه النفوس .

والأَعرابى فى البيت الأَخير يتحدث عن امرأته فى سُخط وأَلمٍ ، حتى إنّه ليدعو عليها بالحرمان من الوجود فيقول : « لا كانت » ، ويشبه فمها حينما تفتحه بباب من أَبواب جهنم ، والغرض من هذا التشبيه التقبيح ، وأَكثر ما يكون فى الهجاء ووصفِ ما تنفِر منه النفس .

القاعدة

(١٠) أَغْرَاض التشبيهِ كثيرةٌ[1] منها ما يأْتى :

(ا) بيانُ إمْكانِ المشبَّه : وذلك حِينَ يُسْنَدُ إليْهِ

---

(١) الأغراض المذكورة فى القاعدة ترجع جميعها كما ترى إلى المشبه ، وهذا هو الغالب ، وقد ترجع إلى المشبه به وذلك فى التشبيه المقلوب وسيأتى .

أمرٌ مُسْتغْرَبٌ لا تزول غرابتُه إلَّا بذكر شبيهٍ له .

(ب) بيانُ حالِهِ : وذلك حينما يكونُ المشبَّهُ غيرَ معروفِ الصفةِ قَبْلَ التشبيه فيُفيدُهُ التشبيهُ الوصفَ .

(حـ) بيانُ مقدار حالِهِ : وذلك إذا كان المشبَّهُ معروفَ الصفةِ قَبْلَ التشبيهِ مَعْرِفَة إجْماليَّةً وكان التشبيه يُبَيِّنُ مقدارَ هذه الصفةِ .

(د) تَقْرِيرُ حالِهِ : كما إذا كان ما أُسْنِدَ إلى المشبَّه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثالِ .

(هـ) تَزْيِينُ الْمُشَبَّهِ أَو تَقْبِيحُهُ .

نموذج

(١) قال ابن الرومى فى مدح إسماعيل بن بُلْبُل :

وَكم أَبٍ قَدْ علا بِابْنٍ ذُرَا شَرَفٍ   كمَا علَا بِرسولِ الله عَدْنَانُ

(٢) وقال أبو الطَّيب فى المديح :

أَرَى كلَّ ذِى جُودٍ إلَيْكَ مَصِيرُه   كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالمُلُوكُ جَدَاوِلُ

الإجابة

المشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
(١) علو الأب بالابن	علو عدنان بالرسول	ارتفاع شأن الأول بالآخر	إمكان المشبه
(٢) الضمير فى كأنك	بحر	العظم	بيان حال المشبه
(٣) الملوك	جداول	الاستمداد من شيء أعظم	« « «

تمرينات

(١)

بيِّن الغرض من كل تشبيه فيما يأْتى :

(١) قال البحترى :

دَنوْتَ تَواضُعاً وعَلَوت مَجْدًا ... فَشأْناكَ انْخِفاض وارْتِفاعُ

كذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسامَى ... ويَدْنُو الضَّوْءُ منها والشعَاعُ

(٢) قال الشريف الرضىّ[1].

أُحِبكِ يَا لَوْنَ الشَّبَاب لأَننى ... رَأَيْتُكما فى القلْبِ والعينِ تَوْءَمَا[2]

سَكَنْتِ سَوَادَ القَلْبِ إذ كنْتِ شِبْهَهُ ... فلَمْ أَدرِ منْ عِزٍّ مَنِ القَلْبُ منْكما

(٣) وقال صاحب كليلة ودمنة :

فضلُ ذى العلمِ وإن أَخفاه كالمسك يُسْتر ثم لا يَمْنَعُ ذلك رائحتَه أَن تفوح .

(٤) وقال الشاعر :

وأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَداة كقَابضٍ ... عَلَى المَاءِ خَانَتْه فُرُوجُ الأَصابع

(٥) وقال المتنبى فى الهجاء :

وإذا أَشَارَ مُحَدِّثاً فكأَنَّه ... قِرْدٌ يُقَهقه أَوْ عَجوزٌ تلْطِم

(٦) وقال السّرِىّ الرَّفاء :

لى مَنزِلٌ كوِجار الضَّبِّ أنزِلُهُ ... ضَنْكٌ تقَارَبَ قُطْرَاهُ فقدْ ضَاقا[3]

أَرَاهُ قَالَبَ جِسمِى حين أَدْخُلهُ ... فَمَا أَمُدُّ بهِ رِجلاً ولا سَاقَا

---

(١) هو أبو الحسن محمد ينتهى نسبه إلى الحسين بن على كرم الله وجهه، وكان ذا هيبة وعفة وورع ، ويقال إنه أشعر قريش ؛ لأن المجيد منهم ليس بمكثر، والمكثر ليس بمجيد أما هو فقد جمع بين الإجادة والإكثار ، ولد ببغداد وتوفى بها سنة ٤٠٦ هـ . (٢) التوءم من جميع الحيوان : المولود مع غيره فى بطن ، ويقال هما توءمان وهما توءم ، يريد بالتوءم هنا النظيرين . (٣) الوجار : الجحر ، الضنك : الضيق ، والقطر : الجانب .

(٧) وقال ابن المعتز :

غَـدِيرٌ تُرَجْـرِجُ أَمْـواجَهُ هُبُوبُ الرِّياحِ ومَرُّ الصَّبا[١]
إذا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أشرَقَتْ تَوَهَّمْتَـهُ جَوْشَـناً مُذْهَبا[٢]

(٨) وقال سعيد بن هاشم الخالدى[٣] من قصيدة يصف فيها خادماً له :

مـا هُو عَبْدٌ لكنَّه وَلَدٌ خَـوَّلَنيهِ المُهَيْمِنُ الصَّمَدُ
وشَدَّ أزرِى بِحُسْنِ خِدْمَتِه فَهوَ يَدِى والذِّرَاعُ والعَضُدُ

(٩) وقال المعرى فى الشيب والشباب :

خَبِّرِينى مَاذَا كَرِهْتِ مِن الشَّيْـ بِ فَلاَ عِلْمَ لِى بِذَنْبِ المشِيبِ
أَضِياءُ النَّهـارِ أَم وَضَحُ اللؤْ لؤِ أَمْ كوْنُهُ كثغْرِالحَبِيبِ؟[٤]
واذكُرِي لِى فَضْلَ الشبَابِ وما يَجْـ مَعُ مِنْ منْظَرٍ يَرُوقُ وطِيبِ
غَدْرُهُ بِالخَلِيلِ أَم حُبُّـه لِلْـ غَيِّ أَمْ أَنَّهُ كَعَيْش الأَدِيب ؟

(١٠) ومما ينسب إلى عنترة[٥] :

وأَنا ابْنُ سَوْدَاءَ الجَبِينِ كأَنَّهَا ذِئبٌ تَرَعْرَعَ فى نَوَاحِي المَنْزِلِ
السّاقُ مِنْهَا مِثْلُ سَاقِ نَعَامَةٍ والشَّعْرُ مِنْها مِثلُ حبِّ الفُلْفُلِ

(١١) وقال ابن شُهَيْد الأَندلسى[٦] يصف بُرْغُوثاً :

أَسْودُ زَنجىّ ، أَهلىٌّ وحشىّ ، ليس بِوَانٍ ولا زُمّيل [٧] ، وكأَنَّه جزءٌ

---

(١) الصبا : ريح مهبها من الشرق . (٢) الجوشن : الدرع . (٣) شاعر من بنى عبد القيس كان أعجوبة فى قوة الحافظة ، وله تصانيف فى الأدب وديوان شعر ، توفى سنة ٤٠٠ هـ.

(٤) الوضح : الضوء والبياض .

(٥) هو من شعراء الطبقة الأولى كانت أمه حبشية . وقد اشتهر بالشجاعة والإقدام وتوفى قبل ظهور الإسلام بسبع سنين . (٦) هو من بنى شهيد الأشجعى أحد أفراد الأندلس أدباً وعلماً ، وله شعر جيد وتصانيف بديعة ، وتوفى بقرطبة مسقط رأسه سنة ٤٢٦ هـ

(٧) الزميل : الضعيف .

لايتجزأ من ليْل ، أو نقطةٌ مِدَاد ، أو سويداءُ[١] فؤاد ، شُرْبُهُ عبٌّ[٢] ، ومشيه وثْبٌ ، يَكمنُ نهارَهُ ، ويسير ليلَه ، يُدَارِك[٣] بطعن مؤلم ، ويستحلُّ دم البرىء والمجرم ، مُساورٌ[٤] للأَساوِرة[٥] ، ومُجَرَّدٌ نَصْله[٦] على الجبابرة لا يُمْنَعُ منه أمير ، ولا تَنفَعُ فيه غيرةُ غيور ، وهو أحقرُ حقير ، شرُّه مبعوث[٧] ، وعهدُه منكوث[٨] ، وكَفى بهذا نقصاناً للإنسان ، ودلالةً على قدرة الرحمن .

(٢)

(١) كوِّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان حال النَّمِر .

(٢) » » » » » » الكرة الأرضية .

(٣) » » » » » مقدار حال دواءٍ مرّ .

(٤) » » » » » » » بيار شبت فى منزل .

(٥) » » » » تقرير حال طائش يرمى نفسه فى المهالك ولايدرى .

(٦) » » » » » » » من يعيش فى ظلام الباطل ويوذيه نور الحق .

(٧) كوِّن تشبيهاً الغرضُ منه بيان إمكان العظيم من شىء حقير .

(٨) » » » » » » » أن التعب يُنتج راحة ولذة .

(٩) » » لتزيين الكلب .

(١٠) » » » الشيخوخة .

(١١) » » لتقبيح الضّيف .

(١٢) » » » الشتاء .

---

(١) السويداء : حبة القلب . (٢) العب : شرب بلا مص . (٣) يدارك : يتابع . (٤) مساور : مواثب ومهاجم . (٥) الأساورة : جمع أسوار وهو قائد الفرس ، أو من يحسن رمى السهام ، أو الثابت على ظهر الفرس . (٦) النصل : حديدة السيف والسهم والرمح والسكين . (٧) مبعوث : منتشر . (٨) منكوث : منقوض .

اشرح بإيجاز الأبيات الآتية وبيِّن الغرض من كل تشبيه فيها :

وَقَانا لَفْحَةَ الرَّمْضاءِ وَادٍ ... سَقاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العَميمِ (١)

نَزَلْنا دَوْحَــهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطِيمِ (٢)

وأَرْشَفَنَا على ظَمَأٍ زُلَالا ... أَلَذَّ مِنَ المُدَامةِ لِلنَّدِيمِ (٣)

(٦) التشبيه المقلوب

الأَمثلة :

(١) قال محمد بن وُهَيْب الحِمْيَرِىُّ (٤) :

وبَدَا الصَّباحُ كأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

(٢) وقال البحترىّ :

كأَنَّ سَناها بِالْعَشِيِّ لِصُبْحِها ... تَبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بالْوَعْدِ

(٣) وقال آخر :

أَحِنُّ لَهُمْ ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... كأَنَّ فَسِيحَها صَدْرُ الحَلِيمِ

البحث :

يقول الْحِمْيَرِى : إنَّ تباشير الصباح تشبه فى التلألُؤ وجه الخليفة عند سماعه المديح ، فأنت ترى هنا أنَّ هذا التشبيه خرج عما كان

(١) لفح النار : إحراقها ، والرمضاء : شدة الحر أو الأرض الحارة من شدة حر الشمس .

(٢) الدوح : واحده دوحة وهى الشجرة ، والمعنى نزلنا ظل دوحة . (٣) أرشفنا : سقانا . (٤) هو متشيع من شعراء الدولة العباسية بصرى الأصل بغدادى النشأة ، اتصل بالمأمون ومدحه ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات

مستقرًّا فى نفسك من أن الشيء يُشَبَّه دائماً بما هو أقوى منه فى وجه الشبه ، إذ المألوف أن يقال إنّ وجه الخليفة يشبه الصباح ، ولكنه عكس وقلب للمبالغة والإغراق بادعاء أن وجه الشبه أقوى فى المشبه ؛ وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع .

ويشبه البحترى برق السحابة الذى استمر لماعاً طوال الليل بتبسم ممدوحه حينما يَعِدُ بالعطاء ، ولا شك أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام ، فكان المعهود أن يشبه الابتسام بالبرق كما هى عادة الشعراء ، ولكن البحترى قلب التشبيه .

وفى المثال الثالث شُبِّهت الفلاة بصدر الحليم فى الاتساع ، وهذا أيضاً تشبيه مقلوب .

القاعدة :

(١٢) التشبيهُ المقلوبُ هو جعل المشبَّهِ مشبَّهاً به بادِّعاء أَنَّ وجه الشبه فيه أَقوى وأَظهَر .

نَمُوذَجٌ

(١) كأَن النسيم فى الرقة أخلاقه. (٢) وكأَن الماءَ فى الصفا طباعه.
(٣) وكأَن ضوءَ النهار جبينه . (٤) وكأَن نشر الروض حسن سيرته .

---

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبى فى كتاب حسن التوسل وسماه تشبيه التفضيل ، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به ، ومثل له بقول الشاعر : حسبت جماله بدراً مضيئاً ... وأين البدر من ذاك الجمال
ومنه قول المتنبى فى سيف الدولة : ولما تلقاك السحاب بصوبه ... تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم
وقول الشاعر : من قاس جدواك يوماً ... بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكى ... وأنت تعطى وتضحك

الإجابة

المشبــــه	المشبه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
(١) النسيم	أخلاقه	الرقة	مقلوب
(٢) الماء	طباعه	الصفاء	مقلوب
(٣) ضوء النهار	جبينه	الإشراق	مقلوب
(٤) نشر الروض	حسن سيرته	جميل الأثر	مقلوب

تمرينـــات

(١)

لِمَ كان التشبيه مقلوباً فيما يأتي ؟

(١) قال ابن المعتز :

وَالصُّبْحُ فِي طُرَّةِ لَيْلٍ مُسْفِرِ كَأَنَّهُ غُـــرَّةُ مُهْرٍ أَشْقَرِ[1]

(٢) وقال البحترى :

فِى حُمْرَةِ الْوَرْدِ شَىْءٌ من تَلَهُّبِهَا وللقَضِيبِ نَصِيبٌ من تَثَنِّيها

(٣) وقال أيضاً فى وصف بركة المتوكل :

كَأَنَّها حين لَجَّتْ فى تدَفقِهـــا يَدُ الخَلِيفة لَمَّا سَال وَادِيها[2]

(٤) سارت بنا السفينة فى بحر كأَنَّه جَدْواك ، وقد سطع نور البدر كأَنَّه جَمال مُحيَّاك .

---

(١) طرة الشىء : طرفه ، وليل مسفر : أى دخل فى الإسفار وهو ظهور الفجر ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، والمهر الأشقر : الأحمر الشعر . (٢) لج فى الأمر من (بابى ضرب وفتح) : تمادى واستمر .

(٢)

ميِّز التشبيه المقلوب من غير المقلوب فيما يأتى وبيِّن الغرض من كل تشبيه :

(١) كأنَّ سوادَ الليلِ شعرٌ فاحم

(٢) قال أبو الطيِّب :

يَزُورُ الأَعادِى فى سَمَاءِ عجَاجَةٍ   أَسنَّتُهُ فى جَانِبَيْها الكَواكِبُ[1]

(٣) كأنَّ النَّبْلَ كَلامُه وكأنَّ الوَبْلَ[2] نواله .

(٤) قال الأَبِيوَرْدى[3] :

كلماتِى قَلائدُ الأَعْنَـاقِ   سَوْفَ تَفْنَى الدُّهُورُ وهْىَ بَوَاق

(٥) أرسلَ أحدُ كتَّاب المأْمون[4] إليه فرساً وقال :

قَدْ بَعَثْنَا بِجَـوَادٍ   مِثْلُهُ لَيْسَ يُرامُ
فَرَسٌ يُزْهَى بِه للـ   ـحُسْنِ سَرْجٌ ولِجَام[5]
وجْهُهُ صُبْحٌ ولكنْ   سائر الجسْمِ ظَلَامُ
والذى يَصْلحُ للمَوْ   لَى على العَبْدِ حرامُ

(٣)

حوِّل التشبيهات الاتية إلى تشبيهات مقلوبة وبيِّن أَيُّها أبلغ :

(١) قال البحترىّ يصف قصرًا فوق هَضْبة :

فى رأس مشرفةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ   وتُرَابها مسْك يشاب بِعَنْبَرِ

(١) العجاجة ، الغبار ، والأسنة جمع سنان : وهو طرف الرمح . (٢) الوبل : المطر الشديد المستمر ، والنوال : العطاء . (٣) شاعر فصيح راوية نسابة له مصنفات فى اللغة لم يسبق إلى مثلها ، وقد مات بأصبهان سنة ٥٥٨ هـ والأبيوردى نسبة إلى أبيورد بليدة بخراسان .

(٤) هو ابن الخليفة هرون الرشيد ، كان عالماً فاضلا ، وقد برع فى العربية ومهر فى الفلسفة ، واشتهر بجوده وفصاحته ، وكان من أكبر رجال بنى العباس حزماً وعزماً ودهاء وشجاعة ، توفى سنة ٢١٨ هـ   (٥) يزهى بكذا : يتيه ويتكبر ، وسرج نائب فاعل .

(٢) وقال :

وكانَتْ يَدُ الفَتْح بنِ خَاقان عندَكم ... يَدَ الغَيْث عندَ الأَرْض حرَّقها المحْل[1]

(٣) وقال في الغزل :

لَستُ أَنْسَاهُ بَادِياً منْ بَعيدٍ ... يَتَثَنَّى تَثَنِّيَ الغُصْنِ غَضًّا

(٤) وقال في المديح :

وأَشرَق عَن بِشرٍ هُوَ النَّوْرُ في الضُّحا ... وصافَى بِأَخْلاق هي الطَّل في الصُّبحِ[2]

(٤)

حول التشبيهات المقلوبة الآتية إلى تشبيهات غير مقلوبة :

(١) ركبنا قطاراً كأنه الجواد السّباق. (٣) ظهر الصّبح كأنه حُجَّتُكَ الساطعة

(٢) فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل. (٤) تقلد الفارسُ سيفاً كأنّه عزيمته يوم النزال .

(٥)

كوّن تشبيهاً مقلوباً من كل طرفين من الأَطراف الآتية مع وضع كل طرف مع ما يناسبه :

قصْفُ الرعد . غَضَبة . لَمْعُ البرقِ . أخلاقه

نور جبينه . الصاعقة . شَعْرُهُ . ابتسامه

شعاعُ الشمس . صوته . سواد الليل . أزهار الربيع

---

(١) الفتح بن خاقان : شاعر فصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، وهو فارسي الأصل من أبناء الملوك ، اتخذه المتوكل العباسي أخاً له واستوزره ، وقدمه على أهله وولده ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة ، وقتل مع المتوكل سنة ٢١٧ هـ ، واليد : النعمة والعطاء ، والمحل : الجدب وانقطاع المطر . (٢) البشر : الفرح والبشاشة ، ويكون الزهر وقت الضحا متفتحاً ، والطل في وقت الصبح في أكمل أحوال نقائه وصفائه .

(٦)

أتمم التشبيهات المقلوبة الآتية :

(١) كأنَّ ... قدومك لزيارتى. (٤) كأنَّ ... حرارة حقده

(٢) كأن ... جرأتك . (٥) كأن ... خدُّ عزيمتك

(٣) كأنَّ ... صوته المنكر . (٦) كأن ... احتياله .

(٧)

أتمم التشبيهات المقلوبة :

(١) كأنَّ عصف الريح ... (٤) كأن الدُّرر ...

(٢) كأن ذل اليتيم ... (٥) كأنَّ صفاء الماء ...

(٣) كأنَّ نَضْرَة الورد ... (٦) كأن السِّحر ...

(٨)

جاء فى كتب الأَدب أن أَبا تمام حينما قال فى مدح أَحمد بن المعتصم[١] :

إِقْدَامُ عَمْرٍو[٢] فِى سَمَاحَة حَاتِم[٣] فِى حِلْمِ أَحْنَفَ[٤] فِى ذَكاءِ إِيَاس[٥]

قال بعض حُساده أَمامَ ممْدُوحه : « ما زدت على أَن شبّهت الأَمير بمن هم دونه » .

فقال أَبو تمام :

لَا تُنكرُوا ضرْبِى لَهُ مَنْ دُونَه مَثلًا شَرُودًا فى النّدَى والبَاسِ[٦]

فَاللهُ قَدْ ضرَبَ الأَقَلّ لِنُورِه مَثلًا منَ المشْكاة والنِّبْرَاس[٧]

---

(١) هو ابن الخليفة العباسى الثامن (أمير المؤمنين المعتصم) .

(٢) هو عمرو بن معدى كرب الزبيدى فارس اليمن وصاحب الغارات المشهورة ، وأخبار شجاعته كثيرة توفى سنة ٢١ ﻫ . (٣) هو أحد أجواد العرب المشهورين .

(٤) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين ، كان شهماً حليما عزيزاً فى قومه ، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب ، توفى سنة ٦٧ ﻫ .

(٥) هو قاضى البصرة وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وصدق حدسه توفى سنة ١٢٢ ﻫ . (٦) شروداً : سائراً ، والندى : الكرم ، والبأس : الشجاعة والقوة . (٧) المشكاة : فتحة فى الحائط غير نافذة ، والنبراس : المصباح .

فما معنى الرد الذى ساقه أبو تمام فى البيتين السابقين ؟ وهل فى استطاعتك أن تدافع عن أبى تمام بحجة أخرى بعد أن تنظر فى البيت جميعه ؟ وما نوع التشبيه الذى يُرْضى هؤلاء النقاد ؟

(٩)

هات تشبيهات مقلوبة فى وصف جرىء مقدام ، ثم فى وصف سفينة ، ثم فى وصف كلام بليغ .

(١٠)

وَلَوْلَا احتِقَارُ الأُسد شَبَّهتُهُمْ بِهَا ولكنَّهَا مَعْدُودَة فى البَهَائِم

تكلَّمْ على ما فى البيت السابق من ضروب الحسن البيانى ، وهل تَرى أَن المدح يكون أَبلغَ لو قال « شبهتها بهم » وماذا يكون التشبيه إذًا ؟

(٧) بلاغة التشبيه وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثِين[1]

تَنْشأُ بلاغه التشبيه من أَنه ينتقل بك من الشىءِ نفسه إلى شىء طريف يشبهه ، أَو صورة بارعة تمثِّله . وكلما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الخطورة بالبال ، أَو ممتزجاً بقليل أَو كثير من الخيال ، كان التشبيه أَروعَ للنفس وأَدعَى إلى إعجابها واهتزازها .

فإذا قلتَ : فلان يشُبه فلاناً فى الطول ، أَو إنَّ الأَرض تشبه الكرة فى الشكل ، أَوْ إنَّ الجزر البريطانية تشبه بلاد اليابان ، لم يكن لهذه

(١) المحدث فى اللغة : المتأخر ، والمراد به هنا من جاء بعد عهد العرب الذين يحتج بكلامهم فى اللغة .

التشبيهات أَثر للبلاغة ؛ لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهْد أدبيٍّ ، ولخلوها من الخيال .

وهذا الضرب من التشبيه يُقْصَد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأَفهام ، وأَكثرُ ما يستعمل فى العلومِ والفنون .

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعرى يَصف نجماً :

يُسْرِعُ اللمْحَ فى احْمرارٍ كما تُسْـ رِعُ فى اللمْحِ مُقْلَةُ الغضبانِ[1]

فإن تشبيه لمحات النجم وتأَلقه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التى لا تنقاد إلا لأَديب . ومن ذلك قول الشاعر .

وكأَن النُّجُومَ بين دُجاها سُنَن لاحَ بيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإن جمال هذا التشبيه جاءَ من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه فى عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما ، وهما حالة النجوم فى رُقْعَة الليل بحال السنن الدينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة . ولهذا التشبيه رَوْعة أُخرى جاءَت من أَن الشاعر تخيل أَن السنن مضيئة لمَّاعة ، وأَن البدع مظلمة قاتمة .

ومن أَبدع التشبيهات قول المتنبي :

بليتُ بِلَى الأَطْلاَلِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وقُوف شَحيحٍ ضاع فى التُّرْب خاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلَى والفَناء إذا هو لم يقف بالأَطلال ليذكر عهد من كانوا بها ، ثم أَراد أَن يُصَور لك هيئة وقوفه فقال : كما يقف شَحيح فقَد خاتمه فى التراب ؛ من كان يُوفق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون المطرق برأسه المنتقل من مكان إلى مكان فى اضطراب ودهشة بحال

---

(١) لمح البرق والنجم : لمعانهما ، ولمح البصر : اختلاس النظر .

شحيح فقد فى التراب خاتماً ثميناً ؟ ولو أردنا أن نورد لك أمثلة من هذا النوع لطال الكلام .

* * *

هذه هى بلاغة التشبيه من حيث مبلَغُ طرافته وبُعد مرماه ومقدار مافيه من خيال ، أما بلاغته من حيثُ الصورةُ الكلامية التى يوضع فيها أيضاً . فأقل التشبيهات مرتبة فى البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها ، لأن بلاغة التشبيه مبنيَّة على ادعاءِ أن المشبَّه عينُ المشبه به ، ووجود الأداة ووجهُ الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء ، فإذا حذفت الأداة وحدَها ، أو وجه الشبه وحدَه ، ارتفعت درجة التشبيه فى البلاغة قليلًا ، لأن حذف أحد هذين يقوى ادعاءَ اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية . أما أبلغ أنواع التشبيه فالتشبيه البليغ ؛ لأنه مبنىٌّ على ادعاءِ أن المشبه والمشبه به شىءٌ واحد .

* * *

هذا — وقد جرى العرَب والمُحْدثَون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاعِ بالأسد ، والوجه الحَسن بالشمس والقمر ، والشَّهم الماضى فى الأُمور بالسيف ، والعالى المنزلة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والأمانىِّ الكاذبة بالأحلام ، والوجه الصبيح بالدينار ، والشعر الفاحم بالليل ، والماء الصافى باللجيْنِ ، والليل بموج البحر ، والجيش بالبحر الزاخر ، والخَيْل بالريح والبرْق ، والنجوم بالدرر والأزهار ، والأسنان بِالبَرد واللؤلؤ ، والسفُنِ بالجبال ، والجداولِ بالحيات الملتوية ، والشيْب بالنهار ولَمْعِ السيوف ، وغُرَّة الفرس بالهلال . ويشبهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة ، واللئيم بالثعلب ، والطائشَ بالفَراش ، والذليلَ بالوتد ، والقاسى بالحديد

والصخر ، والبليد بالحمار ، والبخيل بالأرض المُجْدِبَة .

* * *

وقد اشتهر رجال من العرب بِخلال محمودة فصاروا فيها أعلاماً فجرى التشبيه بهم . فيشبه الوفيُّ بالسَّمَوْءَل[١] ، والكريم بحاتم ، والعادلُ بعُمَر[٢] والحليمُ بالأحنف ، والفصيحُ بسَحْبان ، والخطيبُ بقُسّ[٣] والشجاعُ بعمْرو بن مَعْديكرب ، والحكيمُ بلقمان[٤] ، والذَّكيُّ بإياس .

واشتهر آخرون بصفات ذميمة فجرى التشبيه بهم أيضاً ، فيشبه العَيِيُّ بباقل[٥] ، والأحمَقُ بهَبَنَّقَة[٦] والنادمُ بالكُسَعِي[٧] ، والبخيل بمارد[٨] ، والهجَّاءُ بالحُطَيْئَة[٩] ، والقاسي بالحجَّاج[١٠] .

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودى ، يضرب به المثل فى الوفاء ، وهو من شعراء الجاهلية توفى سنة ٦٢ هـ .   (٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام والأولين ، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده ، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه .

(٣) هو ابن ساعدة الإيادى خطيب العرب قاطبة ، ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة .

(٤) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أى الإصابة فى القول والعمل .

(٥) رجل اشتهر بالعى ، اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال ، فضرب به المثل فى العى .

(٦) هو لقب أبى الودعات يزيد بن ثروان القيسى ، ويضرب به المثل فى الحمق .

(٧) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ ، فغضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم ، فندم على كسر قوسه ، وعض على إبهامه فقطعها .   (٨) لقب رجل من بنى هلال اسمه مخارق ، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم .   (٩) شاعر مخضرم كان هجاء مراً ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد ، هجا أمه وأباه ونفسه ، وله ديوان شعر ، وتوفى سنة ٣٠ هـ .

(١٠) هو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده ، وهو أحد جبابرة العرب وله فى القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها . توفى بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ .

الحقيقة والمجاز

المجاز اللغوى

الأَمثلة :

(١) قال ابْنُ العَميد[1] :

قامَتْ تُظَلِّلُنِى مِنَ الشَّمْسِ ‏ نَفْسٌ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ نَفْسى
قامَتْ تُظَلِّلُنِى ومنْ عَجَبٍ ‏ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِى منَ الشمْسِ

(٢) وقال البحترى يَصِفُ مبارزة الفَتْح بن خاقان لأَسد :

فَلَمْ أَرَ ضِرْغامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُما ‏ عِراكاً إِذَا ٱلْهيَّابَة النِّكْسُ كَذَّبا[2]
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِى هِزَبْراً وأَغْلَبٌ ‏ مِنَ الْقَوْمِ يَغْشَى باسِلَ الْوَجْه أَغْلَبا[3]

(٣) وقال المتنبي وقد سقط مطرٌ على سيف الدولة :

لِعَيْنِى كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ ‏ تَحَيَّرُ مِنْهُ فى أَمْرٍ عُجابِ[4]
حِمَالةُ ذَا ٱلحُسَامِ على حُسامٍ ‏ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ على سَحَابِ[5]

(٤) وقال البحترى :

إِذَا العَيْنُ رَاحَتْ وَهْى عَيْنٌ على الجَوَى
فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ ٱلْأَضَالِعُ

---

(١) هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ فى الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم ، وقد برز فى الكتابة على أهل زمانه حتى قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » توفى سنة ٣٦٠ هـ . (٢) الضرغام : الأسد ، الهيابة : الجبان ، والنكس : الضعيف ، وكذب : أحجم وجبن . يقول : لم أر أثبت منك ومن الأسد عند العراك إذا أحجم الجبان .

(٣) الهزبر : الأسد ، والأغلب : الأسد أيضاً ، والباسل : الشجاع .

(٤) تحير : أصلها تتحير حذف منها إحدى التاءين . (٥) حمالة السيف : ما يحمل به .

البحث :

انظر إلى الشطر الأخير فى البيتين الأولين ، تجد أن كلمة «الشمس» استعملت فى معنيين : أحدهما المعنى الحقيقى للشمس التى تعرفها ، وهى التى تظهر فى المشرق صبحاً وتختفى عند الغروب مساءً ، والثانى إنسان وضّاءُ الوجه يشبه الشمس فى التلألؤ ، وهذا المعنى غير حقيقى ، وإذا تأملتَ رأيْتَ أنَّ هناك صلَةً وعلاقة بين المعنى الأصلى للشمس والمعنى العارض الذى اسْتعْملَتْ فيه . وهذه العلاقة هى المشابهة ، لأن الشخص الوضىء الوجه يُشْبِه الشمس فى الإشراق ، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتَفْهَم من «شمس تظللنى» المعنى الحقيقى للشمس ، لأن الشمس الحقيقة لا تُظَلِّل ، فكلمة تظللنى إذًا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، ولهذا تسمى قرينة دالة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض .

وإذا تأملت البيت الثانى للبحترىِّ رأيت أن كلمة «هِزَبْرًا» الثانية يراد بها الأسد الحقيقى ، وأن كلمة «هزبر» الأولى يراد بها الممدوح الشجاع ، وهذا معنى غير حقيقى ، ورأيت أن العلاقة بين المعنى الحقيقى للأسد والمعنى العارض هى المشابهة فى الشجاعة ، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للأسد هى أن الحال المفهومة من سياق الكلام تدل على أن المقصود المعنى العارض ، ومثل ذلك يقال فى «أَغْلَبُ منَ القَوْمِ» و «باسل الوَجْه أَغْلبَا» فإن الثانية تدل على المعنى الأصلى للأسد ، والأولى تدل على المعنى العارض وهو الرجل الشجاع ، والعلاقة المشابهة ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلى هنا لفظية وهى «من القوم» .

تستطيع بعد هذا البيان أن تدرك فى البيت الثانى للمتنبى أن كلمة «حسام» الثانية استعملت فى غير معناها الحقيقى لعلاقة المشابهة فى تَحَمُّل الأخطار . والقرينة تُفهم من المقام فهى حالية ، ومثل ذلك كلمة «سحاب» الأخيرة فإنها استعملت لتدل على سيف الدولة لعلاقة المشابهة بينه

وبين السحاب فى الكرم ، والقرينة حاليَّة أيضاً .

أما بيت البحترى فمعناه أنَّ عين الإنسان إذا أصبحت بسبب بكائها جاسوساً على ما فى النفس من وَجْد وحُزْن . فإن ما تَنْطَوِى عليه النفس منهما لا يكون سرًّا مكتوماً ، فأنت ترى أن كلمة « العين » الأولى استعملت فى معناها الحقيقى وأن كلمة « عين » الثانية استعملت فى الجاسوس وهو غير معناها الأصلى ، ولكن لأن العين جزء من الجاسوس وبها يَعْمَل ، أطلقها وأراد الكل شأن العرب فى إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وأنت ترى أن العلاقة بين العين والجاسوس ليست المشابهة وإنما هى الجزئية والقرينة « على الجوى » فهى لفظيَّة .

ويتَّضح من كل ما ذكرنا أن الكلمات : شمس ، وهزَبْر ، وأغْلب ، وحُسَام ، وسحاب ، وعَيْن ، استعملت فى غير معناها الحقيقى لعلاقة وارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى العارض وتسمى كل كلمة من هذه مجازاً لغويّاً .

القاعدة :

(١٢) المَجَاز اللُّغَوِىُّ هُوَ اللفظُ المُسْتَعْمَلُ فى غير ما وُضِعَ لَه لِعَلاقةٍ مع قَرِينَة مانِعة مِنْ إرادَةِ المعْنَى الحقيقِى . والعَلاقةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الحقيقِىّ والمعْنى الْمجَازِى قدْ تكونُ المُشَابَهةَ ، وقد تكونُ غيرَها ، والقَرِينَةُ قد تكونُ لفظيةً وقد تكونُ حَالِيَّةً .

نَمُوذَجٌ

(١) قال أبو الطيب حين مرض بالحُمَّى بمصر :

فإن أَمْرَض فَمَا مَرَض اصْطِبارى   وَإن أُحْمَمْ فَما حُمَّ اعْتِزامِى

(٢) وقال حينما أَنْذَرَ السحابُ بالمطر وكان مع ممدوحه :

تَعَرَّض لِي السَّحابُ وقد قَفَلْنَا فقُلْتُ إِلَيْكَ إن مَعِي السَّحَابا[1]

(٣) وقال آخر :

بِلادى وإنْ جارَتْ علىَّ عَزِيزةٌ وقومِي وإنْ ضَنُّوا علىَّ كِرامُ

الإجابة

المجاز	السبب	العلاقة	توضيح العلاقة	القرينة
(١) ا مرض	لأن الاصطبار لا يمرض	المشابهة	شبه قلة الصبر بالمرض لما لكل منهما من الدلالة على الضعف	لفظية وهى اصطبارى
ب حم	لأن الاعتزام لا يحم	»	شبه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما لكل منهما من التأثير السيء	» » اعتزامى
(٢) السحاب الأخيرة	لأن السحاب لا يكون رفيقاً	»	شبه الممدوح بالسحاب لما لكليهما من الأثر النافع	» » معى
(٣) بلادى	لأن البلاد لا تجور	غير المشابهة	ذكر البلاد وأراد أهلها فالعلاقة المحلية	» » جارت

تمرينات

(١)

الكلمات التى تحتها خط. استُعْمِلَتْ مرَّةً استعمالاً حقيقيًّا ، ومرَّة استعمالاً مجازيًّا ؛ بيِّن المجازىَّ منها مع ذكر العلاقة والقرينة لفظيةً أَوحاليَّةً :

(١) قال المتنبى فى المديح :

فيَوْماً بِخَيْلٍ تَطرُد الرُّومَ عنْهُمُ وَيَوْماً بِجُودٍ تطرُدُ الفَقْرَ والْجَدْبا

(٢) وقال :

فَلا زالَت الشمسُ التى فى سمائه مُطالعةَ الشمْسِ التى فى لثامه[2]

---

(١) قفلنا : رجعنا ، وإليك : اكفف .

(٢) المطالعة هنا المشاركة فى الطلوع – أى لا زال باقياً بقاء الشمس فكلما طلعت فى السماء كان وجهه طالعاً بإزائها .

(٣) وقال :

عيبٌ عليكَ تُرَى بِسَيْفٍ فى الوَغَى … ما يَفعلُ الصَّمْصَامُ بالصَّمْصَامِ[١]

(٤) وقال :

إذا اعْتَلَّ سيفُ الدولة اعتلَّت الأَرْضُ[٢] .

(٥) وقال أَبو تمام فى الرِّثاء :

وما ماتَ حتى ماتَ مضْربُ سَيْفه … منَ الضرب واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ[٣]

(٦) كانَ خالد بنُ الوَليد[٤] إذا سارَ سارَ النصرُ تحت لوائه .

(٧) بنَيْتَ بُيُوتاً عاليَات وقَبْلَها … بَنَيْتَ فَخَارًا لا تُسَامَى شوَاهِقُهْ

(٢)

(١) أمنَ الحقيقة أم منَ المجاز كلمة «الشمسين» فى قول المتنبي يَرْثِى أخت سيف الدولة ؟ :

فَلَيْتَ طالعَةَ الشمْسَيْنِ غائبَةٌ … وليْتَ غَائبَة الشمْسَيْنِ لَمْ تَغبِ[٥]

(٢) أَحقيقةٌ أَمْ مجازٌ كلمة «بدرًا» فى قول الشاعر ؟ :

وقَدْ نَظَرَتْ بَدْرَ الدُّجَى ورَأَيْتُهَا … فَكان كلانا ناظرًا وَحْدَهُ بَدْرَا

(٣) أَحقيقةٌ أَمْ مجازٌ كلمة «ليالى» فى قول المتنبي ؟ :

نَشَرَتْ ثلاث ذَوائبٍ من شَعْرِها … فى لَيلةٍ فَأَرَتْ لَيالى أَربعًا[٦]

(٤) أَحقيقة أَمْ مجازٌ كلمة «القمرين» فى قول المتنبي ؟

واسْتقبَلَتْ قَمَرَ السماءِ بوَجْهِها … فَأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ فى وقتٍ مَعَا

---

(١) الوغى : الحرب ، والصمصام : السيف ؛ يريد أنك كالسيف فى المضاء فلا حاجة بك إلى السيف . (٢) اعتل : مرض . (٣) مضرب السيف : حده ، والقنا : الرماح ، والسمر : الرماح أيضاً ، أى لم يمت فى ساحة الحرب حتى تثلم سيفه وضعفت الرماح عن المقاومة .

(٤) صحابى جليل وقائد كبير من قواد جنود المسلمين ، قاتل المرتدين فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فتح الحيرة وجانباً عظيما من العراق ، وكان موفقاً فى غزواته وحروبه ، قال أبو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ، وقد توفى سنة ٢١ هـ

(٥) يقصد بطالعة الشمسين وبغائبة الشمسين أخت سيف الدولة

(٦) الذوائب : جمع ذؤابة وهى الخصلة من الشعر .

(٣)

(ا) استعمل الأسماء الآتية استعمالاً حقيقيًّا مرّة ومجازيًّا أخرى لعلاقة المشابهة :

البَرْق – الرِّيح – المطر – الدُّرَر – الثعلب – النسْر – النجوم – الحَنْظَل .

(ب) استعمل الأَفعال الاتية استعمالًا حقيقيًّا مرّة ومجازيًّا أُخرى لعلاقة المشابهة :

غرِقَ – قَتَلَ – مزّقَ – شرِب – دَفن – أَراق – رَمَى – سقَطَ.

(٤)

ضع مفعولًا به فى المكان الخالى يكون مستعملًا استعمالًا مجازيًّا ، ثم اشرح العلاقة والقرينة :

أَحيا طلعت حرب . . . نَشر الخطيب . . . زَرَعَ المُحْسن . . .
قَوَّم المعــلم . . . قتَلَ الكسلان . . . حاربت أَوربا . . .

(٥)

ضع فى جملةٍ كلمة « أُذُن » لتدل على الرجل الذى يميل لسماع الوشايات ، وفى جملة أُخرى كلمة « يمين » لتدل على القوة ، ثم بيِّن العلاقة

(٦)

كون أَربع جمل تشتمل كل منها على مجاز لغوىٍّ علاقتُه المشابهة .

(٧)

اشرح بَيْتَى البحترى فى المديح ثم بيِّن ما تضمنته كلمة « شمسين » من الحقيقة والمجاز :

طَلَعْتَ لهمْ وَقتَ الشرُوق فَعايَنُوا ... سَنَا الشْمسِ من أُفْقٍ ووجْهكَ من أُفْقِ[١]
فما عاينوا شَمْسَيْنِ قَبْلَهُمَا الْتَقى ... ضياؤُهُما وَفْقًا من الغَرْب والشرْقِ[٢]

---

(١) السنا : النور ، والأفق : الناحية . (٢) وفقاً : أى متفقين فى الميعاد .

(١) الاستعارة التصريحية والْمَكْنِيَّة

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

(٢) وقال المتنبي وقد قابله مَمْدُوحُه وعانقَه :

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحوَهُ ... ولَا رَجُلًا قامَتْ تُعانِقُهُ الْأُسْدُ

(٣) وقال في مدح سيف الدولة :

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الهِنْدِ واللِّمَمِ[1]

* * *

(١) وقال الحجَّاجُ في إِحْدَى خُطَبه :

إِنِي لأَرَى رُءُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وحَانَ قِطافُها وإِنِي لَصَاحِبُهَا[2].

(٢) وقال المتنبي :

ولَمَّا قَلتِ الْإِبِلُ امْتَطَيْنَا ... إِلَى ابن أَبِي سُلَيْمَانَ الخُطُوبَا[3]

(٣) وقال :

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالكَرَمُ ... وزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

---

(١) بيض الهند : السيوف ، واللمم جمع لمة : وهى الشعر المجاور شحمة الأذن ، والمراد بها هنا الرءوس . يقول : لا ترى الانتصار لذيذاً إلا بعد معركة تتلاقى فيها السيوف بالرءوس .

(٢) أينعت من أينع الثمر إذا أدرك ونضج ، وحان قطافها : آن وقت قطعها ، يريد أنه بصير بحال القوم من الشقاق والخلاف فى بيعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فهو يحذرهم عاقبة ذلك .

(٣) امتطينا : ركبنا ، والخطوب : الأمور الشديدة ، يقول : لما عزت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها .

البحث:

فى كل مثال من الأَمثلة السابقة مجاز لُغوىٌّ : أَى كلمة استُعْملت فى غير معناها الحقيقى ؛ فالمثال الأَول من الأَمثلة الثلاثة الأُولى يشتمل على كلمتى الظلمات والنور ولا يُقْصَد بالأُولى إِلَّا الضلال ، ولا يراد بالثانية إِلَّا الهُدَى والإِيمان ، والعلاقة المشابهة والقرينة حالية ؛ وبيت المتنبي يحتوى على مجازين هما «البحرُ» الذى يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشَابهة ، والقرينة «مَشَى» و «الأُسْدُ» التى يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهة ، والقرينة «تعانقه» ؛ والبيت الثالث يحتوى على مجاز هو «تصافحت» الذى يراد منه تلاقت ، لعلاقة المشابهة والقرينة «بيض الهند واللمم» .

وإذا تأَملت كل مجاز سبَق رأَيت أَنه تضمَّن تشبيهاً حُذف منه لفظ المشبَّه واستعير بدلَه لَفْظ المشبَّه به ليقوم مقامه بادعاءِ أَنَّ المشبه به هو عين المشبَّه ، وهذا أَبعَدُ مَدًى فى البلاغة ، وأَدخَلُ فى المبالغة ، ويسمَّى هذا المجاز استعارة ، ولمَّا كان المشبه به مصرَّحاً به فى هذا المجاز سُمِّىَ **استعارة تصريحية** .

نرْجع إذًا إلى الأَمثلة الثلاثة الأَخيرة ؛ ويكفى أَن نوضح لك مثالًا منها لتَقيس عليه ما بعده وهو قول الحجاج فى التهديد : «إِنِّى لَأَرَى رُءُوساً قد أَيْنَعَت» فإن الذى يُفهَم منه أَن يشبه الرءُوس بالثمرات ، فأَصل الكلام إنى لأَرَى رءُوساً كالثمرات قد أَينعت ، ثم حُذف المشبّه به فصار إنى لأَرى رءُوساً قدأَينعت ، على تخيُّل أَن الرءُوس قد تمثلت فى صورة ثمار ، ورُمز للمشبه به المحذوف بشيءٍ من لوازمه وهو أَينعت ، ولما كان المشبه به فى هذه الاستعارةُ مُحْتجباً سميت **استعارة مكنية** ، ومثل ذلك يقال فى «امتطينا الخطوبا» وفى كلمة «المجد» فى البيت الأَخير .

القاعدة :

(١٣) الاسْتِعارَةُ مِنَ المجازِ اللّغوِيِّ ، وهيَ تَشْبيهٌ حُذِفَ أَحَد طَرَفَيْهِ ، فَعلَاقتها المشابهةُ دائماً ، وهيَ قِسْمان :

(ا) تَصْريحية ، وهِيَ ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ

(ب) مَكنِيَّة ، وهِيَ ما حُذِفَ فيها المُشَبَّهُ بهِ ورُمِزَ لهُ بشئٍ مِنْ لوازمه .

نَمُوذَجٌ

(١) قال المتنبي يَصفُ دخولَ رسولِ الرّوم على سيفِ الدولة :

وأَقْبَلَ يَمشي في الْبساطِ فما دَرى إلى البَحْرِ يَسْعَى أم إلى البَدْرِ يَرْتَقى

(٢) وصف أعرابي أخاً له فقال :

كانَ أَخِي يَقْرِي العينَ جَمالًا والأُذنَ بَيَاناً[1].

(٣) وقال تعالى على لسان زكريا :

رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِني واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً .

(٤) وقال أعرابي في المدح :

فُلَانٌ يَرمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الكَرَمُ[2].

الإجابة

(١) ا ـ شُبِّه سيفُ الدولة بالبحر بجامع[3] العطاءِ ثم استُعير اللفظُ الدال على المشبّه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة « فأقبل يمشي في البساط » .

ب ـ شُبِّه سيف الدولة بالبدر بجامع الرِّفعة ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة « فأقبل يمشي في البساط » .

---

(١) القرى : إكرام الضيف وإطعامه . (٢) الطرف : البصر .

(٣) الجامع في الاستعارة هو ما يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه .

(٢) شبّه إمتاع العين بالجمال وإمتاع الأُذن بالبيان بقرَى الضيف ، ثم اشتُقَّ من القرَى يَقْرِى بمعنى يُمْتِع على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة جمالًا وبياناً .

(٣) شُبِّه الرأس بالوَقود ثم حُذف المشبه به ، ورُمزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « اشتعل » على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس .

(٤) شُبِّه الكرَم بإنسان ثم حذِفَ ورُمزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « أشار » على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الإشارة للكرم

تمرينات

(١)

أَجر الاستعارةَ التصريحية التى تحتها خط فيما يأْتى :

(١) كلُّ زَنْجيَّة كأَنَّ سَوَادَ الْـ ... ـلَيْل أَهْدَى لهَا سَوادَ الإهَابِ[1]

(٢) وقال فى وصف مُزيِّنٍ :

إذا لَمَعَ البَرْقُ فى كَفِّه ... أَفاضَ عَلَى الْوَجْهِ مَاءَ النعيم[2]

لَهُ رَاحَةٌ سَيْرُهَا رَاحَةٌ ... تَمُرُّ عَلَى الْوَجْهِ مَرَّ النَّسِيمِ[3]

(٣) وقال ابن المعتز :

جُمِـعَ الْحَقُّ لَنَا فى إمامٍ ... قَتَلَ البُخْلَ وأَحْيَـا السَّمَاحَا

(٢)

أجرِ الاستعارة المكنية التى تحتها خط فيما يأْتى :

(١) مدَح أعرابى رجلًا فقال :

تَطَلَّعتْ عيونُ الفضل لكَ ، وأَصغتْ آذانُ المجدِ إليكَ .

---

(١) الإهاب : الجلد ، يقول : إن القار الذى طليت به السفن لشدة سواده كأنه جزء من الليل أهداه الليل إليها . (٢) ماء النعيم : رونقه ونضارته . (٣) الراحة الأولى باطن الكف ، والراحة الثانية : ضد التعب ، يصف اليد بالطف والخفة .

(٢) ومدح آخر قوماً بالشجاعة فقال : أَقْسَمتْ سيوفُهمْ ألا تُضيعَ حقًّا لهمْ .

(٣) وقال السريُّ الرَّفاء :

مَوَاطِنُ لَمْ يَسْحَبْ بِها الْغَيُّ ذَيْلَهُ وكَمْ لِلعَوَالِي بَيْنَها مِن مَساحِبِ[١]

(٣)

عيِّن التصريحية والمكنية من الاستعارات التي تحتها خط مع بيان السبب :

(١) قال دِعبِل الخزاعيّ[٢] :

لا تَعجَبي يَا سَلْمُ مِن رَجُلٍ ضَحِكَ المَشيبُ برَأسِه فَبَكَى[٣]

(٢) ذمَّ أعرابي قوماً فقال : أولئك قومٌ يَصومون عن المعروف ، ويُفْطِرون على الفحشاء .

(٣) وذمَّ آخر رجلًا فقال : إنه سمين المال مهزول المعروف .

(٤) وقال البحتري يرثي المتوكل[٤] وقد قتِل غِيلة :

فما قاتلَتْ عنهُ المَنَايا جُنودُهُ ولا دافعتْ أَمْلاكُه وذَخــائرُه[٥]

(٥) وإذا العِنايَةُ لاحَظَتْكَ عُيونُها نَمْ فالمخَاوِفُ كلُّهُنَّ أَمانُ

(٦) وقال أبو العتَاهِيَةِ يُهنِّئُ المهدي[٦] بالخلافة :

أَتَتْهُ الخِلافةُ منقادة إليْهِ تُجرِّرُ أَذْيالها

---

(١) العوالي : جمع عالية وهي الرماح ، يقول : إن هذه الأماكن طاهرة من أدران الغواية وإنها منازل شجعان طالما جرت فيها الرماح . (٢) كان شاعراً هجاء ، ولد بالكوفة وأقام ببغداد ، وشعره جيد ؛ وقد أولع بالهجو والحط من أقدار الناس فهجا الخلفاء ومن دونهم ، وتوفي سنة ٢٤٦ . (٣) يا سلم : يا سلمى . (٤) هو المتوكل العباسي ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وكان جواداً محباً للعمران ، وقد نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق ، وقتل غيلة سنة ٢٤٧ هـ . (٥) يقول : إن جيشه لم ينفعه حين هجم عليه الأعداء في قصره فلم يقاتل دونه ، وإن أملاكه وأمواله لم تغن عنه شيئاً .

(٦) هو من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، أقام في الخلافة عشر سنين محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية وكان جواداً ، توفي سنة ١٦٩ هـ .

(٤)

ضعِ الأسماء الآتية فى جمل بحيث يكون كلٌّ منها استعارةً تصريحية مرّة ومكنيةً أخرى :

الشمس ـ البلبل ـ البحر ـ الأزهار ـ البرق

(٥)

حوِّل الاستعاراتِ الآتية إلى تشبيهات :

(١) قال أبو تمام فى وصف سحابة :

دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيــادِ سَكوبُ مُسْتَغِيثٌ بِها الثرى المكْرُوبُ[1]

(٢) وقال السَّرِىّ فى وصف الثلج وقد سقطَ على الجبال :

أَلَمَّ بِرَبعِها صُبْحًا فَأَلْقَى مُلِمَّ الشيبِ فى لمم الجِبالِ[2]

(٣) وقال فى وصف قلم :

وأَهْيفَ إنْ زَعْــزَعتْهُ البَنَا نُ أَمْطَرَ فى الطِّرس لَيْلًا أَحَمْ[3]

(٦)

حوِّل التشبيهات الآتية إلى استعارات :

(١) إنَّ الرسولَ لنورٌ يُسْتضاءُ به .

(٢) أنا غُصْنٌ من غصونِ سَرْحتِك ، وفَرعٌ من فروعِ دَوْحَتِك[4]

---

(١) الديمة : السحابة المطرة . وسمحة القياد أى أن الريح تقودها وهى لينة لا تمانع ؛ وسكوب : كثيرة سكب المطر وصبه ، والثرى : التراب . (٢) ألم : نزل . والضمير يعود على الثلج ، بربعها : بمنزلها والمقصود بمكانها ، والضمير يعود إلى البقعة ، واللمم جمع لمة وهو شعر الرأس . (٣) الهيف فى الأصل : رقة الخصر ، وزعزعته : هزته ، والبنان : الأصابع أو أطرافها ، الطرس : القرطاس ، والأحم : الأسود . (٤) السرحة : الشجرة العظيمة وكذلك الدوحة .

(٣) أنا السَّيْفُ إلا أنَّ لِلسَّيفِ نَبْوَةً ... ومِثْلِيَ لاتَنْبُو عَلَيْكَ مضارِبُهْ[١]

(٤) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً .

(٥) وإنَّ صَخْرًا لتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأنَّه عَلَمٌ فى رَأْسِه نارُ[٢]

(٦) أنا غَرْسُ يديك .

(٧) أَسَد عليَّ وفى الحُرُوبِ نَعَامَة ... رَبْداءُتَجْفِلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ![٣]

(٧)

اشرح قول ابن سِنان الخفاجِى[٤] فى وصف حمامة ، ثم بيِّن ما فيه من البيان :

وهاتِفَةٍ فِى الْبان تُمْلِى غَرامَها ... عَلَيْنا وتَتْلُو مِنْ صبابَتِها صُحُفَا[٥]

ولوْ صَدَقَتْ فِيما تقُولُ من الأَسى ... لمَا لَبِسَتْ طَوْقاً وماخَضَبَتْ كَفًّا[٦]

---

(١) نبوة السيف : عدم قطعه ، يقول : أنا سيف لا ينبو عند مقاتلتك وإن نبا السيف الحقيق .

(٢) العلم : الجبل ، وكان العرب يوقدون ناراً بأعلى الجبال لهداية السارين .

(٣) ربداء : أى ذات لون مغبر ، تجفل : أى تسرع فى الهرب . (٤) شاعر أديب كان يرى رأى الشيعة ، وقد ولى قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح فشق عصا الطاعة بها ؛ فاحتال عليه الملك حتى سمه فمات سنة ٤٦٦ هـ . (٥) هتفت الحمامة : مدت صوتها ، والبان : ضرب من الشجر ، وفى قوله (تتلو من صبابتها صحفا) حسن وإبداع .

(٦) الأسى : الحزن .

(٢) تَقْسِيمُ الاستعارةِ إلى أَصْلِيَّة وتَبَعِيَّة

الأَمثلة :

(١) قال المتنبي يَصِف قَلماً

يَمُجُّ ظَلَامًا فى نَهارٍ لِسَانُهُ   وَيفهَمُ عَمَّنْ قال مالَيْسَ يَسْمَعُ

(٢) وقال يخاطب سيف الدولة :

أُحِبك ياشمْسَ الزَّمانِ وبَدْرَهُ   وإنْ لامنِى فيكَ السُّها والفَراقِد[١]

(٣) وقال المعرِّى فى الرِّثَاءِ :

فَتًى عَشِقَتْهُ الْبَابلِيَّةُ حِقْبَةً   فَلم يَشْفِهَا مِنْهُ بِرَشْفٍ ولَا لَثْم[٢]

* * *

(٤) قال تعالى :

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ .

(٥) وقال المتنبى فى وصف الأَسد :

وَرْدٌ إِذَا وَردَ الْبُحَيْرَةَ شارباً   وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ والنِّيلَا[٣]

البحث :

فى الأَبيات الثلاثة الأُولى استعارات مكنية وتصريحية ، ففى البيت الأَول شُبِّه القلم (وهو مَرْجع الضمير فى لسانه) بإنسان ثم حذف المشبه به

---

(١) السها : نجم خفى يمتحن الناس به أبصارهم ، والفراقد جمع فرقد : وهو نجم قريب من القطب ، وفى السماء فرقدان ليس غير . (٢) الحقبة : المدة من الزمان ويراد بها المدة الطويلة ، ورشف الماء : مصه ، واللثم : التقبيل . (٣) الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية ، أى أن زئير الأسد شديد فإذا زأر فى طبرية سمع زئيره من فى العراق ومصر .

ورُمز إليه بشىء من لوازمه وهو اللسان ، فالاستعارة مكنية ، وشُبِّه المداد بالظلام بجامع السواد واستعير اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية . وشبِّه الورق بالنهار بجامع البياض ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحة .

وفى البيت الثانى شبِّه سيف الدولة مرَّة بالشمس ، ومرّة بالبدر بجامع الرفعة والظهور ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو الشمس والبدر للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية فى الكلمتين ، وشُبِّه مَنْ دونه مرَّة بالسُّها ومرَّة بالنجوم بجامع الصِّغَر والخفاء ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو السُّها والفراقد للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية فى الكلمتين .

وفى البيت الثالث شُبِّهَت البابلية وهى الخمر بامرأة ثم حذف المشبه به ورُمزَ إليه بشىءٍ من لوازمه وهو «عشِيَقَتْهُ» على سبيل الاستعارة المكنية .

وإذا رَجَعْتَ إلى كل إجراءٍ أجريناه للاستعارات السابقة ، رأيت أننا فى التصريحية استعرنا اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه وأننا لم نَعْمَل عملًا آخر ، ورَمَزْنا إليه بشىءٍ من لوازمه وأن الاستعارة تمّت أيضاً بهذا العمل ؛ وإذا تأملت ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها جامدة غيرَ مشتقة . ويسمى هذا النوع من الاستعارة **بالاستعارة الأصلية** .

انظر إذًا إلى المثالين الأخيرين تجد بكل منهما استعارة تصريحية ، وفى إجرائها نقول : شبِّه انتهاءُ الغضب بالسكوت بجامع الهدوء فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدالُّ على المشبه به وهو السكوت للمشبه وهو انتهاءُ الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب سَكت بمعنى انتهى .

وشُبِّه وصول صوت الأَسد إلى الفرات بوصول الماء بجامع أن كلاًّ ينتهى إلى غاية ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الورود للمشبه وهو وصول الصوت ، ثم اشتُقَّ من الورود بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل .

فإذا أنت وازنت بين إجراء هاتين الاستعارتين وإجراء الاستعارات الأولى رأيت أن الإجراء هنا لا ينتهى عند استعارة المشبه به للمشبه كما انتهى فى الاستعارات الأولى ، بل يزيد عملًا آخر وهو اشتقاق كلمة من المشبه به ، وأنّ ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدة ، ويسمى هذا النوع من الاستعارة بالاستعارة التبعية [١]؛ لأن جريانها فى المشتقّ كان تابعاً لجريانها فى المصدر .

ارجع بنا ثانياً إلى المثالين الأخيرين لنتعلم منهما شيئاً جديدًا ، ففى الأول وهو «ولما سكت عن موسى الغضب» يجوز أن يُشَبَّه الغضب بإنسان ثم يحذف المشبه به ويرْمز إليه بشىءٍ من لوازمه وهو سكت فتكون فى «الغضب» استعارة مكنية . وفى الثانى وهو «ورد الفرات زئيره» يجوز أن يُشَبَّه الزئير بحيوان ثم يحذف ويرمز إليه بشىءٍ من لوازمه وهو ورد فيكون فى «زئيره» استعارة مكنية ، وهكذا كل استعارة تبعية يصحُّ أن يكون فى قرينتها استعارة مكنية غير أنه لا يجوز لك إجراء الاستعارة إلا فى واحدة منهما لا فى كلتيهما معاً .

القواعد :

(١٤) تَكُونُ الاستعارةُ أَصْلِيةً إذا كان اللفظ الذى جَرَتْ فيه اسماً جامدًا .

(١٥) تكون الاستعارةُ تَبَعِيةً إذا كانَ اللفظُ الذى جَرَتْ فيه مُشْتَقًّا أَوْ فِعْلًا [١] .

(١٦) كلُّ تَبَعِيَّة قَرِينَتُها مَكْنِيَّةٌ ، وإذا أُجْرِيت الاستعارةُ فى واحدة منهما امْتَنعَ إجْرَاؤُها فى الأُخرَى .

---

(١) تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام فى الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية ، ومثال الاستعارة المكنية التبعية أعجبنى إراقة الضارب دم الباغى ، فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ، ثم حذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الإراقة على طريق الاستعارة المكنية التبعية .

نَموذج

قال الشاعر :

(١) عَضّنا الدّهرُ بِنابِهْ ليْتَ ما حَلَّ بِنا بِهْ

(٢) وقال المتنبي :

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الحِجاسَقْىَ الرِّياضِ السَّحائِبِ[1]

(٣) وقال آخر يخاطب طائرًا :

أَنْتَ فِي خَضْرَاءَ ضاحِكَةٍ مِنْ بُكاءِ العَارِض الهَتِن[2]

الإجابة

(١) شُبِّه الدهر بحيوان مُفْترس بجامع الإيذاءِ فى كلٍّ ، ثم حُذفَ المشبه به ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو « عضَّ » فالاستعارة مكنية أصلية .

(٢) شُبِّه الشِّعر بحديقة بجامع الجمال فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه فالاستعارة تصريحية أصلية ، وشُبِّه الحجا وهو العقل بالسحاب بجامع التأثير الحسن فى كلّ وحذف المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو « سَقَى » فالاستعارة مكينة أصلية .

(٣) شُبِّه الإِزْهَار بالضَّحِك بجامع ظهور البياض فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه بهِ للمشبه ، ثم اشْتُقّ من الضحك بمعنى الإزْهار ضاحِكة بمعنى مُزْهِرة ؛ فالاستعارة تصريحية تبعية .

ويجوز أَن نَضرب صَفْحاً عن هذه الاستعارة . وأَن نُجْرِيها فى قرينتها فنقول شبِّهت الأَرض الخضراءُ بالآدمىِّ ، ثم حذف المشبه ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو ضاحكة فتكون الاستعارة مكنية .

(١) الرياض مفعول به للمصدر وهو سقى ، سقى مضاف والسحائب مضاف إليه ، وأصل الكلام سقى السحائب الرياض . (٢) فى خضراء : أى فى روضة خضراء ، والعارض الهتن : السحاب الكثير الأمطار .

وشُبِّه نزول المطر بالبكاءِ بجامع سقوط الماءِ فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدالُّ عَلَى المشبه به للمشبه ، فالاستعارة تصريحية أَصلية ، ويجوز أَن تُجْرى الاستعارةُ مكنيةً فى العارض .

تمرينــات

(١)

بيِّن الاستعارةَ الأَصليةَ والتبعية فيما يأْتى :

(١) قال السَّرىُّ الرَّفاءُ يَصِف شِعْرَهُ :

إِذَا مَا صَافَحَ الأَسْمَاعَ يَوْماً ... تَبَسَّمَتِ الضَّمائِرُ والقُلُــوبُ

(٢) وقال ابن الرُّومىّ :

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ والصِّبَا ... ولَبِسْتُ ثَوْبَ اللَّهْوِ وهْوَ جديدُ

(٣) وقال :

حَيَّتكَ عنَّا شَمالٌ طَافَ طَائِفُهَا ... بِجنَّــةٍ نَفَحَتْ رَوحاً ورَيْحَانَا[١]

هَبَّتْ سُحَيْرًا فنَاجَى الْغُصْنُ صاحِبَه ... سِرًّا بِهَا وتَدَاعَى الطيرُ إِعْلاَنَا[٢]

(٤) وقال البحترى فى وصف جيش :

وإِذا السِّلاحُ أَضاءَ فِيهِ رَأَى العِدَا ... بَرًّا تَأَلَّقَ فِيهِ بَحْرُ حَدِيدِ[٣]

(٥) وقال ابن نُباتَةَ السَّعْدِىّ[٤] فى وصف مُهْرٍ أَغَرّ[٥] .

وأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَيْلُ مِنْهُ ... وتطْلُع بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا

(٦) وقال التِّهامىّ فى رثاء ابنه :

يَا كَوْكَباً مَا كانَ أَقصرَ عُمْرَهُ ... وكَذَاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأَسْحَارِ

---

(١) الشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب ، ونفحت رَوحاً وريحاناً : أولته راحة وطيباً . (٢) الضمير فى هبت يعود على الشمال سحيراً : قبيل الصبح ، وناجى : حدّث سراً ، وتداعى : دعا بعضه بعضاً . (٣) تألق البرق لمع . (٤) هو أبو نصر عبد العزيز ، كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، ومعظم شعره جيد ، وله ديوان كبير ، توفى سنة ٤٠٥ هـ . (٥) الغرة : بياض فى جبهة الفرس .

(٧) وقال الشريف فى الشّيب .

ضَوْءٌ تَشَعْشَعَ فى سَوَادِ ذَوَائِبى ... لا أَسْتَضِىءُ بِهِ ولا أَسْتَصْبِحُ[١]

بِعْتُ الشبابَ بِهِ على مِقَةٍ لَهُ ... بَيْعَ العَلِيمِ بِأَنَّهُ لا يَرْبحُ[٢]

(٨) وقال البحترىّ فى وصف قَصْر :

مَلأَتْ جَوانِبُهُ الفضاءَ وعَانَقَتْ ... شُرُفاتُهُ قِطَعَ السَّحابِ المُمْطِرِ

(٩) وقال فى وصف روضة :

يُضاحكها الضحى طَوْرًا وطَوْرًا ... عَلَيْها الغَيْثُ يَنْسَجِمُ انْسِجاما[٣]

(١٠) وقال فى الشَّيْب :

ولِمَّــةٍ كُنْتُ مَشْغُوفاً بِجِدَّتِها ... فَما عَفا الشَّيْبُ لِى عَنْها وَلا صَفحا

(١١) وقال ابنُ التَّعاويذىّ فى وصف روضة :

وأَعطافُ الغصُونِ لَها نَشاطٌ ... وأَنْفاسُ النَّسِيمِ بها فُتُورُ[٤]

(١٢) وقال مِهيار[٥] :

ما لِسَارِى اللهْوِ فى لَيْلِ الصِبّا ... ضَلَّ فِى فَجْرٍ برأسى وضَحا

(٢)

اجعل الاستعاراتِ التبعيةَ الآتية أصليَّة :

(١) إنْ أَمْطَرَتْ عَيْنَاىَ سَحًّا فَعَنْ ... بَوَارِقٍ فِى مَفْرِقى تَلْمَعُ[٦]

(٢) إنَّ التَّبــاعُدَ لَا يَضُـ ... ـرُّ إذَا تَقارَبت القُلُوبُ

---

(١) تشعشع الضوء : انتشر ، واستصبح : استضاء بالمصباح .

(٢) المقة : الحب . (٣) ينسجم : يسيل . (٤) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب ، الفتور : الضعف . (٥) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى ، كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضى وتخرج فى الشعر عليه ، ويمتاز فى شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس ، وتوفى سنة ٤٢٨ هـ . (٦) سحًّا : صبًّا ، والبوارق جمع بارق وهو البرق ، والمفرق : وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .

(٣) وقال ابن المعتز يصف سحابة :

باكِيَــةٌ يَضْحَكُ فيهَا بَرْقُهَا مَوْصُولَةٌ بِالأَرْضِ مُرْخَاةُ الطُّنُبْ[1]

(٣)

اجعل الاستعارات الأَصلية تبعيةً فيما يأْتى :

(١) شَرُّ الناس مَنْ يَرْضى بهدم دِينهِ لبناءِ دنياه .

(٢) شِرَاءُ النفوس بالإِحسان خيرٌ من بَيْعِها بالعُدْوَان .

(٣) إن خَوضَ المرءِ فيما لا يَعْنيهِ وفِرارَه من الحق من أَسباب عِثَارِه .

(٤) خَيْرُ حِلْيَةٍ للشباب كَبْحُ النفس عند جُمُوحِها .

(٤)

هات ستّ استعارات منها ثلاث أَصلية وثلاث تبعية .

(٥)

اشرَح قول السريّ الرَّفاء فى وصف دُولاب[2] وبيِّن ما فيه من استعارات :

فمِنْ جِنَان تريكَ النَّوْرَ مُبْتَسماً فى غيْر إِبَّانِهِ والمَاءَ مُنْسَكِبَا[3]

كأَنَّ دُولَابَها إِذ أَنَّ مُغْتَرِبٌ نَأَى فَحَنَّ إلى أَوْطانِهِ طَرَبا[4]

بَاكٍ إِذَا عَقَّ زَهْرَ الرَّوْض والدُهُ مِنَ الغَمَام غَدَا فِيهِ أَباً حَدِبَا[5]

مُشَمِّرٌ فى مَسِيرٍ لَيْسَ يُبْعِدُهُ عَن الْمَحَلِّ ولَا يُبْدِى لَهُ تَعَبَا[6]

ما زَالَ يَطْلُبُ رِفْدَ البحْرِ مُجْتَهِدًا لِلْبَرِّ حتَّى ارْتَدَى النُّوَّارَ والعُشُبَا[7]

---

(١) الطنب : الحبل تشد به الخيمة ، يقول : إن السحابة لثقلها بالماء تقرب أطرافها من الأرض . (٢) الدولاب : آلة كالناعورة يستقى بها الماء وهى المعروفة « بالساقية » .

(٣) إبان الشىء بالكسر والتشديد : وقته ، يقال كل الفاكهة فى إبانها : أى فى وقتها

(٤) أنين الدولاب : صوته عند دورانه ، وحنين المغترب : شوقه وبكاؤه عند ذكر الوطن ، والطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . (٥) عقه : ضد بره ، والأب الحدب : الأب الذى يتعلق بابنه ويعطف عليه ، ويقول إذا جفا الغمام زهر الروض فلم يمطره قام الدولاب مقامه فكان للزهر بمنزلة الأب الحانى على ولده فتعهده وسقاه . (٦) يقول : إن الدولاب مجد فى سيره ومن العجب أنه لا يبتعد عن مكانه ولا تبدو عليه علامات التعب

(٧) الرفد : العطاء ، يقول : إن الدولاب ما برح يستجدى البحر للبر فيأخذ من مائه ويسقيه حتى ارتوى البر ونما زرعه واكتسى أثواباً من الأزهار والنبات .

(٣) تقسيمُ الاستعارة إلى مرشَّحة ومجرَّدة ومُطلَقة

الأَمثلة :

(ا)

(١) قال تعالى : أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ

(٢) وقال البحترى :

يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إلى قَمرٍ مِنَ الإيوانِ بَادِ[1]

(٣) وقال تعالى : إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ[2] .

* * *

(ب)

(٤) وقال البحترى :

وأَرى الْمنايا إنْ رَأَتْ بِكَ شَيْبَةً
جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا الْمُتَواتِرِ[3]

(٥) كان فُلانٌ أَكْتَبَ الناس إذا شَرِب قلمُهُ من دَوَاتِه أَوْ غَنَّى فوْقَ قِرْطَاسه .

(٦) وقال قُرَيْظُ بن أُنَيْف[4] :

قوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى ناجِذَيْهِ لَهُمْ
طارُوا إِلَيْهِ زَرَافاتٍ ووُحْدانَا[5]

---

(١) الإيوان : مكان مرتفع فى البيت يجلس عليه . (٢) الجارية : السفينة .
(٣) النبل المتواتر : الكثير المتوالى . (٤) هو قريظ بن أنيف من شعراء الحماسة وهو شاعر إسلامى . (٥) الناجذان : النابان ، وإبداء الشر ناجذيه كناية عن شدته وصعوبته . يصفهم بالإقدام على المكاره والإسراع إلى الشدائد وأنهم لا يتواكلون ولا يتخاذلون .

البحث :

فى الأَمثلة الأُولى استعارات تصريحية فى «اشتروا» بمعنى اختاروا ، وفى «قمر» الذى يراد به شخص الممدوح ، وفى «طَغى» بمعنى زاد ، وقد استوفت كلٌّ استعارة قرينَتَها ، فقرينة الأُولى «الضلالة» ، وقرينة الثانية «يودون التحية» وقرينة الثالثة «الماء» ، وإذا تأَملت الاستعارة الأُولى رأَيت أَنها قد ذُكِرَ معها شىءٌ يلائم المشبه به ، وهذا الشىءُ هو «فما ربحت تجارتهم» ، وإذا نظرتَ إلى الاستعارة الثانية رأَيت بها شيئاً من ملائمات المشبه ، وهو «من الإيوان باد» ، وإذا تأَملت الاستعارة الثالثة رأَيتها خالية مما يلائم المشبه به أَو المشبه .

والأَمثلة الثلاثة الثانية تشتمل على استعارات مكنية هي «الضمير» فى رأَت الذى يعود على المنايا التى شُبِّهتْ بالإنسان ، و «القلم» الذى شُبِّه بالإنسان أَيضاً و «الشر» الذى شُبِّه بحيوان مفترس ، وقد تمّتْ لكل استعارة قرينتها ، إذْ هى فى الأُولى إثبات الرؤْية للمنايا ، وفى الثانية إثبات الشرب والغِذاء للقلم ، وفى الثالثة إثبات إبداءِ الناجذَيْن للشر .

وإذا تأَملتَ رأَيتَ أَنَّ الاستعارة الأُولى اشتملت على ما يُلائم المشبه به وهو «جعلتك مرمى نبلها» ، وأَنَّ الاستعارة الثانية اشتملت على ما يُلائم المشبه وهو «دواتُه وقِرطاسه» ، وأَنَّ الاستعارة الثالثة خَلَتْ مما يلائم المشبه أَو المشبه به ، والاستعارة التى من النوع الأَول تسمى مرشحة . والتى من النوع الثانى تسمى مجردة والتى من النوع الثالث تسمى مطلقة .

القواعد :

(١٧) الاستعارة ٱلْمُرَشَّحَةُ : ما ذُكِرَ معها مُلَائم المشبَّهِ بهِ .

(١٨) الاستعارةُ المجرَّدَةُ : ما ذُكِرَ معها مُلَائمُ المشبَّهِ .

(١٩) الاستعارةَ الْمُطْلَقة : ما خَلَتْ من مُلائمات المشبَّهِ به أو المشبَّه[1] .

(٢٠) لا يُعْتَبَرُ الترشيحُ أو التجريدُ إلا بَعْدَ أنْ تَتمَّ الاستعارة باستيفائها قَرينَتَها لفظيةً أو حالِيَّة ، ولهذا لا تُسَمّى قَرينةُ التصريحيه تجْريدًا ، ولا قَرينةَ المكْنيةِ تَرْشِيحاً .

نَمُوذَجٌ

(١) خُلُقُ فلانٍ أَرَقُّ من أَنْفاسِ الصَّبا إذَا غازَلَت أَزْهارَ الرُّبا[2] .

(٢) فَإِنْ يَهْلِكْ فكلُّ عَمُودِ قَوْمٍ   مِنَ الدُّنْيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ

(٣) إنِّى شديدُ العَطَشِ إلى لِقائِك .

(٤) ولَيْلَة مَرِضَتْ مِنْ كلِّ ناحِيةٍ   فَمَا يُضىءُ لَها نَجْمٌ وَلا قَمَرُ

(٥) سَقاكِ وحَيَّانا بِكِ اللهُ إنَّما   عَلَى الْعِيس نَوْرٌ والخُدورُ كمائِمهْ[3]

الإجابة

(١) فى كلمة الصّبا – وهى الريح التى تَهُبُّ من مطْلَعِ الشمس – استعارة مكنية لأَنها شُبِّهت بإنسان وحذف المشبه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو أنفاس الذى هو قرينة المكنية ، وفى « غازلت » ترشيح .

(٢) فى عمود استعارة تصريحية أصلية ، شُبِّه رئيس القوم بالعمود بجامع أَنَّ كلاًّ يَحْمِل ، والقرينة « يهلِك » ، وفى « إلى هُلْك يصير » تَجْرِيد .

---

(١) من نوع الاستعارة المطلقة الاستعارة التى تشتمل على ترشيح وتجريد معاً ، مثالها فى التصريحية ، نطق الخطيب بالدرر ، براقة ثمينة ، فارتاحت لها الأسماع . ومثالها فى المكنية : قصف الموت شبابه قبل أن يزهر ويصل إلى الكهولة . (٢) الربا : الأماكن العالية .

(٣) الخطاب فى سقاك لمحبوبته، يدعو لها بالسقيا وأن يحيِّيا بها كما يحيا الناس بالأزهار ، والعيس : الإبل . والكمائم جمع كامة : وهى غلاف الزهرة .

(٣) شُبِّه الاشتياق بالعطش بجامع التطلع إلى الغاية ، فالاستعارة تصريحية أصلية ، والقرينة «إلى لقائك» وهى استعارة مطلقة .

(٤) فى مرِضت استعارة تبعية شُبِّهت الظلمة بالمرض والجامع خَفَاء مظاهر النشاط ، ثم اشتُق من المرض مرِضت ، فالاستعارة تصريحية تبعية ، وفى «ما يضىءُ لها نجم ولا قمر» تجريد .

(٥) النورُ : الزَّهْر ، أو الأَبيض منْه ، والمراد به هنا النساء ، والجامع الحُسْن ؛ فالاستعارة تصريحية أَصلية ، وفى ذكر الخُدُور تجريد ، وفى ذكر الكمائم ترشيح فالاستعارة مطلقة .

تمرينات

(١)

بيِّن نوع كل استعارة فيما يأْتى ، وعيِّن الترشيح الذى بها :

(١) قال السرىّ الرفاء :

وقدْ كتَبَتْ أَيْدى الرّبيع صحائفاً ... كأَنَّ سُطورَ السَّرْوِ حُسْناً سُطورُهَا[1]

(٢) إذا مَا الدَّهْرُ جرَّ على أُنَاسٍ ... كلاكله أَنَــاخَ بآخَرينا[2]

(٣) وقال المتنبي فى ذمّ كافور :

نَامَت نَواطِيرُ مصر عَن ثَعالِبِها ... وقَدْ بَشِمْنَ وما تَفْنَى العناقيــد[3]

(٤) وقال آخر فى وصف مَوْقِعة :

والمَوْت يخْطُرُ فى الجُموعِ وحَوْلَهُ ... أَجْنادُه مِنْ أَنْصُلٍ وعَــوَالِي[4]

(٥) رأَيتُ حبَال الشمس كفَّةَ حابلٍ ... تُحيط بِنَا مِنْ أَشْمُلٍ وجَنُوبِ[5]

نَرُوحُ بِها والمَوْتُ ظَمْآنُ ساغِبٌ ... يُلاحِظُنا فى جَيئةٍ وذُهُوب[6]

---

(١) السرو : شجر عال . (٢) الكلكل : الصدر ، يقول : إن عادة الدهر تكدير العيش فهو يصيب قوماً بأذاه ثم ينتقل إلى إصابة غيرهم (٣) الناطور : حارس الزرع ، وبشم : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل ، يقول : إن سادات مصر غفلوا عن العبيد فعبثوا بالأموال حتى أكلوا فوق الشبع . (٤) الأنصل جمع نصل : وهو حديدة السيف ، والعوالى : الرماح . (٥) المراد بحبال الشمس أشعتها ، وكفة الحابل : فخ الصياد ، وأشمل جمع شمال . (٦) ساغب : أى جائع .

(٦) وقال المتنبي :

أَتَى الزَّمانَ بَنوهُ في شَبِيبتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وأَتَيْنَـــاهُ على الهَرَمِ[١]

(٧) وقال أبو تمَّام :

نامَتْ هُمومِي عَنِّي حِينَ قُلْتُ لَهَا ... هٰذَا أَبو دُلَفٍ حَسْبِي بِهِ وكَفَى !

(٨) حاذِرْ أن تقتُلَ وقْتَ شَبابِك ، فإنَّ لكلِّ قتلٍ قِصَاصاً .

(٩) وقال بعضهم في وصف الكتب :

لنَا جُلَسَاءُ لا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ ... أَلِبَّاءُ مأْمُونُونَ غَيْباً ومَشْهَدَا

(١٠) وقال أبو تمام :

لمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كُفِيتُها ... والسَّيْفُ لا يَكْفِيكَ حتى يُنْتَضى[٢]

(١١) تَلَطَّخَ فلان بعار لن يُغْسل عنه أبدًا .

(٢)

ما نوع الاستعارات الآتية وأين التجريد الذى بها ؟ :

(١) رَحِمَ الله امرأً أَلجمَ نَفْسَه بإبعادها عن شهواتها .

(٢) اشتَر بالمعروف عِرْضَكَ من الأَذى .

(٣) أَضاءَ رأْيُهُ مُشْكلاتِ الأُمور .

(٤) انطلقَ لسانُه عن عِقاله فأَوْجزَ وأَعْجَزَ .

(٥) ما اكتحلت عينُه بالنوم أَرَقاً وتَسهيدًا .

(٦) قال المتنبي :

وَغَيَّبَتِ النَّوَى الظَّبيَاتِ عَنِّى ... فسَاعَدَتِ البَرَاقِعَ والحِجَالا[٣]

---

(١) الهرم : الشيخوخة ، يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حداثة الدهر ونضرته فسرهم ، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا . (٢) انتضى السيف : جرده من غمده . (٣) النوى : البعد والفراق ، والمقصود بالظبيات هنا الحسان ، والحجال الخدور ومفردها حَجَلة .

(٧) لا تَخض فى حديثٍ ليس من حقلك سماعه .

(٨) لا تتفكَّهوا بأعراض الناس ؛ فشرُّ الخُلُقِ الغيبة .

(٩) بين فكَّيْه حُسامٌ مُهنَّدٌ ، له كلام مُسدَّد .

(١٠) اكتست الأرضُ بالنباتِ والزَّهْر .

(١١) تبسَّم البَرقُ فأضاء ما حولَه .

(٣)

بيِّن لِمَ كانت الاستعارات الآتية مطلقة واذكر نوعها :

(١) قال أعرابى فى الخمر : لا أشربُ ما يَشْرَبُ عقلى .

(٢) وقال المتنبى يخاطب ممدوحه :

يا بَدْرُ يا بحرُ يا غمامةُ يالَيـ ... ـثَ الشَّرَى ياحِمَامُ يا رَجُلُ[1]

(٣) ووصف أعرابى قَحْطاً فقال : الترابُ يابسٌ والمال عابس[2] .

(٤) وقال تعالى : « أولئِكَ الَّذِين اشْترَوُا الضَّلالةَ بِالهُدَى وَالعَذَابَ بالمَغْفِرَةِ ، فما أَصْبَرَهُمْ على النَّارِ » .

(٥) رأيتُ جِبالًا تَمْخُرُ العُباب .

(٦) طار الخبرُ فى المدينة .

(٧) غنى الطيرُ أنْشُودَتَهُ فوقَ الأغصان .

(٨) بَرَزَتِ الشمسُ من خِدْرِها .

(٩) يَهْجُم علينا الدهرُ بجيش من أيامِهِ ولياليه .

---

(١) الشرى : مكان فى بلاد العرب يوصف بكثرة الأسود .

(٢) المال : ما ملكته من كل شيء ، وعند أهل البادية الإبل .

(٤)

بين الاستعارات الآتية وما بها من ترشيح أو تجريد أو إطلاق :

(١) قال المتنبي :

فِي الخَدِّ إنْ عَزَمَ الخَلِيطُ رحيلا　　مَطرٌ تَزيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحُولَا[١]

(٢) قال التهاميّ يعتذر لحسّاده :

لَا ذَنْبَ لِى قَدْ رُمْتُ كَتمَ فَضَائلى　　فَكأنَّما بَرْقَعْتُ وَجْهَ نَهار

(٣) قال أبو تمام فى المديح :

نَالَ الْجزيرَةَ إمْحَالٌ فَقُلْتُ لَهمْ　　شِيمُوا نَدَاهُ إذا ما البرْقُ لَمْ يُشَمِ[٢]

(٤) وقال بدرُ الدين يوسُف الذهبي[٣] :

هَلُمَّ يَا صَاحِ إلى رَوْضَةٍ　　يَجْلُو بِها العَانِى صدَا هَمِّهِ[٤]
نَسِيمُهَا يَعْثُرُ فِى ذيْلِهِ　　وَزَهْرُهَا يضْحَك فِى كُمِّهِ

(٥) قال ابن المعتز :

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّماءِ على الأَرْ　　ضِ وشُكْرَ الرِّيَاضِ للأَمْطار[٥]؟

(٦) قال سعيدُ بن حُميد[٦] :

وَعَدَ البَدْرُ بالزيارَةِ لَيْلاً　　فَإذا مَا وَفَى قَضيْتُ نُذُورِى

(٧) زارنى جبل ضِقْتُ ذَرْعاً بِثرْثَرَتِهِ[٧].

(١) الخليط : الرفيق المعاشر ، والمحول : الجدب ، والمراد به هنا الشحوب وزوال النضرة بسبب الحزن . (٢) الإمحال : الجدب وشام البرق : نظر إليه منتظراً مطره ، والمعنى اطلبوا نداه إذا يئستم من صدق البرق . (٣) من الشعراء المعدودين بالشام فى طليعة عصر المماليك ، وكان سهل الشعر عذبه مولعاً بالمحسنات اللفظية ، وتوفى سنة ٦٨٠ هـ . (٤) العانى : المتعب الحزين . (٥) فى البيت استفهام محذوف ، أى أما ترى إلخ ، والمراد بشكر الرياض ازدهارها . (٦) كاتب مترسل وشاعر رقيق الشعر نحا فيه منحى ابن أبى ربيعة ، وقلده المستعين العباسى ديوان رسائله ، وتوفى سنة ٢٥٠ هـ ، (٧) ضاق به ذرعاً : ضعفت طاقته عنه ولم يجد منه مخلصاً ، والثرثرة : كثرة الكلام وترديده .

(٨) قال أعرابى ، ما أشدَّ جَوْلَةَ الرأْى عند الهوَى ، وأَشقَّ فِطامَ النفس عند الصِّبا[1] ...

(٩) ووصف أعرابى بَنِى بَرْمَك فقالَ : رأيتهم وقد لبِسُوا النعمة كأنها مِنْ ثيابهم ...

(٥)

اجعل الاستعارات الآتية مرَّة مرشحة ومرة مجردة :

لا تلبَس الرياءَ ، ولا تَجْرِ وراءَ الطيش ، ولا تعبَثْ بمودةِ الإخوان ، ولا تصاحب الشرَّ ، ولا تنخدع إذا نظرتَ فى الأُمور – بسرابٍ[2] بل اتَّبع النورَ دائماً فى هذه الدنيا ، واجتنب الظلام ، وإذا عَثَرت فقم غير يائس ، وإذا حاربك الدهر ، فتجمَّل غير عابس .

(٦)

(ا) هات ستَّ استعارات تصريحية فيها المرشحة والمجردة والمطلقة .

(ب) » » » مكنية » » » »

(٧)

اشرح الأَبيات الآتية وبيِّن ما فيها من ضروب الحُسْن البيانى :

قال الشريف فى وصف ليلة :

وَلَيْلةٍ خُضْتُها عَلى عَجَلٍ ... وصُبْحُها بِالظَّلامِ مُعْتَصِمُ[3]

تَطَلَّعَ الفَجْرُ فى جَوَانِبِهَا ... وانْفَلَتتْ منْ عقَالِها الظلم[4]

كأَنَّما الدَّجْنُ فِى تَزاحُمِه ... خَيْلٌ لَها منْ بُرُوقه لُجمُ[5]

---

(١) الصبا : الميل إلى الجهل والفتوة . (٢) السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء . (٣) معتصم : أى مستمسك بالظلام متحصن به . (٤) العقال : قيد الدابة . (٥) الدجن : الغيم يملأ أقطار السماء ، واللجم : جمع لجام .

(٤) الاستعارة التمثيليّة

الأمثلة :

(١) عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابِهِ ، وَحلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابِهِ .

(لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر)

(٢) قال المتنبي :

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

(لمن لم يرزق الذَّوْقَ لفَهْم الشعر الرائع)

(٣) قطعَتْ جَهيزةُ قَوْلَ كل خَطِيب .

(لمن يأتى بالقول الفَصْل)

البحث :

حينما عاد الرجل العامل إلى وطنه لم يَعُد سيف حقيقىّ إلى قرابه ، ولم يَنزِل أَسَدٌ حقيقىّ إلى عرينه ، وإذًا كل تركيب من هذين لم يُستعمل فى حقيقته ، فيكون استعماله فى عَوْدة الرجل العامل إلى بلده مجازًا ، والقرينة حالِيَّة ، فما العلاقة بين الحالين يا ترى ، حالِ رجوع الغريبِ إلى وطنه ، وحال رجوع السيف إلى قِرَابه ؟ العلاقة المشابهة ، فإن حالَ الرجل الذى نَزَحَ عن الأَوطان عاملاً مُجِدًّا ماضياً فى الأُمور ثم رجوعَه إلى وطنه بعد طول الكَدِّ ، تشبه حال السيف الذى اسْتُلَّ للحرب والجِلاد حتى إذا ظَفِربالنصرعاد إلى غِمْده. ومثل ذلك يقال فى : «وحلَّ الليثُ مَنِيعَ غابِهِ» .

وبيت المتنبي يدل وَضْعُهُ الحقيقىّ على أَن المريض الذى يصاب بمرارة فى فمه إذا شربَ الماءَ العذبَ وجده مُرًّا ، ولكنه لم يستعمله فى هذا المعنى بل استعمله فيمن يَعيبون شِعْرَه لِعَيْب فى ذوقهم الشعرىّ . وضعْف فى إدراكهم الأَدبىّ ؛ فهذا التركيب مجاز قرينته حالِيَّة ، وعلاقته المشابهة ،

والمشبه هنا حال المُولَعين بذمه والمشبه به حال المريض الذى يجدالماء الزلال مُرًّا .

والمثال الثالث مَثَلٌ عربيٌّ ، أصلُهُ أن قوماً اجتمعوا للتشاور والخطابة فى الصلح بين حَيَّيْنِ قَتَلَ رجل من أحدهما رجلاً من الحىِّ الآخر ، وإنهم لكذلك إذا بجارية تُدْعَى جَهيزَةَ أقبلت فأنبأتهم أنَّ أولياء المقتول ظَفِرُوا بالقاتل فقتلوه ، فقال قائل منهم : «قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب» ، وهو تركيب يُتَمَثَّلُ به فى كل موطن يوتى فيه بالقول الفَصْل .

فأنت ترى فى كل مثال من الأَمثلة السابقة أن تركيباً استعمل فى غير معناه الحقيقىّ ، وأنَّ العلاقة بين معناه المجازى ومعناه الحقيقىّ هى المشابهة . وكل تركيب من هذا النوع يُسَمَّى **استعارة تمثيلية**[١] .

القاعدة :

(٢١) الاستعارةُ التمثيلية تركيبٌ استُعْمِلَ فى غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرِينَة مَانِعةٍ مِنْ إرادةِ مَعْناهُ الأَصْلِى

نَمُوذَجٌ

(١) من أمثال العرب :
قَبْلَ الرِّماءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ[٢] (إذا قُلْتَهُ لمن يريد بناء بيت مثلاً قبل أن يتوافر لديه المال) .

(٢) أنت تَرْقُمُ على الماءِ (إذا قلتَه لمن يُلِحُّ فى شأْن لا يمكن الحصولُ منه على غاية) .

(١) لابد أن يكون كل من المشبه والمشبه به فى الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد كما تراه واضحاً فى الأمثلة .

(٢) الرماء : رمى السهام ، والكنائن جمع كنانة وهى وعاء السهام .

الإجابة

(١) شُبِّهَتْ حال من يريد بناءَ بيت قبل إعداد المال له ، بحال من يريد القتال وليس فى كِنانته سهام ، بجامع أن كلا منهما يتعجل الأمر قبل أن يُعِدَّ له عُدَّتَهُ ، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالِيَّة .

(٢) شُبِّهت حالُ من يُلِحُّ فى الحصول على أمر مستحيل ، بحال من يَرْقُمُ على الماء ، بجامع أن كلا منهما يَعْمَلُ عملاً غَيْرَ مُثْمِرٍ ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالِيَّة .

تمرينات

(١)

افرض حالاً تَجْعَلُها مشبَّهًا لكُلٍّ من التراكيب الآتية ، ثم أجْرِ الاستعارة فى خمسة تراكيب .

(١) إنَّكَ لا تَجْنِى من الشَّوْكِ العنَبَ .
(٢) أنتَ تَنْفُخُ فى رَمَادٍ .
(٣) لاَ تَنْثُرِ الدُّرَّ أمام الخنازير .
(٤) يَبتَغِى الصَّيْدَ فى عِرِيسَة الأَسد[1] .
(٥) أخذَ القوْسَ باريها .
(٦) اسْتَسْمَنْتَ ذَاوَرَم .
(٧) أنت تَضرِب فى حديد بارد .
(٨) هو يَبنِى قصورًا بغير أساس .
(٩) لكل صارمٍ نَبْوَة[2] .
(١٠) لا يُلْدَغُ المؤْمنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ .
(١١) الْمَوْرِدُ الْعذْبُ كثير الزِّحام .
(١٢) اعْقِلهَا وتَوَكلْ[3] .
(١٣) أنْتَ تَحْصُدُ ما زَرَعْتَ .
(١٤) ألقِ دَلوَكَ فى الدِّلاءِ .
(١٥) يُخَرِّبون بيوتَهم بأيديهم .
(١٦) إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ[4]

(١) العريسة : مأوى الأسد . (٢) النبوة : عدم قطع السيف . (٣) الضمير فى أعقلها يعود على الناقة : أى قيدها ثم توكل على الله ، أما أن تتركها بلا عقال ثم تتوكل على الله فى حفظها فلا يجوز . (٤) يفلح : يقطع .

(١٧) لا بُدَّ لِلمَصدُورِ أن يَنفُثَ[1] (١٩) وَمَن قَصَدَ البَحرَ استَقَلَّ السَّواقِيا[3]
(١٨) لكلِّ جوادٍ كبْوة[2]. (٢٠) أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيلَة[4]

(٢)

بيِّن نوع كل استعارة من الاستعارات الآتية وأجرها :

(١) قال المتنبي :

غاضَ الوَفَاءُ فَما تلقاهُ في عِدَةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ في الأَخْبارِ والقَسَمِ[5]

(٢) قال البحتري :

إذَا مَا الجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ إهْمَالُ الطَّبِيبِ[6]

(٣) وقال الشاعر :

مَتى يَبلغُ البُنْيَانُ يوْمــاً تَمَامَــهُ إذا كُنْتَ تَبنِيهِ وَغَيْرُكَ يهْدِمُ ؟

(٤) وقال تعالى : اهْدنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ .

(٥) وقال تعالى : وتَرَكْنَا بَعْضَهمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ وَنُفِخَ في الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُم جمعاً .

(٦) وقال البارودي[7] :

في لُجَّةِ البَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الوَشَلِ[8] !

(٧) وقال آخر :

وَمَنْ مَلك البِلادَ بِغَيْرِ حرْبٍ يهُونُ عَلَيْهِ تَسْلِيمُ البِــلاد

---

(١) المصدور : المصاب بمرض في صدره ، والنفث النفخ . ورمى النفاثة (٢) كبوة الجواد : عثرته . (٣) السواق : الأنهار الصغيرة . (٤) الحشف : رديء التمر ، والكيلة اسم بمعنى الكيل . (٥) غاض الماء : قل ونقص ، والعدة : الوعد ، وأعوز : عز وقل .
(٦) رم الجرح : أصلح وعولج . (٧) هو محمود سامي البارودي حامل لواء النهضة الشعرية الحديثة ، شعره يشاكل شعر الفحول في صدر العصر العباسي ، مات سنة ١٣٢٢ هـ .
(٨) اللجة : معظم الماء ، والوشل : القليل .

(٨) وقال :

أَضاءَتْ لهمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى الليل حَتى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثاقِبُهْ[١]

(٩) وقال الشاعر :

وَمَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِه المَهْرُ[٢] .

(١٠) وقال المتنبي :

إلَيْكِ فإنِّى لَسْتُ مِمَّنْ إذَا اتَّقى عِضَاضَ الأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ العقَارب[٣]

(١١) أنت كمستبضع التمرِ إلى هَجَر[٤] .

(١٢) وقال المتنبي :

وَتُحْيِي لَهُ المَالَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَـا وَيقْتُلُ مَا تُحْيِي التَّبَسُّم والجَدَا[٥]

(١٣) وقال يخاطب سيف الدولة :

أَلا أَيُّها السَّيفُ الذِى لَيس مُغْمَدًا ولاَ فيهِ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْه عاصِمُ

(١٤) لاَ يَضُرُّ السحابَ نُبَاح الكلاب .

(١٥) لا يَحمدُ السيفُ كلُّ مَنْ حَمَلَهَ[٦] .

(١٦) وذِى رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظْفَارَ ضِغنِهِ بِحِلْمِيَ عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ[٧]

(١٧) لاَ تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَاماً[٨] .

(١٨) رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ .

---

(١) الجزع : الخرز وتنظيم الجزع ضمه فى سلك ، وثقب الشىء أوجد به ثقباً .
(٢) لم يغله المهر : أى لم يجده باهظاً . (٣) إليك : أى كفى ، يقول كفى عنى فإنى لست ممن إذا خاف من الهلاك صبر على الذل ، فجعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل لأنها إذا لم تقتل تكرر لسعها فكانت أطول عذاباً . (٤) هجر : قرية باليمن تشتهر بكثرة تمرها . (٥) الصوارم : السيوف ، والقنا : الرماح ، الجدا : العطاء ، أى أن السيوف والرماح تجمع له غنائم الأعداء ، والكرم يفرق ما جمعت . (٦) أى أن السيف لا يحمد كل حامل له فقد يكون حامله جباناً أو جاهلا بضروب القتال . (٧) الضغن : الحقد . (٨) الذام : العيب .

(٣)

اجعل التشبيهات الضمنيةَ الآتية استعاراتٍ تمثيليةً بحذف المشبه وفرْض حال أُخرى مناسبة تجعلها مشبهة :

(١) قال المتنبي :

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحائِبِ يَظْلِم[١]

(٢) فإِنْ تَزْعُمِ الأَمْلاكُ أَنكَ مِنهمُ ... فَخَارًا فإِنَّ الشَّمسَ بعضُ الكَواكب

(٣) وقال :

خُذْ مَا تَراهُ وَدَعْ شيْئاًسَمِعْتَ بِهِ ... فى طَلْعَةِ البَدْرِ مَايُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ[٢]

(٤) وقال :

لَعَلَّ عتْبَكَ مَحمُودٌ عوَاقِبُهُ ... وَرُبمــا صحّتِ الأَجْسَامُ بالعِلَل

(٥) وقال بعضهم فى شريف لا يكاد يجد قوتاً :

أَيشْكُو لئيمُ القَوْمِ كظًّا وَبِطْنَةً ... وَيَشْكُو فتَى الفِتْيَان مَسّ سُغُوبِ[٣]

لأَمرٍ غَدا مَا حَوْلَ مَكَّةَ مُقفِرًا ... جدِيباً وَبَاق الأَرْضِ غَيْرُ جدِيب[٤]

(٤)

اجعل الاستعارات التمثيلية الآتية تشبيهات ضمنة بذكر حال مناسبة تجعلها مشبهة قبل كل استعارة :

(١) يمشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلاً[٥].

(٢) رَضيتَ من الغنيمة بالإِياب[٦] .

(٣) أَنت تضىءُ للناس وتحْتَرقُ .

---

(١) المواطر جمع ماطر ، يقول أنت أهل لما رجوته منك ، وأنا أعلم أنى لم أضع رجائى فى غير محله فلست كن يرجو المطر من غير السحاب . (٢) امدحه بما تراه منه ، واترك ما سمعت به من شرف أجداده ؛ فإن من ظهر له البدر استغنى بنوره عن زحل : وهو نجم بعيد خفى . (٣) الكظ والبطنة : الامتلاء الشديد من الطعام ، والسغوب : الجوع .

(٤) مقفراً : خالياً من النبات . والجديب : المكان لا خصب فيه .

(٥) يضرب للرجل يدرك حاجته فى تؤدة ودعة . (٦) مثل يضرب عند القناعة بالسلامة .

(٤) كَفى بِكَ داءً أن تَرَى المَوْتَ شَافِياً .

(٥) ليس التَّكَحُّلُ فى العيْنَين كالكَحَل[1] .

(٦) ولا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إبَر النَّحْل[2] .

(٧) هو يَنْفُخُ فى غير ضَرَم[3] .

(٨) أنت تحْدُو بِلاَ بَعير[4] .

(٥)

أُذكر لكل بيت من الأبيات الآتية حالاً يُستشهد فيها بهِ ثم أجر الاستعارة وبيِّن نوعها :

(١) قال المتنبى :

وَمَنْ يَجْعَل الضِّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فيما تَصَيَّدَا[5]

(٢) أَرَى خَلَلَ الرّمادِ وَمِيض نَارٍ وَيُوشِكُ أَن يكونَ لهَا ضرامُ[6]

(٣) قَدِّر لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعها فَمنْ عَلاَ زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلجَا[7]

(٤) وقال المتنبى :

وفى تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشمْسَ ضَوءَهَا وَيجهدُ أن يأْتِى لهَا بِضريبِ[8]

(٥) وقال البُوصيرى :

قَدْ تُنْكر العَينُ ضوءَ الشَّمس مِن رَمَدٍ وَيُنْكرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقم[9]

---

(١) التكحل : وضع الكحل فى العين ؛ والكحل : سواد الجفون خلقة ، أى ليس المصنوع كالمطبوع . (٢) الشهد : العسل فى شمعها ، وإبرة النحل : شوكتها ، يقول من طلب الشهد لم يصل إليه حتى يقاسى لسع النحل . (٣) الضرم : الجمر . (٤) الحدو : سوق الإبل والغناء لها . (٥) الضرغام : الأسد ، يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به لم يأمن أن يصيده الأسد . (٦) الخلل منفرج ما بين الشيئين ، ووميض النار لمعانها ، والضرام : اشتعال النار فى الحطب . (٧) الزلق : الأرض الملساء التى لا تثبت فيها قدم ، والغرة : الغفلة ، و زلج زل وسقط . (٨) الضريب : المثيل ، يمثل الشاعر ممدوحه بالشمس ويمثل حساده بمن يريد أن يأتى للشمس بنظير فهو فى تعب دائم ، لأنه يجهد نفسه فى طلب المحال . (٩) تنكر : تجهل ، والسقم : المرض .

(٦) وقال المتنبي :

إذا اعْتادَ الفَتَى خَوْضَ المَنَايَا … فأَيْسرُ ما يمر بِهِ الوُحُولُ[١]

(٧) وقال :

ما الَّذِى عِنْدَهُ تُدارُ المَنَايَا … كالَّذِى عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُول[٢]

(٨) قال كُثَيِّر عَزَّة[٣] :

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ … لِعزَّةَ مِنْ أَعْراضِنامَا اسْتَحَلَّتِ[٤]

(٩) زَعَمَ الفَرَزْدَق[٥] أنْ سَيَقْتل مرْبعاً … أَبْشِرْ بِطول سلَامةٍ يا مِرْبَعُ[٦]

(١٠) وَلَا بُدَّ لِلْمَاءِ فى مِــرْجَلٍ … عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورا[٧]

(١١) إِذَا قالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوها … فإِنَّ القَوْلَ ما قالتْ حَذَامِ[٨]

(١٢) لَقَدْ هُزِلتْ حتَّى بدَا مِنْ هُزَالِها … كُلاهاوحتى سَامَها كلُّ مُفْلِسِ[٩]

(٦)

(ا) هاتِ استعارة تمثيلية تَضْربها مثلاً لمن يكْسَلُ ويطمع فى النجاح .

(ب) » » » » » » ينفق أمواله فى عمل لا ينتج .

(حـ) » » » » » » يكتب ثم يمحو ثم يكتب ثم يمحو .

(د) هات مثلين عربيين وأجر الاستعارة التمثيلية فى كل منهما .

---

(١) يقول : إذا تعود الإنسان خوض معارك الحرب لم يبال الوحول ، يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه متعود ما هو أشد من ذلك . (٢) الشمول : الخمر ، أى ليس من يشتغل بالحرب كمن يشتغل باللهو . (٣) شاعر متيم مشهور من أهل الحجاز ، وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره إلى أن عرف أدبه فرفع مجلسه ، وأخباره مع عزة بنت جميل كثيرة ، وكان عفيفاً فى حبه ، توفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ . (٤) الداء المخامر : الدفين المستتر ، أى أن ما استحلته عزة من ثلب أعراضنا يحل لها حال كونه هنيئاً غير مسبب لها داء ولا ألما .

(٥) هو أبو فراس همام بن غالب . تغلب على شعره فخامة الألفاظ . وكان بينه وبين جرير مهاجاة ومنافسة مات سنة ١١٠ هـ . (٦) مربع : اسم رجل وفى البيت من السخرية والهزء بالفرزدق ما فيه . (٧) المرجل : القدر . (٨) حذام : امرأة من العرب اشتهرت بصدق الحدس . (٩) هزلت : أى ضعفت ونحف جسمها والضمير للشاة ، والكلى جمع كلية ، وسامها أراد شراءها ، والمفلس : من لم يبق له مال :

(٧)

اشرح قول المتنبي بإيجاز ، واذكر ما أعجبك فيه من التصوير البياني :

رَمَانِى الدهـــر بالأَرْزَاء حَتَّى ... فُؤَادِى فى غِشاءٍ من نِبالِ[١]
فصِرْتُ إذا أصابتنى سِهـــامٌ ... تكسَّرتِ النصالُ علَى النصالِ[٢]

(٥) بلاغة الاستعارة

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين: الأُولى تأْليف ألفاظه، والثانية ابتكار مشبه به بعيدٍ عن الأَذهان، لا يجول إلا فى نفس أديب وهب الله له استعدادًا سليماً فى تعرُّف وجوه الشبَه الدقيقة بين الأَشياء ، وأَودعه قدْرَةً على ربط المعانى وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدًى بعيد لا يكاد ينتهى .

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أَنَّ تركيبها يدل على تناسى التشبيه ، ويحمِلُكَ عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنسيك رَوْعَتُها ما تَضَمَّنَهُ الكلام من تشبيه خفى مستور .

انظر إلى قول البحترى فى الفَتح بن خاقان :

يَسْمُو بِكف عَلَى العافينَ حانِيَةٍ ... تَهْمِي وَطرْفٍ إلى العَلْيـــاءِ طمَّاحِ[٣]

أَلست ترى كفه وقد تمثَّلتْ فى صورة سحابة هتَّانة تصُبُّ وَبلها على العافين السائلين ، وأَنَّ هذه الصورة قد تملكت عليك مشاعرك فأَذْهَلَتْكَ عما اختبأَ فى الكلام من تشبيه ؟

---

(١) الأرزاء : المصائب، والغشاء : الغلاف ، والنبال : السهام العربية ، يقول : كثرت على مصائب الدهر حتى لم يبق من قلبى موضع إلا أصابه سهم منها فصار فى غلاف من السهام .

(٢) النصال : حدائد السهام ، يقول : صرت بعد ذلك إذا أصابتنى سهام من تلك المصائب لا تجدها موضعاً تنفذ منه إلى قلبى، وإنما تقع نصالها على نصال السهام التى قبلها فتتكسر عليها.

(٣) العافين : سائلى المعروف ، وحانية : عاطفة شفيقة ، وتهمى : تسيل ، والطرف : البصر ، والطماح : الذى يغالى فى طلب المعالى والسعى وراءها .

وإذا سمعتَ قوله فى رثاء المتوكل وقد قُتلَ غِيلةً :

صريعٌ تَقَاضَاهُ اللَّيالِى حُشاشَةً ... يجودُ بها والمَوتُ حُمْرٌ أظافِرُهُ[1]

فهل تستطيع أن تُبعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ، وهى صورة حيوان مفترس ضرّجَتْ أظافره بدماءِ قتلاه ؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ ؛ لأنه وإن بنى على ادعاءِ أن المشبهَ والمشبهَ به سواءٌ لا يزال فيه التشبيه منْوِيًّا ملحوظاً بخلاف الاستعاره فالتشبيه فيها مَنْسِىٌّ مَجْحُودٌ ؛ ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارةَ المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ ، وأن المطلقة أبلغ من المجردة .

أما بلاغَةُ الاستعارة من حيث الابتكارُ وَرَوْعَة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فُرسان الكلام .

انظر إلى قوله عزَّ شأْنه فى وصف النار : « تكَادُ تَمَيَّزُ من الغَيظِ كلَّمَا أُلقى فيها فَوْجٌ سَأَلهمْ خزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكم نَذِير[2] » ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوقٍ ضَخْمٍ بطَّاشٍ مُكفهرِّ الوجه عابِسٍ يغلِى صدرُه حقدًا وغيظاً .

ثم انظر إلى قول أبى العتاهية فى تهنئة المهدى بالخلافة :

أَتَتْهُ الخِـلافَةُ مُنْقادَةً ... إليْهِ تُجَرِّرُ أَذْيالهـا

تجد أنَّ الخِلافة غادةٌ هيفاءُ مُدَلَّلَةٌ مَلولٌ فُتنَ الناس بها جميعاً ، وهى تأْبى عليهم وتصدُّ إعراضاً ، ولكنها تأْتى للمهدى طائعة فى دلال وجمال تجُرُّ أَذيالها تيهاً وخَفَرًا .

---

(١) الصريع : المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين ؛ وهو من قولهم تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح ؛ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته .

(٢) تتميز غيظاً : تتقطع غضباً على الكفرة ، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ، والفوج : الجماعة ، والاستفهام فى قوله تعالى : « ألم يأتكم نذير » للتوبيخ .

هذه صورة لا شك رائعة أَبْدَعَ أبو العتاهية تصويرَها ، وستبقى حُلوة فى الأَسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقىَ الزمان .

ثم اسمع قول البارودى :

إِذَا اسْتَلَّ مِنَّا سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ تفزَّعتِ الأَفلاكُ والْتَفَتَ الدَّهْر[1]

وخبرنى عما تحسُّ وعما ينتابك من هول مما تسمع ، وقل لنا كيف خطرت فى نفسك صورة الأَجرام السماوية العظيمة حيّةً حساسة تَرْتَعِدُ فَزَعاً وَوَهَلاً ، وكيف تصورتَ الدهر وهو يلتفت دَهشاً وذهولاً ؟

ثم اسمع قوله فى منفاه وهو نَهْبُ اليأْس والأَمل :

أَسمعُ فى نفسِى دَبِيبَ الْمُنَى وَأَلْمَحُ الشُّبْهَةَ فى خاطِرِى

تجد أَنه رسم لك صورة للأَمل يتمَشى فى النفس تمشياً مُحَسًّا يسمعه بأُذنه . وأَن الظنون والهواجس صار لها جسم يراه بعينه ؛ هل رأَيت إبداعاً فوق هذا فى تصويره الشك والأَمل يتجاذبان ؟ وهل رأَيتَ ما كان للاستعارة البارعة من الأَثر فى هذا الإبداع ؟

ثم انظر قول الشريف الرضى فى الودَاع :

نَسْرِقُ الدَّمْعَ فى الجُيوبِ حَيَاءً وَبِنَــا مَا بِنَا مِنَ الأَشْواق

هو يسرق الدمع حتى لا يُوصَمَ بالضعف والخَوَر ساعةَ الوداع ، وقد كان يستطيع أَن يقول : « نَسْتُر الدمع فى الجيوب حياءً » ؛ ولكنه يريد أَن يسمو إلى نهاية المُرْتقى فى سحر البيان ، فإن الكلمة « نَسْرِقُ » ترسُم فى خيالك صورة لشدة خوفه أَن يظهر فيه أَثرٌ للضعف ، ولمهارته وسرعته فى إخفاء الدمع عن عيون الرقباء . ولولا ضِيق نطاق هذا الكتاب لعرضنا عليك كثيراً من صور الاستعارة البديعة ، ولكننا نعتقد أَن ما قدمناه فيه كفايةٌ وغَنَاء .

---

(١) غرب السيف : حده ، وتفزعت : ذعرت أى أصابها الذعر وهو الخوف .

(٦) المجازُ المرسل

الأمثلة :

(١) قال المتنبي :

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِغَةٌ أُعَدُّ مِنْها وَلا أُعَدِّدُها[١]

(٢) وقال تعالى : وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً

(٣) كَمْ بَعَثْنَا الْجَيْشَ جرَّا رًا وَأَرْسَلْنا الْعُيُونَا[٢]

(٤) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

وَإِنى كُلَّمَا دَعَوْتُهمْ لِتَغْفِرَ لَهمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ .

(٥) وقال تعالى : وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ .

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فاجراً كَفَّارًا .

(٧) وقال تعالى : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ .

(٨) وقال تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ .

البحثُ :

عرفت أن الاستعارة من المجاز اللغوى ، وأنها كلمةٌ استعملت فى غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلىّ والمجازىّ ، ونحن نطلب إليك هنا أن تتأمل الأمثلة السابقة ، وأن تبحث فيها إذا كانت مشتملة على مجاز

---

(١) يقول : إن الممدوح على نعماً شاملة ، فوجودى يعد من نعمه ، ولا أستطيع أن أحصر هذه النعم . (٢) الجيش الجرار : الثقيل السير لكثرته .

انظر إلى الكلمة «أياد» فى قول المتنبى ؛ أتظن أنه أراد بها الأيدى الحقيقية ؟ لا . إنه يريد بها النِّعم ، فكلمة أياد هنا مجاز ، ولكن هل ترى بين الأيدى والنعم مشابهة ؟ لا . فما العلاقة إذًا بعد أن عرفت فيما سبق من الدروس أن لكل مجاز علاقة ، وأن العربىّ لا يُرسل كلمةً فى غير معناها إلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين ؟ تأمل تجد أنّ اليد الحقيقية هى التى تمنح النعم فهى سبب فيها ، فالعلاقة إذًا السببية وهذا كثير شائع فى لغة العرب .

ثم انظر إلى قوله تعالى : «ويُنَزِّلُ لَكُمْ مِن السَّماءِ رِزْقاً» ؛ الرزق لا ينزل من السماء ولكن الذى ينزل مطرٌ ينشأُ عنه النبات الذى منه طعامُنا ورزقُنا ، فالرزق مسبب عن المطر ، فهو مجاز علاقته المسببية . أما كلمة «العيون» فى البيت فالمراد بها الجواسيس ، ومن الهيِّن أن تفهم أن استعمالها فى ذلك مجازىٌّ ، والعلاقة أن العين جزءٌ من الجاسوس ولها شأن كبير فيه فأُطلق الجزء وأُريد الكل : ولذلك يقال إن العلاقة هنا الجزئية .

وإذا نظرت فى قوله تعالى : «وإنِّى كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ» رأيت أن الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبَعهُ كلها فى أُذنه ، وأن الأَصابع فى الآية الكريمة أُطلقت وأُريد أطرافها فهى مجاز علاقته الكلية .

ثم تأمل قوله تعالى : «وَآتُوا الْيَتَامى أَمْوَالَهُمْ» تجد أن اليتيم فى اللغة هو الصغير الذى مات أبوه ، فهل تظن أن الله سبحانه يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموالَ آبائهم ؟ هذا غير معقول ، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سِن الرُّشد بعد أن كانوا يتامى ، فكلمة اليتامى هنا مجاز لأنها استعملت فى الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان .

ثم انظر إلى قوله تعالى : «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» تجد أن فاجرًا وكفارًا مجازان لأن المولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفارًا ،

ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأُطْلِق المولود الفاجر وأريد به الرَّجلُ الفاجرُ والعلاقة اعتبار ما يكون .

أما قوله تعالى : «فَلْيَدْعُ نَادِيه» والأمر هنا للسخرية والاستخفاف ، فإننا نعرف أن معنى النادى مكان الاجتماع ، ولكن المقصود به فى الآية الكريمة مَنْ فى هذا المكان من عَشِيرَتِهِ ونُصَرَائه ، فهو مجاز أُطلق فيه المحل وأُريد الحالّ ، فالعلاقة المحلية .

وعلى الضد من ذلك قوله تعالى : «إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم» والنعيم لا يَحُلُّ فيه الإنسان لأنه معنى من المعانى ، وإنما يَحُلُّ فى مكانه ، فاستعمال النعيم فى مكانه مجاز أُطلق فيه الحالّ وأُريد المحلّ فعلاقته الحالية . وإذا ثبت كما رأيتَ أَنَّ كل مجاز مما سبق كانت له علاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأَصلى ، فاعلم أن هذا النوع من المجاز اللغوى يسمى المجاز المرسل[1] .

القواعد :

(٢٢) المجازُ الْمُرْسَل كلمة اسْتُعْمِلَتْ فى غَيْرِ مَعناها الأَصْلىِّ لعلاقة غير المشابهةِ مَعَ قرينةٍ مانعة من إرادةِ المعنَى الأَصْلىِّ[2] .

(٢٣) مِنْ عَلاقات المجاز الْمُرْسَل :

السَّبَبِيَّة ـ المُسَبَّبيَّةُ ـ الْجُزْئيهُ ـ الكليَّةُ ـ اعْتبَارُ ما كان ـ اعتبارُ ما يكون ـ الْمَحَلِّيَّة ـ الحالِّيَّةُ .

(١) المرسل : المطلق ، وإنما سمى هذا المجاز مرسلا لأنه أطلق فلم يقيد بعلاقة خاصة .

(٢) ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب ، وهو كل تركيب استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة ، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة فى الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن كما فى قول ابن الرومى .

بان شبابى فعز مطلبه وانبتّ بينى وبينه نسبه

فهذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية والقرينة حالية ، فإن ابن الرومى لا يريد الإخبار ، ولكنه ، يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب .

نَموذَج

(١) شَرِبْتُ ماءَ النِّيل .

(٢) أَلقَى الخطيب كلمةً كان لها كبيرُ الأَثر .

(٣) وَاسْأَل القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها .

(٤) يَلْبَسُ المصريون القُطْنَ الذى تُنتِجُهُ بلادُهم .

(٥) وَالأَعْوَجيَّةُ مِلءَ الطرْقِ خَلْفَهُمُ وَالمَشْرَفِيةُ مِلءَ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ[1]

(٦) سأُوقد نارًا .

الإجابة

(١) ماء النيل يراد بعض مائه	فالمجاز	مرسل	علاقته الكلية .
(٢) الكلمة يراد بها كلامٌ	«	«	« الجزئية
(٣) القرية يراد بها أهلها	«	«	« المحلية .
(٤) القطن يراد به نسيجٌ كان قطناً	«	«	« اعتبار ما كان
(٥) ملءَ اليوم يراد به ملء الفضاء الذى يشرق عليه النهار	فالمجاز	مرسل	« الحالِّيَّة .
(٦) نارًا يراد به حطب يئول إلى نار	فالمجاز	مرسل	« اعتبار ما يكون.

تمرينات

(١)

بين علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتى :

(١) قال ابن الزَّيات[2] فى رِثاءِ زَوْجِه :

أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمُفارِقَ أُمَّه بَعِيدَ الْكَرى عَيْنَاهُ تنسكِبَانِ

---

(١) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبنى هلال ، والمشرفية : السيوف ، وملء فى الشطرين منصوب على الحال ، وخبر المبتدأ فى الشطار الأول الظرف خلفهم ، وفى الشطر الثانى الظرف فوقهم ؛ يصف المتنبى إحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك ، وإنما اشتهر بابن الزيات لأن جده كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، كان أديباً شاعراً بليغاً ، وقد توزر للمعتصم ولابنه الواثق من بعده ، وتوفى سنة ٢٣٣ هـ .

(٢) ويُنسب إلى السموءل .

تَسِيلُ على حدِّ السُّيوفِ نُفوسُنا ... وَلَيْسَ على غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ

(٣) أَلِمَّا على مَعْنٍ وَقُولاَ لِقَبْرِهِ ... سَقتْكَ الغوادى مَرْبعاً ثُمَّ مَرْبعَا(١)

(٤) لَا أَرْكَبُ البَحْـرَ إنِّى ... أَخافُ مِنْـهُ الْمَعَاطِبْ(٢)

طينٌ أنا وَهْوَ مَـاءٌ ... وَالطِينُ فِى الْمَـاءِ ذائبْ

(٥) ومَا مِنْ يَدٍ إلا يَدُ اللهِ فَوْقَها ... وَلَا ظَالِمٍ إلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

(٦) وقال المتنبي فى ذم كافور :

إنِّى نَزَلْتُ بِكَذابينَ ضَيفُهُمُ ... عَنِ القِرَى وَعَنِ الترْحَالِ مَحْدُودُ(٣)

(٧) وقال :

رأيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ فى مَحْضِ قُدْرَةٍ ... وَلوشِئْتَ كانَ الحِلْمُ منْكَ الْمُهَنَّدا(٤)

(٢)

بيِّن كل مجاز مرسل وعلاقته فيما يأْتى :

(١) سَكَنَ ابنُ خَلْدُون مِصْرَ .

(٢) من الناس من يأْكل القمح ومنهم من يأْكل الذرةَ والشعير .

(٣) إنَّ أَمير المؤمنين نَثَرَ كِنانته .

(٤) رَعَيْنَا الغَيْث .

(٥) فى رحْمَة الله هُمْ فيها خَالِدُونَ .

---

(١) ألما : انزلا به ، الغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة . والأحسن فى مربع هنا أن تكون اسماً مأخوذاً من أربعة ؛ والمعنى سقتك الغوادى أربعة أيام متوالية ثم أربعة أخرى متوالية يدعو بكثرة السقيا للقبر . (٢) المعاطب : المهالك .

(٣) محدود : أي ممنوع ، يعنى أن الذين نزل بساحتهم كذابون فى وعودهم ، ضيفهم ممنوع عن الطعام لبخلهم ، وهم يمنعونه الرحيل حتى يظن الناس فيهم الكرم .

(٤) المحض : الخالص ، والمهند : السيف الهندى ، والمراد به هنا الحرب ؛ يقول رأيتك خالص الحلم فى قدرة خالصة لا يشوبها عجز ، ولو شئت أن تجعل الحرب مكان الحلم لفعلت .

(٦) حَمَى فلان غَمامَةَ وَاديه (أى عُشْبه)

(٧) قال تعالى فى شأن موسى عليه السلام

فَرَجَعْناك إلى أُمِّكَ كَىْ تقرَّ عَيْنها وَلَا تَحْزَن

(٨) وقال تعالى : فَمنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ (أى هلال الشهر).

(٩) سأُجازيكَ بما قَدَّمَتْ يَدَاكَ .

(١٠) وقال تعالى : وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (أى صلُّوا)

(١١) وقال تعالى : فَبَشرناهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ .

(١٢) وقال تعالى : يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فى قُلُوبِهِمْ .

(١٣) أَذَلَّ فلانٌ ناصية فلان[١]

(١٤) سَقَت الدَّلْوُ الأَرْضَ .

(١٥) سال الوادى .

(١٦) قال عنترة :

فَشككْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمّ ثيابَهُ ... لَيْسَ الكريم على القَنا بمُحَرَّم[٢]

(١٧) لا تجالسوا السفهاءَ علَى الحُمْقِ (أى الخمر) .

(١٨) وقال أعرابى لآخر : هل لك بيت ؟ (أى زوج)

(٣)

بيِّن من المجازات الاتية ما علاقته المشابهة ، وما علاقته غيرها

(١) الإسلام يَحُثُّ على تحرير الرِّقاب .

(٢) مِلكٌ شادَ لِلْكِنانَةِ مجْداً ... أَحْكَمتْ وَضع أُسِّهِ آباؤُهْ

(٣) تفرَّقَتْ كلمةُ القوم .

(١) الناصية : الرأس . (٢) الرمح الأصم : الصلب المصمت . والمراد بالثياب هنا القلب ، يصف نفسه بالإقدام ويقول : إن الكريم ليس بمحرم ولا بعزيز على الرماح

(٤) غاض الوفاءُ وفاضَ الغَدْر .

(٥) وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخرين .

(٦) أَحيا المطرُ الأَرضَ بعدَ مَوْتِها .

(٧) كُتِبَ عَلَيْكم القِصاصُ فى القَتلى : (أى فيمن سيقتلون) .

(٨) قرر مجلس الوزراء كذا .

(٩) بَعثتَ إلىَّ بحديقةٍ جلَّتْ معانيها ، وأُحْكِمَتْ قوافيها .

(١٠) شربتُ البُنَّ .

(١١) لا تَكن أُذُناً تتقبَّل كل وِشَاية .

(١٢) سَرَقَ اللصُّ المنزل .

(١٣) قال تعالى : إنى أَراني أَعْصِرُ خَمْرًا .

(٤)

استعمل كل كلمة من الكلمات الآتية مجازًا مرسلاً للعلاقة التى أمامها :

(١) عَين — الجزئية .

(٢) الشام — الكلية .

(٣) المدرسة — المحلية .

(٤) المدينة — المحلية .

(٥) الكَتان — اعتبار ما كان .

(٦) رجال — اعتبار ما يكون .

(٥)

ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملتين بحيث تكون مرَّةً مجازًا مُرسلًا ، ومرَّة مجازًا بالاستعارة :

القلم — السيف — رأس — الصديق

(٦)

اشرح البيتين وبيِّن ما فيهما من مجاز :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى مِنْ أُناسٍ ... إنَّ تَحْتَ الضلوعِ دَاءً دَوِيًّا[1]

فَضَعِ السَّوْطَ وارْفَعِ السَّيْفَ حتَّى ... لاَ تَرى فَوْقَ ظَهرِها أُمَوِيًّا

(١) الداء الدوى : الشديد .

المَجَازُ العَقْلىّ

الأَمثلة:

(١) قال المتنبي يصف ملك الروم بعد أن هَزَمه سيفُ الدولة:

وَيَمْشِي بهِ العُكَّازُ فى الدَّيْرِ تَائباً
وقَدْ كانَ يأْبى مشْىَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا[1]

(٢) بَنَى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط .

(٣) نهارُ الزاهدِ صائمٌ وليلُه قائم .

(٤) ازدحمت شوارعُ القاهرة .

(٥) جَدَّ جِدُّكَ وكَدَّ كِدُّكَ .

(٦) قال الْحُطيئةُ :

دَعِ الْمَكارمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها
واقْعُدْ فإِنك أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِى

(٧) وقال تعالى : وَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُورًا .

(٨) وقال تعالى : إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا .

---

(١) العكاز : عصا فى طرفها زج ، وقوله مشى أشقر أجرد : أى مشى جواد أشقر أجرد ، والأشقر من الخيل : الأحمر ، والأجرد : القصير الشعر ، يقول : إنه أقام فى دير الرهبان وصار يمشى على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الجواد الأشقر ، وهو أسرع الخيل عند العرب .

البحث :

انظر إلى المثالين الأولين تجد أن الفعل فى كل منهما أُسْنِد إلى غير فاعله ، فإن العكازَ لا يمشى ، والأميرَ لا يبنى ، وإنما يسير صاحب العكاز ، ويبنى عُمَّال الأمير ، ولكن لما كان العكاز سبباً فى المشى والأميرُ سبباً فى البناء أُسند الفعل إلى كل منهما .

ثم انظر إلى المثالين التاليَيْن تجد أن الصوم أُسند إلى ضمير النهار ، والقيام أُسند إلى ضمير الليل ، والازدحام أُسند إلى الشوارع ، مع أن النهار لا يصوم ، بل يصوم مَنْ فيه ، والليلَ لا يقوم ، بل يقوم من فيه ، والشوارع لا تزدحم ، بل يزدحمُ الناس بها ، فالفعل أو شِبْهُهُ فى هذين المثالين أُسند إلى غير ما هو له ، والذى سوَّغ ذلك الإسنادَ أن المسند إليه فى المثالين زمانُ الفعل أو مكانه .

وفى المثال الخامس أُسند الفعلان «جَدَّ» و «كدَّ» إلى مصدرَيهما ولم يُسندا إلى فاعلَيهما . وفى المثال السادس يقول الحطيئة لمن يَهْجُوه : «واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى» فهل تظن أنه بعد أن يقول : لا ترحل لطلب المكارم يقول له : إنك تطْعِم غيرَك وتكسوه ؟ لا . إنما أراد اقعد كلاًّ[1] على غيرك مطعوماً مَكْسُوًّا فأُسند الوصف المسند للفاعل إلى ضمير المفعول .

وفى المثالين الأخيرين جاءت كلمة «مستورًا» بدل ساتر و «مأْتيًّا» بدل آت ، فاستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل ، وإن شئت فقل أُسند الوصف المبنىّ للمفعول إلى الفاعل .

فأنت ترى من الأمثلة كلها أنَّ أفعالًا أو ما يشبهها لم تسند إلى فاعلها الحقيقى ، بل إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره ، وأنَّ صفاتٍ كانت من حقها أن تسند إلى المفعول أُسندت إلى الفاعل ، وأخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل أُسندت إلى المفعول ، ومن

---

(١) الكل : من يعوله غيره .

الهيِّن أَن تعرف أَن هذا الإِسناد غير حقيقى ، لأَن الإِسناد الحقيقىّ هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقىّ ، فالإسناد إذًا هنا مجازى ويسمى **بالمجاز العقلى** ؛ لأَن المجاز ليس فى اللفظ. كالاستعارة والمجاز المرسل ؛ بل فى الإسناد وهو يدرك بالعقل .

القواعد :

(٢٤) المجازُ العقلىُّ هو إسنادُ الفعل أَوْ ما فى معناهُ إلى غيرِ ماهُوَ لَه لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعة من إرادةِ الإِسْنادِ الحقيقىّ.

(٢٥) الإِسْنادُ المجازىُّ يكُونُ إلى سبَبِ الفعلِ أَو زمانِه أَو مكانِه أَو مصدرِه ، أَو بإسنادِ المبنى للفاعل إلى المفعول أَو المبنىِّ للمفعول إلى الفاعِل .

نموذج

(١) قال أَبو الطَّيب :

أَبا المِسْكِ أَرجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يخضِبُ البِيض بالدَّم[1]

وَيَوْماً يغيظ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فيها مُقَامَ التَّنَعُّمِ[2]

(٢) قال تعالى : لَا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلَّا مَن رَحِمَ .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء .

(٤) بَنَت الحكومة كثيرًا من المدارس بمصر .

(٥) وقال أَبو تمام :

تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنُونُها ... إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ[3]

(١) أبو المسك : كنية كافور الإخشيدى ، والبيض : السيوف ، يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم وأخضب سيوفى بدمائهم . (٢) يقول : وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادى لما يرون من إعظامك لقدرى وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدنى على الانتقام منهم فأتنعم بشقائى فى حربهم . (٣) يعوذها : يحصنها والرقية : العوذة ، جمعها رقى .

الإجابة

(١) «ا» عِزًّا يخضِبُ البيض بالدم .

إسناد خَضْب السيوف بالدّم إلى ضمير العز غير حقيقى لأن العز لا يخضب السيوف ولكنَّهُ سبب القوة وجمع الأَبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ، فنى العبارة مجاز عقلىّ علاقته السببية .

«ب» ويوماً يغيظُ الحاسدين .

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقى ، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ : فنى الكلام مجاز عقلىّ علاقته الزمانية .

(٢) لا عاصم اليوم من أمر الله .

المعنى لا معصوم [١] اليوم من أمر الله إلا من رحِمه الله ، فاسم الفاعل أُسند إلى المفعول ؛ وهذا مجاز عقلىّ علاقته المفعولية .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء .

غنَّاء مشتقة من الغَنّ؛ والحديقة لا تَغَنُّ وإنما الذى يغَنُّ عصافيرها أو ذُبابها ؛ فنى الكلام مجاز عقلى علاقته المكانية .

(٤) بنت الحكومة كثيرًا من المدارس .

الحكومة لم تبن بنفسها ولكنها أمرت : فنى الإسناد مجاز عقلى علاقته السببية .

(٥) تكاد عطاياه يُجن جنونها .

إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى علاقته المصدرية .

---

(١) يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة فى حقيقتها ، ويكون المعنى لا شىء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم فإنه تعالى هو الذى يعصمه .

تمرينات

(١)

وضح المجاز العقلى فيما تحته خط. وبين علاقته وقرينته :

(١) قال تعالى : أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً ؟

(٢) كان المنزل عامرًا وكانت حُجَرُهُ مضيئةً .

(٣) عَظُمَتْ عَظَمَتُهُ وصالت صولتُهُ[١] .

(٤) لقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلَانَ فى السُّرَى ... وَنِمْتِ ومَالَيْلُ المَطِىِّ بنائِمِ[٢]

(٥) ملَكْنا فكانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً ... فَلَمَّا مَلكتمْ سَال بالدَّمِ أَبْطَحُ[٣]

(٦) ضرب الدهرُ بينهم وفرَّق شملَهم .

(٧) يَا هَامانُ ابنِ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ .

(٨) جلسنا إلى مَشْرَب عذب ، ماؤه دافق .

(٩) قال طَرَفَة بن العبد[٤] :

سَتُبْدِى لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بالأَخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[٥]

(١٠) يُغَنِّى كما صَدحَتْ أَيْكة ... وَقَدْ نَبَّهَ الصُّبْحُ أَطْيَارَهَا[٦]

(١١) إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الكُمَاةِ أَلا أَيْنَ المُحَامُونا[٧]

---

(١) صال عليه : وثب . (٢) السرى : السير ليلا ، والمطى : جمع مطية وهى الدابة تمطو : أى تسرع فى مشيها . (٣) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . (٤) شاعر من شعراء الجاهلية يعد فى الطبقة الثانية منهم وهو من أجودهم طويلة ، فكلما طالت قصيدته حسنت ، وكان فى حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم ، وله المعلقة المشهورة .

(٥) من لم تزود : أى من لم تعطه زاداً ، والزاد طعام المسافر ، يقول : إذا عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم ، ويأتيك بالأخبار ما لم تكافه ذلك . (٦) صدح الطائر : رفع صوته بغناء ، الأيكة : الشجرة . (٧) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع المتكمى فى سلاحه أى المتغطى المتستر به ، يقول : إنا من قوم أفناهم الإقدام على الحروب وإغاثة المستغيثين .

(٢)

بيِّن كل مجاز عقليّ وعلاقته فى أقوال العرب الآتية :

(١) طريق وارد صادر (يرده الناس ويَصْدُرون عنه) .

(٢) له شرف صاعد ، وجَدٌّ مساعد[1] .

(٣) ضرَّسهم الزمانُ وطحنتهم الأيام .

(٤) يفعل المالُ ما تعجز عنه القوّة .

(٥) همٌّ ناصِب[2]. جَدٌّ عَثور[3]. يوم عاصف[4]. ريحٌ عقيم[5] عَجَب عاجب .

(٦) أَعُمَيْرُ إنَّ أباكَ غَيَّرَ رأسَهُ   مَرُّ اللَّيالى واختلافُ الأَعْصُرِ

(٧) رمت به الأسفار أبعد مراميها . حربٌ غشوم[6] . موت مائت (أى شديد) . شِعْرٌ شاعر

(٨) لها وجه يَصِفُ الحسن .

(٩) وضع فلاناً الشحُّ ودناءةُ النسب .

(١٠) أرضهم واعدة (إذا رُجِىَ خَيْرُها) .

(١١) بَطَشت بهم أهوال الدنيا .

(١٢) أعرنى أُذناً واعية .

(٣)

بيِّن المجاز العقلىّ والمجازَ المرسَل والاستعارةَ فيما يأتى :

(١) كَفَى بالمَرْءِ عَيْباً أن تَرَاهُ   لهُ وَجْهٌ ولَيْسَ لهُ لِسَانُ

---

(١) الجد : الحظ .   (٢) هم ناصب : أى ذو نصب وتعب على حد قولهم (رجل تامر ولابن) أى ذو تمر ولبن ، وقيل هو فاعل بمعنى مفعول فيه . لأنه ينصب فيه ويتعب . كليل نائم : أى ينام فيه .   (٣) عثور : كثير العثار والزلل .   (٤) يوم عاصف : أى تعصف فيه الريح .   (٥) العقيم : هى التى لا تلقح سحاباً ولا شجراً .   (٦) الغشوم : كثير الغشم وهو الظلم .

(٢) قال المتنبي :

وَالهَمُّ يخْترم الجَسِيم نحافَةً وَيُشِيبُ ناصِيَةَ الصَّبىِّ ويُهْرِمُ[1]

(٣) قال الشريف الرَّضىّ يخاطب الشيب .

أيها الصُّبْحُ زُلْ ذميماً فَما أَظْ لَم يَوْمِى مِنْ ذَاكَ الظلَامِ

(٤) وقال النابغة الذبْيانى :

فَبِتُّ كأَنِّى سَاوَرَتْنى ضئيلةٌ مِنَ الرُّقش فى أَنْيَابِهَا السُّمُّ ناقعُ[2]

(٥) وَكم علَّمْتُهُ نَظْمَ القَوَافى فَلمَّا قالَ قافِيَةً هَجانِى

(٦) وأَرْسَلْنا السَّماءَ عَليهم مدرَارًا .

(٧) نشر الليل ذوائبَه .

(٨) فَوَجَدَا فِيها جدارًا يُرِيدُ أَن يَنْقضَّ فأَقَامَهُ .

(٩) فلا فضِيلةَ إِلَّا أَنْتَ لابسُها ولا رعيَّة إِلَّا أَنت رَاعِيها

(١٠) وجاءَ ربكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا .

(١١) يُذَبِّحُ أَبنَاءَهُمْ .

(٤)

اشرح الأَبيات الآتية وبين ما فيها من مجاز عقلىّ :

صَحِبَ النَّاسُ قَبلَنَا ذَا الزَّمانا وعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِه ما عَنانا[3]

وتَوَلَّوْا بِغُصَّه كلُّهمْ مِنْـ ـه وإِنْ سَرَّ بَعضَهمْ أَحْيانا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنيع لَيالِيـ ـهِ ولكنْ تُكدِّرُ الإِحْسَانا

---

(١) يخترم : يهلك ، والناصية : شعر مقدم الرأس ، يقول : إن الهم إذا استولى على الجسم هزله حتى يهلك ، وقد يشيب به الصبى ويصير كالهرم من الضعف .

(٢) ساورتنى : واثبتنى ، والضئيلة : الحية الدقيقة النحيفة ، والرقش : جمع رقشاء وهى الحية فيها نقط سوداء وبيضاء ، والسم الناقع : المنقوع ، وإذا نقع السم كان شديد التأثير .

(٣) عناهم : أهمهم وشغلهم .

وكأنَّا لَمْ يَرْضَ فِينا بِرَيْبِ الـ دَّهْرِ حَتى أعانَهُ مَنْ أعانا[1]
كلَّما أنْبَتَ الزمَــانُ قَناةً ركّبَ المــرْءُ فى القَناةِ سِنانا[2]

بلاغةُ المجاز المرسل والمجاز العقلىّ

إذاتأملت أنواع المجاز المرسَل والعقلىّ رأيتَ أنها فى الغالب تؤدى المعنى المقصودَ بإيجاز ، فإذا قلتَ : « هَزَمَ القائدُ الجيشَ » أو « قَرَّرَ المجلسُ كذا » كان ذلك أوجزَ من أن تقول : « هزم جنودُ القائدِ الجيش » أو « قرر أهل المجلس كذا » ، ولا شك أن الإيجاز ضربٌ من ضروب البلاغة .

وهناك مظهرٌ آخر للبلاغة فى هذين المجازين هو المهارة فى تَخَير العلاقة بين المعنى الأَصلىّ والمعنى المجازىّ ، بحيث يكون المجازُ مُصَوِّرًا للمعنَى المقصود خيرَ تصوير كما فى إطلاق العين على الجاسوس ، والأُذن على سريع التأَثر بالوشاية ، والخُف والحافر على الجمال والخيل فى المجاز المرسل ، وكما فى إسناد الشىء إلى سببه أو مكانه أو زمانه فى المجاز العقلىّ فإن البلاغة تُوجِبُ أن يُختار السبب القوىُّ والمكان والزمان المختصان .

وإذا دَققْتَ النظر رأيتَ أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلىّ لاتخلو من مبالغة بديعة ذاتِ أثرٍ فى جعل المجاز رائعاً خلَّاباً ، فإطلاق الكل على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل ، كما إذا قلت : « فلان فَمٌ » تريد أنه شرِهٌ يَلْتَقِم كلَّ شىء . أو « فلان أنف » عندما تريد أن تَصِفَه بعِظَم الأَنف فتبالغَ فتجعله كلَّه أنفاً . ومما يؤثر عن بعض الأُدباء فى وصف رجل أُنافىّ [3] قوله . « لَسْتُ أَدْرِى أَهُوَ ، فى أَنْفِه أَمْ أَنْفُهُ فِيهِ » .

---

(١) من : فاعل يرض أو أعانه على التنازع ، يقول : كأن الذى يعين الدهر على نكاية أهله لم يرض بما تجر حوادث الدهر من البلاء ، فزاد عليها بلاء العداوة والشر .

(٢) القناة : عود الرمح ، والسنان : نصله .

(٣) الأنافى : عظيم الأنف

الكناية

الأمثلة:

(١) تقولُ العرب : فُلانَة بَعِيدَةُ مَهْوَى القرْطِ .

(٢) قالت الْخَنْسَاءُ[1] فى أَخيها صخْر :

طوِيلُ النّجادِ رَفيعُ الْعِمَاد   كثِيرُ الرَّمَادِ إذا مَا شَتَا[2]

* * *

(٣) وقال آخر فى فضل دار العلوم فى إحياء لغة العرَب :

وَجَدَتْ فيكِ بِنْتُ عَدنانَ دارًا   ذَكَّرَتها بَدَاوَةَ الْأَعْرَاب

(٤) وقال آخر :

الضاربين بِكُلِّ أَبَيضَ مِخْذَمٍ   والطاعِنينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَان[3]

* * *

(٥) المجدُ بَيْنَ ثَوْبيْكَ . والكَرَمُ مِلْءُ بُرْدَيك .

البحث :

مَهْوَى القُرْط المسافة من شَحْمَةِ الأُذُن إلى الكَتِفِ ، وإذا كانت هذه المسافة بعيدةً لَزِمَ أَن يكون العُنقُ طويلاً ، فكأَن العربىَّ بدلَ أَن يقول : « إن هذه المرأَةَ طويلةُ الجيدِ » نَفَحَنا بتعبيرجديد يُفيد اتصافَها بهذه الصِّفة .

وفى المثال الثانى تصِف الخنساء أَخاها بأَنه طويلُ النَّجَاد ، رفيع العِماد ، كثير الرّمَاد . تريد أَن تدل بهذه التراكيبِ على أَنه شجاعٌ ،

---

(١) هى تماضر بنت عمر لها منزلة رفيعة فى الشعر وقد اشتهرت برثاء أخيها صخر ، أسلمت مع قومها وماتت سنة ٥٤ هـ .

(٢) شتا بالمكان : أقام به شتاء .

(٣) الضاربين منصوب بأمدح محذوفاً ، والأبيض : السيف ، والمخذم على وزن المبرد : السيف السريع القطع ، والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد .

عظيم فى قومه ، جوادٌ ، فَعَدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الاشارة إليها والكِناية عنها ، لأنه يَلْزَمُ من طول حِمَالةِ السيف طولُ صاحبهِ ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من كونه رفيعَ العماد أن يكون عظيم المكانة فى قومه وعَشِيره ، كما أنه يلزم من كثرة الرَّماد كَثْرَةُ حرق الحطَب ، ثم كثرة الطَّبخ ، ثم كَثرة الضيوف ، ثم الكرم ، ولما كان كل تركيب من التراكيب السابقة وهى بعيدة مهوى القرط ، وطويل النجاد ، ورفيع العماد ، وكثير الرماد ، كُنِىَ به عن صفة لازمة لمعناه ، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه **كناية عن صفة** .

وفى المثال الثالث أراد الشاعر أن يقول : إن اللغة العربية وجدت فيكِ أيتها المدرسة مكاناً يُذكِّرها بعهد بداوتها . فعَدَل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيب يشير إليها ويُعَدُّ كناية عنها وهو « بِنتُ عَدْنان » .

وفى المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يَطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع فى النفس وهو « مجامع الأضغان » ؛ لأن القلوب تُفهم منه إذ هى مُجْتَمَعُ الحِقد والبغض والحسد وغيرها .

وإذا تأملت هذين التركيبين وهما : « بنت عدنان » و « مجامع الأضغان » رأيت أن كلاًّ منهما كُنى به عن ذات لازمة لمعناه ، لذلك كان كل منهما **كناية عن موصوف** وكذلك كل تركيب يماثلهما .

أما فى المثال الأخير فإنك أردت أن تَنْسُب المجد والكرم إلى من تخاطبه ، فعدَلت عن نِسْبتهما إليه مباشرة ونَسْبتهما إلى ماله اتصال به ، وهو الثوبان والبُرْدان ، ويسمى هذا المثال وما يشبهه **كناية عن نسبة** . وأظهرُ علامةٍ لهذه الكناية أن يُصَرَّح فيها بالصفة كما رأيت ، أو بما يستلزم الصفة ، نحو : فى ثوبيه أسد ، فإن هذا المثال كناية عن نسبة الشجاعة .

وإذا رَجَعْتَ إلى أمثلة الكناية السابقة رأيت أن منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقى الذى يفهم من صريح اللفظ ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك .

القواعد .

(٢٦) الكِنايَة لفظٌ أُطْلِقَ وأُرِيدَ به لازمُ مَعْناهُ مَعَ جَوَازِ إرادةِ ذلك المعنَى .

(٢٧) تَنْقَسِمُ الكِنايةُ باعتبارالمكْنىِّ عنهُ ثلاثة أَقسامٍ ، فإِنَّ المَكْنىَّ عنه قد يَكونُ صِفَةً ، وقد يَكون موصوفاً ، وقد يَكونُ نِسْبَة[1] .

نَمُوذَجٌ

(١) قال المتنبي فى وقيعة سيف الدولة بِبَنِى كلاب .

فَمَسَّاهُم وَبُسْطُهُم حَرِيرٌ ... وَصَبَّحَهم وبُسْطُهمُ تُرَابُ[2]

ومَنْ فِى كفِّهِ منْهمْ قَنَـاةٌ ... كَمَنْ فِى كفِّه منهم خِضابُ

(٢) وقال فى مدح كافور :

إن فى ثَوْبكَ الذى الْمَجْدُفيه ... لضِياءً يُزْرِى بِكلّ ضِياءِ[3]

الإجابة

(١) كَنى بِكَوْن بُسْطِهم حريرًا عن سيادتِهم وعزّهم ، وبِكَوْن بسطهم تراباً عن حاجتهم وذلهم ، فالكناية فى التركيبين عن صفة .

---

(١) إذا كثرت الوسائط فى الكناية نحو : كثير الرماد ، سميت تلويحاً ، وإن قلت وخفيت نحو : فلان من المستريحين ، كناية عن الجهل والبلاهة ، سميت رمزاً ، وإن قلت الوسائط ، ووضحت أو لم تكن سميت إيماء وإشارة . نحو : الفضل يسير حيث سار فلان ، كناية عن نسبة الفضل إليه . ومن الكناية نوع يسمى التعريض ، وهو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ، كأن تقول لشخص يضر الناس : « خير الناس أنفعهم للناس » ، وكقول المتنبى يعرض بسيف الدولة وهو يمدح كافوراً :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى ... فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

(٢) القناة : عود الرمح .

(٣) أزرى به : استهان ، يقول : إن فى ثوبك لضياء من المجد يفوق كل ضياء بقوة إشراقه .

(٢) وكَنى بمَنْ يَحْمِلُ قناة عن الرجل ، وبمن فى كفه خضاب عن المرأة وقال : إنهما سواء فى الضعف أمام سطوة سيف الدولة وبطشه ، فكلتا الكنايتين كناية عن موصوف .

(٣) أراد أن يُثْبتَ المجدَ لكافور فترك التصريح بهذا وأثبته لما له تعلق بكافور وهو الثوب ، فالكناية عن نسبة .

تمرينات

(١)

بيِّن الصفةَ التى تلزم من كل كناية من الكنايات الاتية

(١) نَئُومُ الضُّحا . (٢) ألقَى فلان عصاه .

(٣) ناعمة الكفَّيْن . (٤) قَرَعَ فلانٌ سِنَّه .

(٥) يُشَارُ إليه بالبَنَان . (٦) فأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ على ما أنفَقَ فِيهَا وهى خاوية .

(٧) رَكِبَ جَنَاحَى نَعامَةٍ (٨) لَوت الليالى كفَّه على العصا .

(٩) قال المتنبى فى وصف فرسه :

وأُصرَعُ أَىَ الوَحْشِ قَفَّيْتُه بِهِ ... وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلهُ حِينَ أَرْكَبُ[1]

(١٠) فلان لا يَضَعُ العصا عن عاتقِهِ .

(٢)

بيِّن الموصوف المقصود فى كل كناية من الكنايات الآتية :

(١) قَوْمٌ تَرَى أَرْماحَهمْ يَوْمَ الوَغى ... مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الكتمَانْ

(٢) وقال تعالى : أَوَمَن يُنَشَّأُ فِى الحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ[2] .

---

(١) أصرع : أقتل ، وقفيته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير فى عنه يقول : إذا اتبعت بهذا الفرس وحشاً أدركته وصرعته ، وأنزل عنه بعد الصيد وهو باق على نشاطه مثلما كان عند الركوب .

(٢) ينشأ فى الحلية : يربى فى الزينة ، والخصام : الجدال ، وغير مبين : غير قادر على الإبانة عما فى ضميره ، ومعنى الآية : أو جعلوا لله البنات وهن اللاتى يتربين فى الزينة ، ولا يقدرن على الإبانة حين الخصام والجدال .

(٣) كان المنصور[1] فى بستان فى أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[2] ونظر إلى شجرة خلاف [3]، فقال للربيع [4]. ما هذه الشجرة ؟ فقال . طاعةٌ يا أمير المومنين !

(٤) مرَّ رجل فى صحن دار الرشيد ومعه حُزْمَة خَيزُران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع[5] : ما ذاك ؟ فقال عُروق الرماح يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول . خَيْزُران ؛ لموافقة ذلك لاسم أمّ الرشيد.

(٥) قال أبو نُوَاس[6] فى الخمر :

وَلَـمَّا شَرِبْناها وَدبَّ دَبيبها إلى موْطِنِ الأَسرَارِ قُلْتُ لَها قِفِى

(٦) وقال المعرى فى السيف :

سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ وَرَقَّ حَتَّى كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَه السُّلالَا [7]

(٧) كبِرَت سنٌّ فلان وجاءه النذير .

(٨) سئل أعرابى عن سبب اشتعال شيبه ، فقال : هذا رَغْوة الشباب .

(٩) وسئل آخر ، فقال : هذا غبار وقائع الدهر .

---

(١) هو ثانى خلفاء بنى العباس وبانى مدينة بغداد ، كان عارفاً بالفقه والأدب مقدماً فى الفلسفة والفلك محبا للعلماء ، بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجد والتفكير ، توفى بمكة حاجاً سنة ١٥٨ هـ. (٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن هو حفيد على بن أبى طالب ، وأحد الأمراء الأشراف الشجعان ، خرج على المنصور العباسى فاستولى على البصرة ، ثم كان بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة ، وقتل سنة ١٤٥ هـ. (٣) شجر الخلاف : صنف من الصفصاف .

(٤) هو الربيع بن يونس ، وكان جليلا نبيلا فصيحاً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بأمور الملك بصيراً بما يأتى ويذر . (٥) الفضل بن الربيع أديب حازم من كبار خصوم البرامكة ولى الوزارة بعد أن قضى الرشيد عليهم ، ثم توزر للأمين بن الرشيد ، ولما ظفر المأمون واستقام له الملك أبعده وأهمله حتى توفى سنة ٢٠٨ هـ.

(٦) هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور ، كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية ، قال فيه الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبى نواس ، ولد سنة ١٤١ هـ وتوفى سنة ١٩٥ هـ.

(٧) السليل : الولد ، والسلال : السل ، وهو داء معروف يضنى الأجسام وينحفها ، يقول : إن السيف الذى هو وليد النار قد رق جسمه حتى إنه ليشبه ولداً مسلولا قد ورث السل عن أبيه .

(١٠) يروى أنّ الحجّاج قال للغضبان بن القَبَعْثَرَى: لأَحْمِلَنَّكَ على الأَدهم[١]، فقال: مثلُ الأمير يحمِلُ عَلَى الأَدهم والأَشهب؛ قال: إنه الحديدُ؛ قال: لأَنْ يكون حديدًا خيرٌ من أن يكون بليدًا.

(٣)

بيِّن النسبة التى تلزم كل كناية من الكنايات الآتية:

(١) إنّ السماحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى ... فى قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحشْرَجِ[٢]

(٢) قال أعرابى: دخلتُ البَصْرَةَ فإذا ثيابُ أحرار على أجساد عبيد.

(٣) وقال الشاعر:

اليُمْنُ يَتْبَــعُ ظِلَّهُ ... وَالمَجْدُ يَمْشِى فِى رِكَابِهْ[٣]

(٤)

بيِّن أنواع الكنايات الآتية وعين لازم معنى كل منها:

(١) مدح أعرابى خطيباً فقال: كانَ بَلِيلَ الرِّيق قليلَ الحركات[٤].

(٢) وقال يزيد بن الحكم[٥] فى مدح المهلب[٦].

أَصْبَحَ فِى قَيْدِكَ السَّماحةُ وَالمَجْـ ... ـدُ وفَضْلُ الصَّلاَحِ وَالحَسَبُ

(٣) وتقول العرب: فلان رَحْبُ[٧] الذراع، نَقِىُّ الثوب، طاهر الإزار، سليمُ دواعى الصدر[٨].

---

(١) يريد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المعروف، وقد حمل القبعثرى الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود، وحمل الحديد على الفرس الذى ليس بليداً.

(٢) ابن الحشرج: اسمه عبد الله، وكان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولى كثيراً من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان، وكان جواداً كثير العطاء.

(٣) اليمن: البركة، والركاب: الإبل التى يسار عليها. (٤) يقول: إنه رطب اللسان، تخرج كلماته من فيه بسهولة، ولا يستعين فى إظهار مراده بإشارة أو حركة.

(٥) شاعر مشهور من شعراء العصر الأموى، ولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل أن يصل إليها، وكان أبى النفس شريفاً، وطبقته فى الشعر عالية، توفى سنة ٩٠ هـ.

(٦) هو المهلب بن أبى صفرة أمير فاتك جواد، تولى خراسان من قبل عبد الملك بن مروان، وقد توفى بها سنة ٨٣ هـ. (٧) الرحب: الواسع. (٨) دواعى الصدر: همومه وسليم دواعى الصدر من سلم صدره من أسباب الشر.

(٤) وقال البحترى يصف قتْلَهُ ذئباً :

فَأَتْبَعْتُهَا أُخرَى فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا   بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ والحِقْد[١]

(٥) وقال آخر فى رثاء من مات بِعِلَّةٍ فى صدره :

وَدَبَّتْ فى مَوْطِنِ الحِلْم عِلَّـةٌ   لَهَا كالصِّلالِ الرُّقْشِ شَرٌّ دَبِيب[٢]

(٦) ووصف أعْرَابى امرأة فقال : تُرْخِى ذيلَها على عُرْقُوبَىْ نعامة .

(٥)

بيِّن نوع الكنايات الآتية ، وبيِّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ. وما لا يصحُّ :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوءِ العِشْرَة فقال :

كان إذا رآنى قَرَّبَ مِن حاجبٍ حاجباً .

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فَمَا جازَهُ جُودٌ وَلاَ حلَّ دُونَهُ   وَلكنْ يَسِيرُ الجُودُ حَيثُ يَسِير

(٣) وَتكْنِى العربُ عمن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم :

لَبِس له جِلْدَ النَّمِرِ ، وجِلْدَ الأَرْقَم[٣] ، وَقَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ[٤].

(٤) فلان عرِيض الوِساد[٥] ، أَغمُّ القَفَا[٦].

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة ، وأضللت : أخفيت ، والنصل : حديدة السيف ، واللب : العقل ، والرعب : الفزع والخوف . (٢) الصلال جمع صل بالكسر : ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته ، والرقش جمع رقشاء وهى التى فيها نقط سوداء فى بياض والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء . (٣) الأرقم : الحية فيها سواد و بياض .

(٤) المجن : الترس ؛ قلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد .

(٥) عريض الوساد : أى طويل العنق إلى درجة الإفراط ، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل . (٦) الغمم : غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا ، وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة .

(٥) قال الشاعر :

تجُولُ خلاخِيلُ النِّسَاءِ وَلاَ أَرَى لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلاَ قُلْبا[١]

(٦) وتقول العرب فى المديح : الكرم فى أثناء حُلَّته ، ويقولون فلان نفخ شِدْقَيْهِ ، أى تكبر ، وَوَرِم أَنْفُه إذا غضب .

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة : أشكو إليك قِلَّةَ الجُرْذَان[٢] .

(٨) وقال الشاعر :

بِيضُ المَطابخِ لاَ تَشْكُو إمَاؤُهُمُ طبْخَ القُدُورِ وَلاَ غَسْلَ المَنَادِيل

(٩) وقال آخر :

مَطْبَخُ دَاوُدَ فى نَظَافَتِهِ أَشْبَهُ شَىْء بِعَرْشِ بِلْقِيس[٣]
ثِيابُ طَبَّاخِهِ إذَ اتَّسَخَتْ أَنْقى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيس

(١٠) وقال آخر :

فَتًى مُخْتَصرُ المَأْكُو لِ وَالْمَشْرُوبِ والْعِطْرِ
نَقِىٌّ الْكَأْس وَالْقَصْعَ ةِ والْمِنْدِيل وَالْقِدْر

(٦)

اِشرح البيت الآتى وبيِّن نوع الكناية التى به :

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقاب تَدْمَى كُلُومُنَا وَلكِنْ على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا[٤]

(١) رملة : اسم امرأة ، والقلب بالضم : السوار. (٢) الجرذان : جمع جرذ وهو ضرب من الفأر . (٣) بلقيس بكسر الباء . ملكة سبأ ، وسبأ : عاصمة قديمة لبلاد اليمن . (٤) الأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والكلوم : الجراح ، يقول : نحن لا نولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكننا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا .

بلاغة الكِناية

الكناية مَظْهَر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطف طَبعُهُ وصَفت قريحته ، والسِّرُّ فى بلاغتها أنها فى صور كثيرة تُعطِيكَ الحقيقة مصحوبةً بدليلها ، والقضيةَ وفى طَيِّها بُرْهَانُها ، كقول البحترى فى المديح :

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حيثُ مَابَدَا لَهُمْ عَنْ مَهيبٍ فى الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فإنه كَنَى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبتِهِمْ إيَّاه بِغَضِّ الأَبصار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه الخاصة جليةً فى الكنايات عن الصفة والنسبة .

ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَعُ لك المعانى فى صور المُحَسَّات ، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون فإن المصوِّر إذا رسم لك صورة للأَمل أواليأْس بَهرَك وجَعَلك ترى ما كنت تَعْجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً .

فمثل «كثير الرّماد» فى الكناية عن الكرم و «رَسول الشرِّ» فى الكناية عن المزاح وقول البحترى :

أَوَ مَا رأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِى آل طَلْحَةَ ثم لَمْ يَتَحَوَّلِ

فى الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة ، كلٌّ أُولئك يُبرِزُ لك المعانى فى صورة تشاهدها وترتاح نفسُك إليها .

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِيَ غُلتك من خَصْمك من غير أن تجعل له سبيلاً ؛ ودون أن تَخْدِش وجه الأَدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض ، ومثاله قول المتنبى فى قصيدة يمدح بها كافورًا ويُعرِّض بسيف الدولة :

رَحلتُ فكَمْ باكٍ بأَجْفانِ شادِنٍ عَلَيَّ وكم باكٍ بأَجفانِ ضَيْغَمِ[1]

(١) الشاذن : ولد الغزال ، والضيغم : الأسد ، أراد بالباكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكى بأجفان الضيغم ، الرجل الشجاع ، يقول كم من نساء و رجال بكوا على فراق وجزعوا لارتحالى .

وَمَا رَبة القُرْطِ المَليح مكانُهُ ... بِأَجْزَعَ منْ رَبِّ الحسام المُصَمِّمِ(١)

فَلَوْ كان ما بى مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمى وَاتقى رَمِيي وَمِنْ دُونِ ما اتَّقى ... هَوًى كاسرٌ كفِّى وقوسِى وأَسْهُمى

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَت ظُنُونُه ... وصَدَّقَ ما يعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أَوَّلاً بالحبيب المعَمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يدَّعى أنه من شيمةِ النساء ، ثم لامه على مبادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجبن لأَنه يَرْمى ويتقى الرمى بالاستتار خلف غيره ، على أَن المتنبى لا يجازيه على الشرِّ بمثله لأَنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفه وقوسَه وأَسْهُمَه إذا حاول النضال ، ثم وصفه بأَنه سيئ الظن بأَصدقائه لأَنه سيئُ الفعل كثير الأَوهام والظنون حتى ليظن أَن الناس جميعاً مثلهُ فى سوء الفعل وضعف الوفاء . فانظر كيف نال المتنبى من سيفِ الدولة هذا النيل كلَّه من غير أَن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا ، ومن أَوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسِيغُ الآذان سماعَه ، وأَمثلة ذلك كثيرة جدًّا فى القرآن الكريم وكلام العرب ، فقد كانوا لا يعبِّرون عما لا يحسن ذكره إلاَّ بالكناية ، وكانوا لشدَّة نَخْوتِهم يَكْنُون عن المرأَة بالبَيْضَة والشاة .

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

أَلاَ يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْكِ ورَحمَةُ اللهِ السَّلامُ(٢)

فإنه كَنَّى بالنخلة عن المرأَة التى يحبها .

ولعلَّ هذا المقدار كاف فى بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال .

---

(١) القرط : ما يعلق فى شحمة الأذن ، والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول : لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقى من الرجل الشجاع .

(٢) ذات عرق : موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق .

أثر علم البيان فى تأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان أنَّ مَعْنًى واحدًا يستطاع أداؤهُ بأساليب عِدَّة وطرائقَ مختلفة ، وأنّه قد يُوضع فى صورة رائعة من صور التشبيه ، أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو العقلى ، أو الكناية .

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول :

يريدُ المُلوكُ مَدى جَعْفَرٍ ولاَ يَصْنَعُونَ كما يَصْنَعُ
وَلَيْس بِأَوْسَعِهِمْ فِى الغِنَى وَلكِنَّ مَعْـرُوفَهُ أَوسَعُ

وهذا كلامٌ بليغ جدًّا مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ولا بأكثر مالاً .

وقد يعمِد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أُسلوب آخر فيقول :

كالْبَحْرِ يَقْذِف للقَرِيب جواهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

فيشبِّه الممدوحَ بالبحر ، ويَدْفَعُ بخيالك إلى أن يُضاهِيَ بين الممدوح والبحر الذى يقذِف الدرر ويُرسل السحائب للبعيد .

أو يقول :

هُو الْبَحْرُ مِنْ أَىِّ النواحى أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المعْروفُ وَالجُودُ سَاحِلُهْ

فيدعى أنه البحر نفسهُ وينكر التشبيه نُكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة .

أَو يقول :

عَلاَ فَما يَسْتَقِرُّ الْمَالُ فى يَدِه وكَيْفَ تُمْسِكُ مَاءً قُنَّةُ الجَبَلِ

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفِيّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة ، وليجعل لك من التشبيه الضمنىّ دليلاً على دعواه ، فإنه ادعى

أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً فقال :
«وكيف تمسك ماءَ قُنَّة الجبل ؟ »

أو يقول :

جَرَى النهْرُ حتى خِلْتُهُ مِنْكَ أنعُماً تُسَاقُ بلاَ ضَنٍّ وتُعْطى بِلاَ مَنّ[١]

فيقلب التشبيه زيادة فى المبالغة وافتناناً فى أساليب الإجادة ، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح بعدأن كان المألوف أن تُشَبَّه النعم بالنهر الفياض.

أو يقول :

كأنَّه حينَ يُعْطى المَالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الغَمَامَةِ تَهمى وَهْىَ تَأْتَلِقُ[٢]

فيعمد إلى التشبيه المركب ، ويعطيك صورة رائعة تمثِّل لك حالة الممدوح وهو يجود ، وابتسامة السرور تعلو شفتيه .

أو يقول :

جَادَتْ يَدُ الفَتْحِ وَالأَنْواءُ بَاخِلَةٌ وَذَابَ نَائِلُهُ والغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهى بين جود الممدوح والمطر . ويدّعى أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء أو جَمدَ القطر .

أو يقول :

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْمِ الرُّكامِ ولَجَّ فى إبْراقِهِ وَأَلَحَّ فى إرْعَــادِه[٣]
لاَ تَعْرِضَنَّ لِجعْفَرٍ مُتَشَبِّهاً بِندَى يَدَيْهِ فلَستَ منْ أَنْدَادِه

فيصرح لك فى جلاء وفى غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم . ولا يكتفى بهذا بل تراه يَنْهَى السحاب فى صورة تهديد أن يحاول التشبُّه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه .

أو يقول :

وَأَقْبَلَ يَمْشِى فِى البِسَاط فَما دَرى إلى البَحْرِ يَسْعَى أَمْ إلى البَدْرِ يَرْتَقى

---

(١) الضن : البخل ، والمن : الامتنان بتعداد الصنائع . (٢) تهمى : تسيل ، وتأتلق : تلمع . (٣) الغيم الركام : المتراكم ، ولج وألح : كلاهما بمعنى استمر .

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة فيَنزع فى وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه والمبالغة فيها أعظم وأثرها فى النفوس أبلغ .

أو يقول :

دَعَوْتُ نَدَاهُ دَعْوَةً فأَجابَنى ... وعَلَّمَنِى إحْسانُه كَيفَ آمُلُه

فيشبِّه نَدى ممدوحه وإحسانَه بإنسان ، ثم يحذِف المشبه به ويرمز إليه بشىء من لوازمه ، وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التى تساق الاستعارة لأجلها .

أو يقول :

ومَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيا

فيرسل العبارة كأنها مثل ، ويصوِّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمن هو دونه ، كما أن قاصد البحر لا يأْبه للجداول فيعطيك استعارة تمثيلية لها روعة وفيها جمال ، وهى فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه وتويد الحال التى يدعيها .

أو يقول :

مَا زِلْتَ تُتْبِعُ ما تُولى يدًا بِيَدٍ ... حَتَّى ظَنَنْتُ حَياتى مِنْ أياديكا

فيعدِل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل ، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة لأن اليد آلة النعم وسببها .

أَو يقول :

أَعَادَ يَومُكَ أَيّامِى لِنَضْرَتِهـــا ... وَاقتَصَّ جُودُكَ مِنْ فقرِى وإعْسارى

فيُسند الفعل إلى اليوم وإلى الجود على طريقة المجاز العقلى :

أو يقول :

فَما جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونه ... وَلكنْ يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ

فيأتى بكناية عن نسبة الكرم إليه بادعاء أن الجود يسير معه دائماً ،

لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم ادعى أن الكرم يسير معه أينما سار . ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير فى النفس وحسن تصوير المعنى ، فوق ما يجده السامع فى غيرها من بعض ضروب الكلام .

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً كلٌّ له جمالُهُ وحسنُهُ وبراعته ، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى فى هذا المعنى ، فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعانى لا يكاد ينتهى إلى حد ، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحى فى صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها ، ولكنا لم نقْصِد إلى الإطالة ، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربىّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهرًا ، وسَتَدْهَش للْمَدَى البعيد الذى وصل إليه العقل الإنسانى فى التصوير البلاغىّ والإبداع فى صوغ الأساليب .

هذه الأساليب المختلفة التى يُؤَدَّى بها المعنى الواحد هى موضع بحث علم البيان ، ولا أظنّك تفهم أن القدرة على صوغ هذه الأساليب البديعة موقوفة على علم البيان ؛ لأن الافتنان فى التعبير لا يتوقف على درس قواعد البلاغة ، وإنما يُصْبحُ المرء كاتباً مجيدًا ، أو شاعرًا مبدِعاً أو خطيباً موثرًا ، بكثرة القراءة فى كتب الأدب وحفظ آثار العرب ، وبنقد الشعر وتفهمه ، ودراسة النثر الفنى وتذوق أسراره ؛ بهذا ترسخ فيه مَلَكَةٌ تدفعه دفعاً إلى الإحسان والإجادة ، ولا بد أن يعاضد هذه الملكة طبعٌ سليم وفطرة حساسة تكون مُعينةً لهذه الملكة وظهيرة لها .

ولكنَّا بعد كل هذا لا نستطيع أن نجحد فائدة علم البيان والإلمام بقوانينه ، فإنه بما يفصِّل من الفروق بين الأساليب ميزان صحيح لتعرُّف أنواعها ، ودراسة أدبية للفحص عن كل أسلوب وتبيُّنِ سرّ البلاغة فيه .

علم المعانى

تَقْسِيمُ الكلام إلى خبرٍ وإنشاء

الأمثلة :

(١) قال أبو إسحاق الغَزِّىُّ[١] :

لَوْلا أبو الطَّيِّبِ الكِنْدِيُّ ما امْتَلأَتْ
مَسَامِعُ النَّاسِ مِنْ مَدْحِ ابْنِ حَمْدَانِ

(٢) وقال أبو الطَّيِّبِ :

لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَى ما لَمْ يَفُتْ طَمَعاً
ولا أَبِيتُ على ما فاتَ حَسْرَانَا[٢]

(٣) وقال أبو العَتَاهِيَةِ :

إِنَّ البَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنًى   لَتُرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ[٣]

* * *

(٤) وقال بَعْضُ الحكماء لِابْنِهِ :

يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الحديثِ .

---

(١) شاعر مجيد ، أتى فى قصائده الطوال بكل بديع ، ولد بغزة ، وهى بلدة بالشام وتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

(٢) اشرأب إلى الشىء : تطلع إليه .   (٣) أفاد غنى بمعنى استفاده ، والمخايل : العلامات ، يقول : إن البخيل تظهر عليه دائماً أمارات الفقر وعلاماته ، وإن كان غنياً كثير المال .

(٥) وأَوْصى عبدُ اللهِ بنُ عبَّاس [١] رَجُلاً فقال :

لَا تَتَكلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيك ، وَدَعِ الكَلَامَ فى كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيك حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً .

(٦) وقال أَبو الطيب :

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
ما دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ [٢]

البحث :

يخبرنا أَبو إسحاق الغزِّىُّ بأَن أَبا الطيب المتنبي هو الذى نشر فضائل سيف الدولة بن حَمْدَانَ وأَذاعها بين الناس . ويقول : لولا أَبوالطيب ما ذاعت شهرة هذا الأَمير ، ولا عَرَفَ الناس من شمائله كل الذى عرفوه ، وهذا قول يحتمل أَن يكون الغزىّ صادقاً فيه كما يحتمل أَن يكون كاذباً : فهو صادق إن كان قوله مطابقاً للواقع ، كاذبٌ إن كان قوله غير مطابق للواقع .

والمتنبي فى المثال الثانى يخبر عن نفسه بأَنه قانعٌ راض بحالهِ التى هو فيها ، فليس من عادته أَن يتَطَلع مُسْتَشرفاً إلى ما هو آت ، وليس من دَأبهِ أَن يَنْدَمَ على ما فات ، ومن المحتمل أَن يكون كاذباً غير صادق

كذلك يجوز أَن يكون أَبو العتَاهِيَةِ فى المثال الثالث صادقاً فيما قال وادعى ، ويجوز أَن يكون غير صادق .

انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائلهُ ينادى وَلَدَه ويأْمره أَن يتعلم حُسْنَ الحديث ، وذلك كلام لا يَصِحُّ أَن يقال لقائله إنه صادق فيه أَو كاذب ؛ لأَنه لا يُعْلمُنا بحصول شيء أَو عَدَم حصوله ، وإنما هو ينادى ويأْمر .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أحد أكابر الصحابة فى العلم سمى بالحبر لسعة علمه ، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ . (٢) يقول : لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حياً ؛ فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحى ، فلا يأس مع الحياة

كذلك لا يصح أن يَتَّصِفَ عَبْدُ الله بنُ عباس فى المثال الخامس ، والمتنبى فى المثال السادس بالصدق أو الكذب ؛ لأن كلا منهما لا يخبر عن حصول شيء أو عَدَم حصوله ، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لايخرج عن هذين النوعين ، ويُسَمَّى النوعُ الأول **خبراً** والنوع الثانى **إنشاءً**.

انظر بعد ذلك إلى الجمل فى الأمثلة السابقة أو فى غيرها تَجِدْ كلَّ جملة مكوَّنَةً من ركْنَيْن أساسيَّين هما المحكوم عليه والمحكوم به ، ويسمى الأول **مسنداً إليه** والثانى **مسنداً** أما ما عداهما فهو « قيد » فى الجملة وليس ركناً أساسيًّا.

القواعد :

(٢٨) الْكلامُ قِسْمان : خَبَرٌ وإنْشَاءٌ :

(ا) فالخَبَرُ ما يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إنَّهُ صَادِقٌ فِيه أَو كاذبٌ ، فإِنْ كانَ الكلامُ مُطَابقاً للواقِع كان قائِلهُ صَادِقاً ، وَإِنْ كانَ غَيرَ مُطَابقٍ لَهُ كان قائِلُهُ كاذِباً .

(ب) والإِنْشَاءُ ما لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَو كاذِبٌ .

(٢٩) لكلِّ جُمْلةٍ مِنْ جُمَلِ الْخَبَرِ والإِنشاءِ رُكْنان : مَحْكومٌ عليه ،

---

(١) الخبر إما جملة اسمية وإما جملة فعلية ، فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير ، فإذا قلت : الهواء معتدل لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى حدوث أو استمرار ، وقد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار كأن يكون الكلام فى معرض المدح أو الذم ، ومن ذلك قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم ».

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدوث فى زمن معين مع الاختصار ، فإذا قلت : « أمطرت السماء » لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الإمطار فى الزمن الماضى ، وقد تفيد الاستمرار التجددى بالقرائن كما فى قول المتنبى :

تدبر شرق الأرض والغرب كفه وليس لها يوماً عن المجد شاغل

فإن المدح قرينة دالة على أن التدبير أمر مستمر متجدد آناً فآناً

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الاستمرار بالقرائن ، إلا إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد

وَمَحْكوم بهِ ، وَيُسمَّى الأَوَّلُ مُسْنَدًا إليْه [١] ، والثانى مُسْنَدا [٢] ، وَما زَادَ عَلى ذلكَ غَيْرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ والصِّلَةِ فَهوَ قَيْدٌ [٣] .

نَمُوذَجٌ

لبيان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه والمسند فى كل جملة رئيسية [٤] :

(١) قال عبد الحميد الكاتب [٥] يُوصى أَهلَ صِناعته بمحاسن الآداب : تَنَافَسُوا [٦] يَامَعَاشِرَ الكُتَّابِ فى صُنوف الآداب ، وتَفَهَّمُوا فى الدِّينَ ، وابْدَءُوا بِعِلْم كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ ثمَّ العَرَبِيَّةِ ؛ فإِنَّها نَفَاقُ أَلسِنَتِكمْ [٧] ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ ، وارْوُوا الأَشْعارَ واعْرِفُوا غَرِيبَها وَمَعَانِيها وأَيَّامَ العَرَب والعَجَم وأَحادِيثَها وسِيرَها ، فإِنَّ ذلك مُعِينٌ لَكمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ .

(٢) قال أَبو نُواسٍ :

الرِّزْقُ والْحِرْمَانُ مَجْرَاهُما ... بِمَا قَضَى اللهُ وَمَـا قَدَّرَا
فاصْبِرْ إِذا الدَّهْرُ نَبَا نَبْوَةً ... فَجُنَّةُ الحازِمِ أَنْ يَصْبِرا [٨]

---

(١) مواضع المسند إليه الفاعل ونائبه والمبتدأ الذى له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها. (٢) مواضع المسند هى الفعل التام ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها ، واسم الفعل ، والمصدر النائب من فعل الأمر .

(٣) القيود هى أدوات الشرط والنفى والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ .

(٤) تنقسم الجملة عند علماء المعانى إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية ، والأولى هى المستقلة التى لم تكن قيداً فى غيرها والثانية ما كانت قيداً فى غيرها وليست مستقلة بنفسها .

(٥) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد ، كان كاتباً مبدعاً ، وقد برع فى إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته فى الكتابة ، حتى قال الثعالبى : فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وقد كتب لمروان آخر ملوك بنى أمية وقتل معه سنة ١٣٥ هـ

(٦) تنافسوا : تباروا . (٧) نفاق ألسنتكم : رواج كلامكم

(٨) نبا نبوة : أساء إساءة من قولهم نبا السيف إذا لم يعمل فى الضريبة ، وجنة الحازم : وقايته .

إجابة (١)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تنافس)
يا معاشر الكتاب	»	القاعل المستتر فى الفعل أدعو الذى نابت عنه يا	الفعل (أدعو)
وتفهموا فى الدين	»	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل تفهم
وابدءوا بعلم كتاب الله	»	» (» »)	» ابدأ
فإنها نفاق ألسنتكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نفاق)
أجيدوا الخط.	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (أجدْ)
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)
وارووا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	»	» (» »)	» (اعرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابة (٢)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
الرزق والحرمان فى آخر البيت	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير فى اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

تمرينات

(١)

ميِّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية . وعيِّن المسند إليه والمسند فيما يأتي :

(ا) مما يُنْسَبُ لعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه في رسالة إلى الحارث الهَمَذَاني[١] : تمسَّكْ بِحَبْل القرآن واسْتَنْصِحْه وأَحِلَّ حَلاَلَهُ وحَرِّم حرامه واعْتَبِرْ بِمَا مَضَى من الدنيا ما بَقِيَ منها[٢] فإن بعضَها يُشْبِهُ بَعْضًا ، وآخِرُها لاحقٌ بأَوَّلها ، وكلها حائلٌ مُفارِقٌ[٣] ، وعظِّم اسمَ اللهِ أن تَذْكُرَهُ إلاَّ على حَقٍّ[٤] .

(ب) وممّا يُنْسَبُ إليه أيضاً :
تَوَقَّوا البَرْدَ في أَوَّلِهِ ، وتَلَقَّوْه في آخِره فإنه يَفْعَلُ بالأَبدان كفعله في الأَشْجَارِ ، أَوَّلُهُ يحْرِقُ ، وآخِرُهُ يُورق .

(ح) وكَتَبَ بعض البلغاء في الاستعطاف :
لُذْتُ بِعَفْوِكَ ، واسْتَجَرْتُ بِصَفْحِكَ ، فأَذِقْنِي حَلاَوَةَ الرِّضا ، وأَنْسِنِي مَرارَةَ السُّخْط فيما مَضَى .

(٢)

تفهم الأَبيات الآتية ، وميِّز فيها الجملَ الخبريةَ من الجمل الإنشائية ، وعيِّن المسند إليه والمسندَ في كل جملة :

(ا) قالَ صاحب العِقْد الفريد[٥] يَصِفُ الدُّنيا :

أَلا إِنَّما الدُّنْيا نَضَارَةُ أَيْكَةٍ   إِذَا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ[٦]

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمذاني الكوفي ، كان راوية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة ، توفي سنة ٧٠ هـ .

(٢) اعتبر : قس ، والمعنى قس الباقي بالماضي .   (٣) حائل : متغير

(٤) أي لا تحلف بالله إلا على حق تعظيماً له وإجلالا

(٥) هو أحمد بن محمد القرطبي المشهور بابن عبد ربه ، كان عالماً أديباً كثير الحفظ والاطلاع على أخبار الناس ، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد ، توفي سنة ٣٢٨ ه

(٦) النضارة : الحسن والرونق ، والأيكة الشجرة

هِىَ الدارُ مَا الآمالُ إلا فَجَائعٌ عَلَيْها وَلاَ اللَّذاتُ إلاَّ مَصَائِبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فيها بِعَبْرَةٍ عَلى ذَاهِبٍ مِنْهَا فإنَّكَ ذَاهِبُ[١]

(ب) وقال ابن المعتز :

لَيْسَ الكريمُ الذى يُعْطِى عَطِيَّتَهُ عَنِ الثَّنَاءِ وَإنْ أغْلى بِهِ الثَّمَنَا
بلِ الكَرِيمُ الذى يُعْطِى عَطِيَّتَهُ لِغَيْرِ شَىْءٍ سِوىاسْتِحْسَانِهِالحَسَنَا
لا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً وَلاَ يَمُنُّ إذا مَا قلَّدَ المِنَنَا[٢]

(٣)

اُنثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحاً ، ثم عَين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية التى تأْتى بها فى نثرك :

وَلاَ تَصْطَنِعْ إلاَّ الكِرَامَ فإنّهم يُجَازُونَ بِالنَّعماءِ مَنْ كانَ مُنْعِماً[٣]
وَمَنْ يَتَّخِذْ عند اللئامِ صَنيعةً تَجِدْهُ عَلى آثارِها مُتَنَدِّما[٤]

(٤)

(١) صف حياة القَرَوِيِّين فى أُسْلوب خَبرِى لا يتخلله شىء من الجمل الإنشائية .

(ب) اكتب إلى أرمَدَ ترجو له الشفاء ، وتنصحه بما يساعده على السلامة من دائه وضَمِّن رسالتك إليه طائفةً من الجمل الإنشائية

---

(١) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . (٢) يستثيب : يسأل أن يثاب . والعرف : المعروف . والمحمدة : الحمد . ويمن : يمتن بتعداد النعم . وقلد المنن : أولاها . والمنن : جمع منه وهى النعمة ، يقول : إن الكريم هو الذى يبذل المعروف ولا يطلب عليه حمداً ، ويولى الجميل ولا يمتن به .

(٣) اصطنع الكرام : أحسن إليهم ، والنعماء ، النعمة والإحسان

(٤) الصنيعة . اليد والإحسان

الْخَبَرُ

(١) الغرضُ مِنْ إِلْقَاء الْخَبر

الأَمثلة :

(١) وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الفِيلِ[١] ، وَأُوحِىَ إِلَيْهِ فِى سِن الأَرْبَعِينَ ، وَأَقَامَ بِمَكَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا .

(٢) كانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز[٢] لا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ المال شيئاً ، وَلَا يُجْرِى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفَىْءِ[٣] دِرْهَماً .

* * *

(٣) لَقَدْ نَهَضْتَ مِنْ نَوْمِكَ اليومَ مُبَكِّرًا

(٤) أَنْتَ تَعْمَلُ فى حَدِيقَتِك كلَّ يَوْمٍ .

* * *

(٥) قال يَحيَى البَرْمَكِىُّ[٤] يُخَاطِبُ الخليفَةَ هَرُونَ الرَّشيد[٥]

إِنَّ البَرَامِكَةَ الذيـ ... نَ رُمُوا لَدَيْكَ بِدَاهِيَهْ

صُفْرُ الوُجُوهِ عَلَيْهِمُ ... خِلَع[٦] المَذَلَّةِ بَادِيَهْ

---

(١) عام الفيل : هو العام الذي غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة ، ثم رجع عنها خائباً بعد أن تفشى المرض فى جنده ومات فيله . (٢) هو الخليفة الصالح والملك العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم الأموى ، ولى الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفى سنة ١٠١ هـ ، وأخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة . (٣) الفىء : الخراج والغنيمة .

(٤) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد ، كان كاتباً بليغاً صائب الرأى حسن التدبير يبارى الريح كرماً وجوداً ، سجنه هرون الرشيد حين تغير على البرامكة ، وبقى فى ضيقته حتى مات سنة ١٩٠هـ . (٥) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم ، كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، بويع بالخلافة سنة ١٧٠ وتوفى بطوس سنة ١٩٣ هـ (٦) الخلع : الملابس ، يقول : إن ملابس الذل ظاهرة عليهم

(٦) قال الله تعالى حكاية عن زكريَّا عليه السلام :

رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً .

(٧) قال أَحد الأَعْراب يرْثى وَلدَهُ :

لمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالأَسَى
أَجَابَ الأَسَى طَوْعاً وَلَمْ يُجب الصَّبْرُ[١]

فإن يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الحُزْنُ مَا بَقِىَ الدَّهْرُ

(٨) قال عَمْرُو بْنُ كُلْثوم[٢] :

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِىٌّ   تخرُّ لَهُ الجبابرُ سَاجِدِينا

(٩) كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الحُسَيْنِ[٣] إلى العباس بن موسى الهادِى[٤] وقَدْ اسْتَبطأَهُ فى خَرَاجِ ناحيته :

وَلَيْسَ أَخُو الحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً
ولَكنْ أَخُوها مَنْ يَبيت على وَجَلْ

البحث :

تدبَّر المثالين الأَولين تجد المتكلم إنما يَقْصِد أن يُفيدِ المخاطب الحكم الذى تضمنه الخبرُ فى كل مثال ، ويسمَّى هذا الحكم فائدة الخبر فالمتكلم فى المثال الأَول يريد أَن يُفيد السامع ما كان يجهله من مَوْلِدِ الرسول ، وتاريخ الإِيحاءِ إِليه ، والزمن الذى أَقامه بعد ذلك فى مكة

(١) الأسى : الحزن . (٢) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ينتهى نسبه إلى تغلب ، وهو صاحب المعلقة التى مطلعها : «ألا هبى بصحنك فاصبحينا» . (٣) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء أدباً وحكمة وشجاعة ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى وتوفى بمدينة مرو سنة ٢٠٧ هـ . (٤) هو ثالث أبناء موسى الهادى الخليفة العباسى الرابع ، كان عاملا على الكوفة من قبل الأمين ، وتوفى سنة ١٩٦ هـ .

والمدينة . وهو فى المثال الثانى يخبره بما لم يكن يعرفه عن عُمَرَ بنِ عبد العزيز من العِفة والزُّهْد فى مال المسلمين .

تأمل بعد ذلك المثالين التاليين ، تجد المتكلم لا يَقْصِد منهما أن يُفيد السامع شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام ؛ لأنّ ذلك معلومٌ للسامع قبل أن يَعْلمه المتكلم ، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام . فالسامع فى هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نفْسِه ، وإنما استفاد أن المتكلم عالم به ، ويسمى ذلك **لازم الفائدة** .

انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أن المتكلم فى كل منها لا يقصد فائدة الخبر ولا لازم الفائدة ، وإنما يَقْصِد إلى أشياء أُخرى يَسْتطلعها اللبيب ويَلمَحُها منْ سِياق الكلامَ ، فيحيى البرمكى فى المثال الخامس لا يقصد أن ينبى الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوى قُرْباه من الذلِّ والصَّغار ، لأن الرشيد هو الذى أَمَرَ بهِ فهو أولى بأن يعلمه ، ولا يريد كذلك أن يفيده أنه عالم بحال نفسه وذوى قرابته . وإنما يَستعطفه ويَسترحمه ويرجو شفقته ، عسى أن يُصْغى إليه فيعودَ إلى البر به والعطف عليه .

وفى المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حالَه ويُظهر ضعفه ونفاد قوته . والأعرابى فى المثال السابع يتحسر ويُظهر الأسى والحزن على فَقْدِ ولده وفلذةِ كَبِدِه . وعَمْرُو بنُ كلثوم فى المثال الثامن يَفخَر بقومه ، ويباهى بما لهم من البأس والقوة : وطاهرُ بنُ الحسين فى المثال الأخير لا يقصد الإخبار . ولكنه يَحُثُّ عامله على النشاط والجِدِّ فى جباية الخراج . وجميع هذه الأغراض الأخيرة إنما تفهَمُ من سياق الكلام لا من أصْل وضْعِهِ .

القواعد :

(٣٠) الْأَصْلُ فى الخَبرِ أَن يُلقَى لأَحَدِ غَرَضَيْن :

(ا) إفَادَةُ المخَاطَبِ الحُكْمَ الذى تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ ، وَيُسَمَّى ذلك الْحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبَر .

(ب) إفادة المخاطَبِ أنَّ المتكلِّم عالمٌ بالحكْمِ ، ويُسَمَّى ذلك لازمَ الفائِدَةِ .

(٣١) قَدْ يُلْقَى الخَبَرُ لأَغْراض أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق ، مِنْها ما يأْتى :

(ا) الاسْتِرْحامُ . (ح) إظْهارُ التَّحَسُّر .

(ب) إظْهارُ الضَّعْفِ . (د) الفَخْرُ .

(ه) الحَثُّ على السَّعْى والجِدّ .

نَمُوذَجٌ

فى بيان أغراض الأخبار

(١) كان مُعاوِيةُ[1] رضى الله عنه حَسَنَ السِّياسةِ والتَّدْبيرِ ، يحْلُمُ فى مواضِع الْحِلْمِ ، ويَشْتَدُّ فى مَواضِعِ الشدَّة .

(٢) لَقَدْ أَدَّبْتَ بَنِيكَ باللين والرِّفقِ لا بالقَسْوَةِ والعِقاب .

(٣) تُوُفِّىَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضى الله عنه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة .

(٤) قال أبو فِراس الْحَمْدَانىّ :

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النجوم ومنزلى مَأْوَى الكِرَامِ وَمَنزل الأَضْياف

(٥) قال أبو الطيب :

وَمَا كلُّ هاوٍ للْجَمِيل بِفَاعِلٍ وَلا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أيضاً يرثى أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلة :

غَدَرْتَ يامَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لجَبِ[2]

(١) هو من أجلة الصحابة ، وأحد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم : يضرب المثل بحلمه وكياسته ، وهو أول ملوك الدولة الأموية ، استقام له الملك عشرين سنة ، وتوفى سنة ٦٠ هـ .

(٢) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ، يقول غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته ، وكنت تفنى به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبهم .

(٧) قال أبو العتاهية يرثى ولده عليًّا :

بَكَيتكَ يا عَلِىُّ بِدَمْع عيْنِى   فَمَا أَغْنى البُكاءُ عليك شَيًّا
وكانَتْ فِى حَيَاتِكَ لِى عِظاتٌ   وأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

(٨) إنَّ الثّمانينَ وبُلِّغْتَهــــا   قد أحوجت سمعى إلى تَرْجُمانِ

(٩) قال أبو العلاء المعرِّى .

وَلِى منطِقٌ لَمْ يَرْضَ لى كُنْهَ مَنزِلى   عَلَى أَنَّنِى بيْنَ السِّماكَيْنِ نازِلُ[1]

(١٠) قال إبراهيمُ بنُ المَهْدِىِّ[2] يخاطب المأمون .

أَتَيْتُ جُــرْماً شنيعاً   وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فإِنْ عَفَــوْتَ فَمَنٌّ   وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

الإجابة

(١) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام .

(٢) « إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله فى تهذيب بنيه .

(٣) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام .

(٤) « إظهار الفخر ، فإن أبا فِراس إنما يُريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله .

(٥) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام ؛ فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه فى بعض الناس من التقصير فى أعمال الخير .

(٦) « إظهار الأسى والحزن .

---

(١) السماكان : نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح ، يقول : إن له عقلا ولساناً جعلاه يستصغر المنزلة الرفيعة التى هو فيها ، على أنها لرفعتها تشبه ما بين السماكين .

(٢) إبراهيم بن المهدى هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل غزير الأدب ، لم ير فى أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً . بويع له بالخلافة ببغداد سنة ٢٠٢ هـ ، ومات بسر من رأى سنة ٢٢٤ هـ .

(٧) الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده .

(٨) » إظهار الضعف والعجز .

(٩) » الافتخار بالعقل واللسان .

(١٠) » الاسترحام والاستعطاف .

تمرينات

(١)

بيِّن أغراض الكلام فيما يأْتى :

(١) مَنْ أَصْلَحَ مَا بينَهُ وبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الناس ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياه ، ومَنْ كان له من نفسه وَاعِظٌ كان عليه من الله حافظ .

(٢) إنك لَتَكْظِمُ الغَيْظَ وَتَحْلُمُ عند الغضب ، وَتَتَجاوزُ عند القُدْرة ، وتَصْفحُ عن الزَّلة .

(٣) قال أَبو فِرَاسٍ الْحَمْدَانىُّ :

إنَّا إذا اشْتَدَّ الزمـا ... نُ ونَابَ خَطبٌ وادْلَهمْ[1]

أَلفَيْتَ حَـوْلَ بيُوتِنَا ... عُدَدَ الشَّجَاعَةِ والكَرَمْ[2]

لِلِقا العِدَا بِيضُ السيو ... فِ ولِلنَّدى حُمْرُ النَّعَمْ[3]

هـذا وهـذا دَأْبُنا ... يُودَى دمٌ ويُرَاقُ دمْ[4]

(٤) قال الشاعر :

مَضَت اللَّيالى البيضُ فى زَمَنِ الصِّبَا ... وَأَتَى الْمَشِيبُ بِكلِّ يَوْم أَسْوَدِ

---

(١) ادلهم الليل : اشتدت ظلمته ، وادلهم الخطب : اشتد وعظم . (٢) عدد الشجاعة : آلات الحرب . وعدد الكرم : وسائل الجود والعطاء . (٣) حمر النعم : الإبل الحمراء . (٤) يودى دم : تعطى ديته ، أى نحن شجعان نقتل أعداءنا و بعد الظفر نؤدى دية القتلى ، ويراق دم : يسال للقرى . وقد تكون يودى من ودي بمعنى سال و يقصد به سفك دم الأعداء .

(٥) قال مَرْوانُ بْنُ أَبي حَفْصَةَ[١] من قصيدة طويلة يَرْثي بها معْن بن زائدةَ[٢] :

مَضَى لسبيله مَعْنٌ وَأبْقى ... مَكارِمَ لَن تَبيـدولن تُنالا[٣]

كَأَن الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ ... مِنَ الإظْـلاَمِ مُلْبَسَةٌ ظِلاَلا

هُوَ الجَبَلُ الَّذِي كانت نِزَارٌ ... تَهُدُّ مِنَ الْعَدُوِّ به الْجِبالا[٤]

فإِنْ يَعْلُ البِلاَدَ له خُشُوعٌ ... فقد كانتْ تطُولُ به اخْتِيالاَ[٥]

أَصابَ المَوْتُ يَوْمَ أَصَابَ مَعْناً ... مِنَ الأَحْياءِ أَكْرَمَهُمْ فَعالاَ[٦]

وَكان النَّاسُ كلهمُ لِمَعْنٍ ... إلَى أَنْ زار حُفْرَتَه عِيالاَ[٧]

(٦) وقال آخر :

فما لى حيلــةٌ إلاَّ رَجائِى ... لِعَفْوِكَ إنْ عَفَوْتَ وحُسْنَ ظَنِّى

فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِى فى الخَطَايا ... عَضَضْتُ أنامِلِى وقَرعْتُ سِنِّى[٨]

يَظُنُّ النَّاسُ بِى خَيْرًا وَإِنِّى ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّى

(٧) قال أبو نواس فى مرض موته :

دَبَّ فِىَّ السّقامُ سُفْلاً وَعُلْوًا ... وأَرانِى أَمُــوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا

ذَهَبتْ جِـدَّتِى بِطَـاعَةِ نَفسِى ... وتَذَكَّرتُ طَـاعَةَ اللهِ نِضْوَا[٩]

---

(١) ولد مروان باليمامة ، وقدم بغداد ومدح المهدى وهارون الرشيد ، واتصل بمعن بن زائدة ومدحه و رثاه بقصائد غراء فضل بها على شعراء زمانه ، وتوفى ببغداد سنة ١٨١ هـ .

(٢) هو أبو الوليد معن بن زائدة ، كان جواداً شجاعاً جزيل العطاء ، خصه مروان ابن أبى حفصة بأكثر مدائحه وقد عاش فى دولتى بنى أمية و بنى العباس ، ثم قتله قوم من الخوارج سنة ١٥١ هـ . (٣) لن تبيد ولن تنال : أى لن يفنى ذكرها ولن يستطيع أحد أن يكون له مثلها . (٤) نزار قبيلة من قبائل العرب أبوها نزار بن معد . (٥) الخشوع : السكون وغض الصوت والبصر ، تطول : ، تمتد ، والاختيال الكبر ، يقول : إن أصاب البلاد لموته خشوع غض من أبصارها فقد رفعت بحياته رأسها مباهاة وكبراً . (٦) الفعال بالفتح : الفعل وهو مصدر كالذهاب . (٧) عيال الرجل : من يعولهم وهو جمع عيل .

(٨) عضضت أناملى وقرعت سنى : أى ندمت من أجلها .

(٩) جد الشىء جدة صار جديداً ، والنضو : الثوب الخلق والبعير المهزول ، يقول : إنه أطاع هواه فى أيام شبابه ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف .

لهفَ نَفْسِى على لَيَــالٍ وَأَيَّا ـمٍ تَجَاوَزْتُهُنَّ لِعْباً وَلَهْوَا
قَدْ أَسَأْنَا كلَّ الإِساءَةِ فاللـ ـهم صَفْحاً عَنَّا وغَفْرًا وعَفْوَا

(٨) إنك إذا رأيتَ فى أَخيك عَيْباً لم تكتمْهُ .

(٩) قال ابْنُ نُبَاتَةَ السّعدىُّ :

يَفُوتُ ضَجيعَ التُّرَّهاتِ طِلابُه ويدْنُو إلى الحاجَاتِ مَنْ بَاتَ ساعيَا[١]

(١٠) قال الأَميرُ أَبُو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله[٢] فى وصف يوم ماطر :

دَهَتنا السَّمَاءُ عَلى حِينِ صَحْوٍ بِغَيْثٍ علَى هامِنَا مُسْبِلِ
وَأَشْرَفَ أَصحابُنا من أَذَاهُ عَلى خَطَرٍ هائل مُسْبِلِ
فَمِنْ لائذٍ بِفِنَــاءِ الجِدار وآوٍ إلى نَفَقٍ مُهْمَل
وَجادَتْ علينا سَمَاءُ السُّقوف بِدَمْعٍ مِنَ الوجْدِ لمْ يَهْمُلِ[٣]

(١١) قال الجاحظ[٤] :

ٱلمَشُورَةُ لِقَاحُ العقول ، ورائِد الصواب . والمُسْتَشِير عَلَى طَرَف النّجاح ، واستنارة المرءِ برأى أَخيه من عَزم الأُمور وحزْمِ التدبير .

---

(١) الضجيع : المضاجع ، والترهات : الأباطيل والأمانى الكاذبة ، والطلاب : الشىء المطلوب ، يقول : لا يدرك غايته إلا الساعى الجد ، أما الذى يعلل نفسه بالأمانى الكاذبة ولا يشمر عن ساعد الجد فى سبيل الحصول عليها فعاقبته الحرمان . (٢) هو أبو الفضل الميكالى ، كان واحد خراسان فى عصره أدباً وفضلا ونسباً . وله ديوان رسائل ، وديوان شعر ، وتصانيف أخرى كثيرة ، توفى سنة ٤٣٦ هـ .

(٣) هملت العين : سال دمعها ، يقول : إن بكاء السقوف لم يكن بسبب الحزن كما هو المألوف بل كان بسبب المطر . (٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ، كان عالماً أديباً وله تصانيف فى فنون كثيرة ، وإليه تنسب الطريقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة ، ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين ، توفى سنة ٢٥٥ هـ .

(١٢) قال المتنبي وهو مريض بالحمَّى :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فلاَ ورَائى ... تَخُبُّ بِىَ الرِّكابُ ولا أَمامى[1]

ومَلَّنِىَ الْفِرَاشُ وكان جنبي ... يَمَلُّ لقاءَهُ فى كلِّ عَامِ[2]

(٢)

انثر قول أبي الطيب ، وبين غرضه :

إنى أُصاحبُ حلْمى وَهْوَ بِى كَرَمٌ ... ولا أُصَاحبُ حِلْمى وهْوَ بِى جُبُنُ

ولا أُقيمُ عَلى مال أَذِلُّ به ... ولا أَلَذُّ بما عِرْضِى بِهِ دَرِنُ[3]

(٣)

صف وطنك واجعل غرضك من الوصف الفخر بمكانه ، وهوائه ، وصفاء سمائه ، وخِصْب أَرضه وارتقاء عُمرانه .

(٤)

(١) كوِّن ست جمل خبرية تكون الثلاث الأُولى منها لإِفادة المخاطب حكمها ، والثلاث الأَخيرة لإِفادته أَنك عَالم بالحكم .

(٢) كوِّن ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أَحوالها الاستعطافَ وإِظهارَ الضعف والتحسُّر .

(٣) كوِّن ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أَحوالها الحثَّ على السعى والتوبيخ والفخر على الترتيب .

---

(١) تخب : تعدو ، والركاب : الإبل ، يعنى أنه لزم الإقامة بمصر فلم يبرحها لضعفه .

(٢) يعنى أن مرضه طال حتى مله فراشه بعد أن كان هو يمل الفراش ولو لقيه مرة كل عام .

(٣) الدرن : الوسخ

أَضْرُب الخَبر

الأَمثلة :

(١) كَتَبَ معاوية إلى أَحد عُمَّاله فقال :

لاَ يَنْبَغى لَنَا أَن نَسُوس الناسَ سياسةً واحدة ، لانَلِينُ جميعاً فَيَمْرَح[1] الناسُ فى المَعْصِيَة ، ولا نَشْتَدُّ جميعاً فَنحْمِلَ الناسَ على المهالك ، ولكنْ تكونُ أنت للشِّدَّةِ والغِلْظَة ، وأَكون أَنا لِلرَّأفةِ والرحمة .

(٣) قال أَبو تمام :

ينالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهْوَ جاهِلُ
ويُكدِى الفتى فى دَهْرِهِ وَهْوَ عالمُ[2]

ولوْ كانت الأَرزاقُ تَجْرى على الحِجا[3]
هَلَكْنَ إذًا مِن جَهْلِهِنَّ البهائِمُ

* * *

(٣) قال الله تعالى :

قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِم هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا[4] .

---

(١) يمرح : ينشط ويتبختر . (٢) يكدى : يقل ماله . (٣) الحجا : العقل .

(٤) المعوقين : من قولهم عوقه عن الأمر صرفه عنه وثبطه ، هلم : تعالوا ، والبأس : الحرب ، والمعنى أن الله يعلم المنافقين الذين يثبطون أمثالهم عن نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقولون لهم : تعالوا معنا ودعوا محمداً ، وهم مع هذا يحضرون الحرب ساعة مع المسلمين رياء منهم ونفاقاً ثم يتسللون .

(٤) قال السَّرِىّ الرَّفاء :

إِنَّ البِنَاءَ إِذَا ما انْهَدَّ جانِبُهُ   لم يأْمَنِ النَّاسُ أَن يَنْهَدَّ باقِيهِ

* * *

(٥) قال أَبو العباس السفاح[1] :

لَأَعْمِلَنَّ اللِّينَ حتَّى لا يَنْفَعَ إِلا الشِّدةُ ، ولَأُكْرِمَنَّ الخاصةَ ما أَمِنْتُهم على العامَّة ، ولَأُغْمِدَنَّ سَيفِى حتى يَسُلَّه الحق ، ولَأُعْطِيَنَّ حتى لا أرى للعطية مَوْضِعاً .

(٦) قال الله تعالى :

لَتُبْلَوُنَّ فى أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ.

(٧) واللهِ إِنى لأَخو هِمَّة   تَسْمو إِلى المجد ولا تَفْتُر[3]

البحث :

إذا تأَملت الأَمثلة المتقدمة وجدتها أَخبارًا . ووجدتها فى الطائفة الأُولى خالية من أَدوات التوكيد . وفى الطائفتين الأَخيرتين موكدة بمؤكِّد أو مؤكِّدين أَو أَكثر ، فما السر فى هذا الاختلاف ؟ إذا بحثت لم تجد لذلك سبباً سوى اختلاف حال المخاطب فى كل موطن ، فهو فى أَمثلة الطائفة الأُولى خالى الذهن من مضمون الخبر ، ولذلك لم ير المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له ، فأَلقاه إليه خالياً من أَدوات التوكيد ، ويسمى هذا الضرب من الأَخبار ابتدائيًّا .

---

(١) هو أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ، وكان جواداً كريم الأخلاق ، توفى بالأنبار سنة ١٣٦ هـ . (٢) لتبلون : لتختبرن . (٣) تفتر : تضعف .

أما فى الطائفة الثانية فالمخاطب له بالحكم إلمام قليل يمتزج بالشك ، وله تشوف إلى معرفة الحقيقة ، وفى مثل هذه الحال يحسن أن يلقى إليه الخبر وعليه مِسْحَةٌ من اليقين تجلو له الأَمر وتدفع عنه الشبهة ؛ ولذلك جاء الكلام فى المثال الثالث مؤكدًا «بقد» وفى الرابع موكدًا «بإنّ». ويسمى هذا الضرب طلبيًّا .

أما فى الطائفة الأَخيرة فالمخاطب مُنْكِرٌ للحكم جاحد له ، وفى مثل هذه الحال يجب أَن يُضَمَّن الكلامُ من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع إنكار المخاطب ويدعوه إلى التسليم ، ويجب أَن يكون ذلك بقدر الإنكار قوة وضعفاً ؛ ولذلك جاء الكلام فى المثالين الخامس والسادس موكدًا بموكّدين هما القسم ونون التوكيد . أما فى المثال الأَخير فقد فرض الشاعر أَن الإنكار أَقوى . ولهذا أَكده بثلاث أَدوات هى : القسم وإنّ واللام ؛ ويسمى هذا الضرب إنكاريًّا .

ولتوكيد الخبر أَدوات كثيرة سنأْتى عند ذكر القواعد على طائفة صالحة منها .

القواعد :

(٣٢) لِلْمُخَاطَبِ ثَلَاثُ حالات :

(ا) أَن يَكونَ خالِىَ الذهْنِ مِنَ الحُكْمِ ، وفى هذه الحال يُلْقَى إِلَيْهِ الخبَرُ خالياً مِنْ أَدواتِ التوكيد ، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ من الخَبر ابتدائيًّا .

(ب) أَن يكونَ مُتَرَدِّدًا فى الحكْمِ طالباً أَنْ يَصِلَ إلى اليقين فى مَعْرِفَتِهِ ، وفى هذه الحال يَحْسُنُ توكيدُهُ له لِيَتَمَكَّنَ مِنْ نفسه ، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ طلبيًّا .

(حـ) أَنْ يَكونَ مُنْكِرًا لهُ ، وفى هذه الحال يَجبُ أَنْ يُؤَكَّدَ الْخَبَر بِمؤَكّدٍ أَوْ أَكْثَرَ على حَسَب إنكاره قوةً وضَعْفاً ، وَيُسَمَّى هذا الضَّرْبُ إنكاريًّا[1].

(٣٣) لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ أَدواتٌ كثيرَةٌ منها إِنَّ ، وأَنَّ ، والقَسمُ ، ولاَمُ الابْتِدَاءِ ، ونُونَا التَّوْكيدِ ، وأَحْرُف التَّنْبيه ، والْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ ، وقَدْ ، وأَمَّا الشَّرْطِيَّةُ .

نَمُوذَجٌ

فى تَعْيِين أَضرُبِ الخَبَر وأدواتِ التَّوْكيد

(١) قال أَبو العتاهية :

إِنى رأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا ... فَتَركْتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخشى

(٢) قال أَبو الطيب :

عَلَى قَدْرِ أَهل العَزْم تأْتى العزائمُ ... وتأْتى على قَدْرِ الكرام المَكارِمُ[2]

وتَكْبُرُ فى عَيْن الصغير صِغارُها ... وتَصْغُرُ فى عَيْن العظيم العظائِمُ[3]

(٣) قال حَسَّان بن ثابت رضى الله عنه .

وَإِنِّى لَحُلْوٌ تعْتَرِينى مَرَارَةٌ ... وإِنى لتَرَّاكٌ لِمَا لمْ أُعوَّدِ

---

(١) وضع الخبر ابتدائيا أو طلبيا أو إنكاريا إنما هو على حسب ما يخطر فى نفس القائل من أن سامعه خالى الذهن أو متردد أو منكر ، وقد يعدل المتكلم أحياناً عن التأكيد ، وقد يؤكد مالا يتطلب التأكيد لأغراض سنبينها بعد .

(٢) العزائم : جمع عزيمة وهى الإرادة ، والمكارم : جمع مكرمة اسم من الكرم ، والمعنى أن العزائم والمكارم تأتى على قدر فاعليها ، ويقاس مبلغها بمبلغهم ، فتكون عظيمة إذا كانوا عظاما .

(٣) الضمير فى صغارها يعود على العزائم والمكارم ، أى أن الصغير منها يعظم فى عين الصغير القدر لأنه يستنفد همته ، والعظيم يصغر فى عين العظيم القدر لأن فى همته زيادة عليه .

(٤) قال الأُرَّجانيُّ[١] :

إنَّا لَفِي زَمَنٍ مَلْآنَ مِنْ فِتَنٍ ... فَلا يُعَابُ بِهِ مَلْآنُ مِنْ فَرَقِ[٢]

(٥) قال لبيد[٣] :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي ... إنَّ الْمَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهامُهَا[٤]

(٦) قال النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاَ تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ[٥]

(٧) قال الشريف الرضيّ :

قدْ يبْلُغُ الرَّجُلُ الْجَبَانُ بِمَالِهِ ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الشُّجَاعُ المُعْدِمُ

---

(١) هو القاضى ناصح الدين أبو بكر الأرجانى ، والأرجانى نسبة إلى أرجان . « بلد بفارس » كان فقيهاً شاعراً كثير الشعر رقيقه ، وقد توفى سنة ٥٤٥ هـ . (٢) الفرق : الخوف .

(٣) هو لبيد بن ربيعة أحد الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين أسلم وحسن إسلامه ، قيل إنه مات وعمره ١٤٥ سنة ، عاش منها ٩٠ سنة فى الجاهلية ، وله المعلقة المشهورة .

(٤) لا تطيش : أى لا تخطئ ، وكل سهم يخطئ ويصيب إلا سهم المنية فإنه قاتل لا محالة . (٥) لا تلمه : أى لا تجمعه إليك ، والشعث : اتساخ الرأس من الغبار ، والمقصود على ما به من الهفوات ، ومعنى قوله أى الرجال المهذب : ليس فى الناس كامل لا عيب فيه .

الإجابة

رقم العبارة	الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
١	إنى رأيت	طلبىّ	إنّ
	فتركت ما أهوى	ابتدائى	
٢	على قدر أهل العزم إلخ	»	
	وتأتى على قدر الكرام إلخ	»	
	وتكبر فى عين الصغير إلخ	»	
	وتصغر فى عين العظيم إلخ	»	
٣	وإنى لحلو تعترينى مرارة	إنكارىّ	إنّ واللام
	وإنى لتراك	»	» »
٤	إنا لفى زمن إلخ البيت	»	» »
	فلا يعاب إلخ	إبتدائى	
٥	ولقد علمت	إنكارى	القسم وقد
	إن المنايا لا تطيش سهامها	طلبى	إنّ
٦	ولست بمستبق إلخ	»	الباءُ الزائدة
٧	قد يبلغ الرجل الجبان إلخ	»	قد

تمرينات

(١)

بيِّن اضرب الخبر فيما يأتى وعيِّن أداة التوكيد .

(١) جاء فى نَهْج البلاغة :

الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ . ويُجَدِّدُ الآمالَ ، ويُقَرِّبُ المَنِيَّةَ وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَّة ، مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصِبَ ، وَمَنْ فاته تَعِبَ[1] .

(٢) قال الأُرَّجانىّ :

ذَهَبَ التَّكَرُّمُ وَالوَفَاءُ مِنَ الوَرَى ... وتَصَرَّمَا إلاَّ مِنَ الأَشْعَار
وَفَشَتْ خِيانَاتُ الثِّقاتِ وَغَيْرِهِمْ ... حتى اتَّهَمْنَا رُؤْيَةَ الأَبْصَارِ

(٣) قال العباسُ بن الأَحنف[2] .

فَأُقسِمُ مَا تَرْكى عِتَابَكَ عَنْ قِلًى ... ولكِنْ لِعِلْمى أَنهُ غير نافِع

(٤) قال محمد بْن بشير[3] .

إنى وإنْ قصُرَتْ من هِمَّتى جِدَتى ... وكان مَالِىَ لاَ يقْوَى عَلَى خُلُقى[4]
لَتَارِكٌ كلَّ أَمْرٍ كان يُلْزِمُنى ... عارًا وَيُشْرِعُنى فى المَنْهَل الرَّنِقِ[5]

(٥) قال تعالى : أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون .

(٦) وقال تعالى :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ .

---

(١) لا يخلو الإنسان فى دهره من التعب ، وسيان فى ذلك من ظفر بحاجته ومن فاتته مطالبه . (٢) هو من الموالى ، شاعر ظريف عاش بالبصرة ولم يفارقها ، ولم يرد على أمير ولا شريف منتجعاً ، واشتهر برقة غزله ، وهو من شعراء العصر العباسى الأول . (٣) هو محمد ابن بشير الخارجى شاعر حجازى فصيح مطبوع من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعاً إلى أبى عبيدة القرشى ، وله فيه مدائح ومراث مختارة هى من عيون شعره .

(٤) الجدة : المال والغنى . (٥) يشرعنى : يخوض بى ، والمنهل الرنق : مورد الماء الكدر ومعنى البيتين أنه مع قلة ماله وعلو همته لا يتورط فيما يورثه سبة .

(٧) قال أَبو نُواس :

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَع الْغُوَاةِ بِدَلْوِهِمْ ... وَأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حَيْثُ أَسامُوا(١)

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ امْرُؤٌ بِشَبَابِهِ ... فَإِذَا عُصَارَةُ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ (٢)

(٨) وقال أعرابى :

وَلَمْ أَرَ كالْمَعْرُوفِ أَمَّا مذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُــهُ فَجَمِيلُ

(٩) قال كعب بن سعْد الغَنَوِىُّ (٣) :

ولَسْتُ بِمُبْدٍ للرِّجَال سريرَتِى ... وَلاَ أَنَا عَنْ أَسرَارِهِمْ بِسَئُول

(١٠) قال المعرى فى الرِّثاء :

إنَّ الَّذِى الوَحْشَةُ فى دَارِه ... تُؤْنِسُهُ الرَّحمةُ فى لَحْدِهِ (٤)

(٢)

بيِّن الجمل الخبرية فيما يأْتى وعيِّن أَضربها ، واذكر ما اشتملت عليه من وسائل التوكيد :

(١) قال يزيدُ بن معاوية(٥) بعد وفاة أبيه :

إنَّ أَميرَ المؤمنين كان حَبْلاً مِنْ حِبَال الله مَدَّهُ ما شاءَ أَن يمُدَّه ، ثم قطَعَه حين أَراد أَن يَقْطَعَهُ ، وكَان دُونَ مَنْ قَبْلَهُ ، وَخَيْرًا مِمَّنْ يَأْتِى بعدَهُ ،

---

(١) يقال نهز الدلو فى البئر إذا ضربها فى الماء لتمتلئ ، ويقال : أسام الإبل إذا أرسلها إلى المرعى ، والسرح : المال السائم أى الراعى ، كالإبل وغيرها ؛ يعنى أنه اتبع الغواة والضالين وسلك مسالكهم . (٢) العصارة فى الأصل : ما يتحلب من الشىء بعد عصره ، ويريد بها هنا ما استفاده فى آخر أمره ، الأثام : الإثم والذنب ؛ يقول : إنه لم يستفد من لهوه وسلوكه مسالك الغواة إلا ما عد عليه ذنباً وإثماً . (٣) هو أحد شعراء الجاهلية المجيدين ؛ توفى قبل الهجرة بسنين قليلة . (٤) يقول أبو العلاء : نحن نحس وحشة فى دار الفقيد لبعده عنها ، ولكنه هو يحس أنساً فى قبره لما يجده هناك من رضوان الله و رحمته .

(٥) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولد سنة ٢٦ هـ وأبوه أمير الشام لعثمان بن عفان وتربى فى حجر الإمارة ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وتوفى بحوران من أرض الشام سنة ٦٤ هـ.

ولا أُزَكِّيهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وقَدْ صارَ إلَيْهِ ، فإنْ يَعْفُ عنه فَبِرَحْمَته ، وإن يُعاقِبْه فبِذَنْبه ، وقد وُلِّيتُ بَعْدَهُ الأَمْرَ ولَسْتُ أَعْتَذِرُ مِنْ جَهْل ، ولا آسَى[1] عَلَى طَلَبِ عِلْمٍ ، وعَلَى رِسْلِكُم[2] إذا كَرِه اللهُ شيئاً غَيَّرَ ، وإذا أَحَبَّ شيئاً يَسَّرَه .

(٢) قال الشاعر :

لَئِن كُنْتُ مُحْتاجاً إلى الحِلْمِ إنّنِي ... إلى الجَهْلِ في بعضِ الأَحَايِين أَحْوَجُ[3]

وما كُنْتُ أَرْضَى الجهلَ خِدْناً وصاحِباً ... ولكِنَّنِي أَرضَى به حين أُحْرَجُ[4]

ولِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بالحِلْمِ مُلْجَمٌ ... ولِي فَرَسٌ للجهل بالجَهْل مُسْرَجُ

فَمَنْ شاءَ تَقْوِيمي فإِنِّي مُقَــوَّمٌ ... ومَنْ شاءَ تعويجي فإنِّي مُعَوَّجُ

(٣)

(١) تخيل أنك فى جدال مع طالب من قسم الآداب ، وأنت من طلاب العلوم ، ثم بيِّن له فضل العلوم على الآداب مستعملاً جميع أضرب الخبر .

(٢) إذا كنت من طلاب الآداب فبين مزاياها وفضلها على العلوم مستعملاً جميع أضرب الخبر .

(٤)

كوِّن عشر جمل خبرية ، وضمن كلاً منها أداة أو أكثر من أدوات التوكيد واستوف الأدوات التى عرفتها .

(٥)

انثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحاً وبين فيها الجمل الخبرية وأضربَها :

تَوَدُّ عَدُوِّى ثم تَزْعُمُ أَنّنِي ... صَدِيقُكَ ! إنَّ الرَّأْيَ منك لَعازِبُ[5]

ولَيْسَ أخِي مَنْ وَدَّنى رَأْيَ عَيْنِهِ ... ولكنْ أخِي مَنْ وَدَّنى وهْوَ غائبُ

---

(١) آسى مضارع أسى بمعنى حزن . (٢) على رسلكم : أى تمهلوا . (٣) الجهل : ضد الحلم . (٤) يقال : أحرج فلان فلاناً إذا أوقعه فى الإثم أو الضيق . (٥) عازب : بعيد.

(٣) خُروجُ الخبَر عن مُقتَضى الظاهر

الأَمثلة :

(١) قال تعالى :

وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ .

(٢) وقال تعالى :

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .

* * *

(٣) وقال تعالى :

ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ .

(٤) وقال حَجَل بن نَضْلَةَ القيْسىّ :

جاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَه   إنَّ بَنى عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاح [1]

* * *

(٥) وقال تعالى يخاطب مُنْكِرى وَحْدَانيَّتِه :

وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ .

(٦) الجهل ضار : (تقوله لمن يُنكر ضرر الجهل) .

---

(١) شقيق : هو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن ، وعارضاً رمحه : أى جاعلا رمحه ، وهو راكب ، على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح فى جهة العدو ، وذلك إدلالا بشجاعته واستخفافاً بمن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم .

البحث :

عرفنا فى الباب السابق أن المخاطَب إن كان خالىَ الذهن أُلْقِى إليه الخبر غير موكَّد ، وإن كان متردداً فى مضمون الخبر طالباً معرفته حَسُن توكيده له ، وإن كان منكراً وجب التوكيد ، وإلقاء الكلام على هذا النمط هو ما يقتضيه الظاهر . وقد توجد اعتبارات تدعو إلى مخالفة هذا الظاهر نشرحها فيما يأتى :

اُنظر إلى المثال الأول تجد المخاطب خالى الذهن من الحكم الخاص بالظالمين ، وكان مقتضى الظاهر على هذا أن يُلْقَى إليه الخبر غير مؤكدٍ ؛ ولكن الآية الشريفة جاءت بالتوكيد ، فما سبب خروجها عن مقتضى الظاهر ؟ السبب أن الله سبحانه لما نهى نوحاً عن مخاطبته فى شأن مخالفيه دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبهم ، فنزّل لذلك منزلة السائل المتردد أَحُكِمَ عليهم بالإغراق أم لا ؟ فأُجيب بقوله : « إنهم مغرقون » .

وكذلك الحال فى المثال الثانى ، فإن المخاطب خالى الذهن من الحكم الذى تضمنه قوله تعالى : « إن النفس لأَمارة بالسوءِ » غير أن هذا الحكم لما كان مسبوقاً بجملة أُخرى وهى قوله تعالى : « وما أُبرئُ نفسى » وهى تشير إلى أن النفس محكوم عليها بشىءٍ غير محبوب ، أصبح المخاطب مستشرفاً متطلعاً إلى نوع هذا الحكم ، فنُزِّل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد ، وأُلقِى إليه الخبر مؤكداً .

انظر إلى المثال الثالث تجد المخاطبين غير منكرين الحكمَ الذى تضمنه قوله تعالى : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ، فما السبب إذاً فى إلقاء الخبر إليهم موكداً ؟ السبب ظهور أمارات الإنكار عليهم ، فإن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعَدَّان من علامات الإنكار ، ومن أجل ذلك نُزِّلوا منزلةَ المنكرين وأُلقِى إليهم الخبر مؤكَّداً بمؤكَّدين.

وكذلك الحال فى قول حَجَل بن نَضْلة ، فإن شقيقاً لا ينكر رماح بنى عمه ، ولكن مجيئَه عارضاً رمحه من غير تهيؤ للقتال ولا استعدادٍ له ،

دليل على عدم اكتراثه ، وعلى أنه يعتقد أن بنى عمه عُزْلٌ لا سلاحَ معهم ، فلذلك أُنْزل منزلةَ المنكرين فأُكِّدَ له الخبر وخوطب خطاب المنكر ، فقيل له : « إن بنى عمك فيهم رماح » .

انظر إلى المثال الخامس تر أن الله سبحانه يخاطب المنكرين الذين يجحدون وحدانيته ، ولكنه ألقى إليهم الخبر خالياً من التوكيد كما يُلْقَى لغير المنكرين فقال : «وإلهكم إله واحد » فما وجه ذلك ؟ الوجه أن بين أيدى هولاء من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع ، ولذلك لم يُقِم الله لهذا الإنكار وزناً ولم يَعْتَدَّ به فى توجيه الخطاب إليهم .

وكذلك الحال فى المثال الأخير ، فإن لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لا رتدع عن إنكاره ، ولذلك أُلقى إليه الخبر خالياً من التوكيد .

القواعد :

(٣٤) إذَ أُلْقِىَ الْخَبَرُ خالِياً من التَّوْكِيدِ لِخَالى الذِّهْنِ ، ومُؤَكَّدًا اسْتِحْساناً للسائل المُتَرَدِّدِ ، ومُؤَكَّدًا وُجُوباً لِلْمُنْكِرِ ، كان ذلك الخبرُ جارياً عَلَى مُقْتَضى الظَّاهِرِ

(٣٥) وقد يَجْرِى الخَبَرُ عَلَى خلافِ ما يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ . لاعتبارات يَلْحَظها المتكَلِّمُ ومنْ ذلك ما يأتى :

(ا) أَنْ يُنَزَّلَ خالِى الذِّهْن مَنْزِلَةَ السائل المُتَرَدِّدِ إذَا تَقَدَّمَ فى الكلام ما يُشِيرُ إلى حُكْمِ الخَبَرِ .

(ب) أَنْ يُجْعلَ غَيْرُ الْمُنْكرِ كالْمُنْكِرِ لِظُهورِ أمارات الإنكارِ عَلَيْهِ .

(حـ) أَنْ يُجْعَلَ الْمُنْكِرُ كَغَيْرِ المنكرِ إِنْ كانَ لَدَيْهِ دَلائلُ وشَوَاهِدُ لَوْ تَـأَمَّلَها لارْتَدَعَ عَنْ إِنْكارِهِ .

نَمُوذَجٌ

بيِّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فيما يأتى :

(١) قال تعالى : «يأَيُّها الناسُ اتقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعةِ شَىْءٌ عَظِيم» .

(٢) إِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ لواجبٌ (تقوله لمن لا يطِيع والديه) .

(٣) إن الله لَمُطَّلِع على أَفعال العباد (تقوله لمن يظلم الناس بغير حق)

(٤) الله موجود (تقول ذلك لمن ينكر وجود الإله) .

الإجابة

(١) الظاهر فى المثال الأول يقتضى أن يُلقى الخبر خالياً من التوكيد ؛ لأَن المخاطَب خالى الذهن من الحكم ، ولكن لمَّا تقدم فى الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلعاً إليه ، فنزِّل منزلةَ السائل المتردد واستُحسن إلقاء الكلام إليه مؤكدًا جرياً على خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) مقتضى الظاهر أَن يُلقى الخبر غير موكد ، لأَن المخاطب هنا لاينكر أَن بر الوالدين واجب ولا يتردد فى ذلك ، ولكنَّ عصيانه أَمارة من أَمارات الإِنكار ؛ فلذلك نُزِّل منزلة المنكر .

(٣) الظاهر هنا يقتضى إِلقاء الخبر غير موكد أيضاً ، لأَن المخاطب لا يُنكرُ الحكم ولا يترددُ فيه ولكنه نزِّل منزلة المنكرِ ، وأُلقى إليه الخبرموكدًا لظهورأَمارات الإِنكارعليه ، وهىظلمه العبادَ بغيرحق.

(٤) الظاهر هنا يقتضى التوكيد ؛ لأَن المخاطب يَجْحَد وجود الله ، ولكن لمَّا كان بين يديه من الدلائل والشواهد ما لو تـأَمله لارتدع عن الإِنكار ، جعل كغير المنكر ، وأُلقى إليه خالياً من التوكيد جرياً على خلاف مقتضى الظاهر

تمرينات

(١)

بيِّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فى كل مثال من الأمثلة الآتية :

(١) قال تعالى : «وصَلِّ عَلَيْهِمْ إنّ صلاتَكَ سَكَنٌ لَهم» .

(٢) وقال : «قلْ هوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ» .

(٣) إنَّ الفرَاغ لَمَفْسَدَةٌ . (تقوله لمن يعرف ذلك ولكنه يَكره العمَل) .

(٤) العلم نافع . (تقول ذلك لمن ينكر فائدة العلوم) .

(٥) قال أبو الطيب :

تَرَفَّقْ أيُّها الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فإنَّ الرِّفْقَ بالجَانى عتاب[1]

(٢)

(١) هات مثالين يكون الخبر فى كل منهما مؤكدًا استحساناً ، وجارياً على خلاف مقتضى الظاهر واشرح السبب فى كل من المثالين .

(٢) هات مثالين يكون الخبر فى كل منهما موكدًا وجوباً وخارجاً عن مقتضى الظاهر ، واشرح وجه التوكيد فى كل من المثالين .

(٣) هات مثالين يكون الخبر فى كل منهما خالياً من التوكيد وخارجاً عن مقتضى الظاهر ، واشرح وجه الخروج فى كل من المثالين .

(٣)

اشرح قول عنترة وبيِّن وجه توكيد الخبر فيه :

لِلهِ دَرُّ بَنِى عبْسٍ لقَدْ نَسَلُوا ... مِنَ الأَكارِمِ ما قَدْ تَنْسِل العربُ[2]

---

(١) الرفق : ضد العنف ، والجانى : المذنب يقول : ترفق بهم وإن جنوا فإن الجانى إذا عومل بالرفق لان و رجع عن جنايته فكأن الرفق به بمنزلة العتاب .

(٢) نسلوا : ولدوا . ومعنى قوله : نسلوا من الأكارم ما قد تنسل العرب ، أنهم ولدوا من الأماجد ما يلده العرب العظماء .

الإنشاء

تقسيمُه إلى طلبى وغير طلبى

الأَمثلة :

(١) أَحِبَّ لِغَيْرِكَ ما تحِبُّ لِنفْسِكَ .

(٢) من كلام الحسَن رَضِىَ اللهُ عنه [١] :

لا تَطْلُبْ مِنَ الْجزَاءِ إلَّا بِقَدْرِ ما صَنَعْتَ .

(٣) وقال أَبو الطيب :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ عاتِباً
فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضاربا [٢]

(٤) وقال حسانُ بن ثابت :

يالَيْتَ شِعْرِى وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنى
ما كانَ بَينَ عَلِىٍّ وٱبْنِ عَفَّانَا !

(٥) وقال أَبو الطيب :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ
وِجْدَانُنَا كلَّ شَىْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ [٣]

* * *

(١) هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان سيداً حليماً يكره الفتن والسيف ، حتى إنه نزل لمعاوية عن الخلافة حباً فى جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين ، توفى سنة ٤٩ هـ .

(٢) أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع وهو منصوب على المدح ، ومضارب السيوف حدودها ، وجملة فداه الورى وما يتصل بها دعاء .

(٣) يقول : إذا فارقناكم ووجدنا كل شىء فوجدانه والعدم سواء ، لأنه لا يغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٦) وقال الصِّمَّة بنُ عَبْدِ الله [١] :

بِنَفْسِىَ تلْكَ الأَرْضُ ما أَطْيَبَ الرُّبَا!

ومَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ والمتَرَبَّعَا ! [٢]

(٧) وقال الجاحظ من كتاب :

أَمَّا بعدُ فَنِعْمَ البَدِيلُ من الزَّلَّةِ الاعتذارُ [٣] ، وبئْسَ العوَضُ من التَّوبةِ الإِصْرَارُ [٤]

(٨) وقال عبد الله بنُ طاهر :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكتَسَبُ الغنى

ولا باكْتِساب المال يُكتَسَبُ العَقْلُ

(٩) وقال ذو الرُّمَّة [٥] :

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِى شَجِىَّ البلابِل [٦]

---

(١) شاعر غزل مقل بدوى . وهو من شعراء الدولة الأموية ، وكان شريفاً ناسكاً عابداً

(٢) الربا : الأماكن العالية ، والمصطاف : منزل القوم فى الصيف ، والمتربع : منزلهم فى الربيع ، يقول : أفدى بنفسى تلك الأرض لطيب رباها وحسنها صيفاً و ربيعاً .

(٣) البديل : البدل ، والزلة : السقطة فى الكلام وغيره ، يقول : إن مقابلة الزلر بالاعتذار محمودة . (٤) الإصرار : عقد النية على البقاء على الذنب ، يعنى أنه يجب على المذنب أن يتوب من ذنبه وألا يصر على ارتكابه .

(٥) من شعراء الدولة الأموية ، وكان بليغ الكلام لسناً ، أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد ، وهو أحسن أهل الإسلام تشبيباً ، لكنه لم يحسن المدح ولا الهجاء توفى سنة ١١٧ هـ . (٦) الشجى : الحزين ، والبلابل : جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر . والمراد بشجى البلابل المحزون الذى امتلأ صدره هماً وحزناً .

(١٠) وقال آخر :

عَسَى سَائِلٌ ذُو حاجَة إنْ منَعْتَه
مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لهُ غَدُ[١]

البحث :

الأَمثلة المتقدمة جميعها إنشائية ، لأَنها لا تحتمل صدقاً ولاكذباً ، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين ؛ فأَمثلة الطائفة الأُولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب ، ولذلك يسمى الإِنشاء فيها طلبيًّا . أما أَمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء ، ولذلك يسمى الإِنشاء فيها غيرطلبيّ .

تدبر الإِنشاء الطلبي فى أَمثلة الطائفة الأُولى تجده تارة يكون بالأَمر كما فى المثال الأَول ، وتارة بالنهى كما فى المثال الثانى ، وتارة بالاستفهام كما فى المثال الثالث ، وتارة بالتمنى كما فى المثال الرابع ، وتارة بالنداء كما فى المثال الخامس ، وهذه هى أَنواع الإِنشاء الطلبيّ التى سنبحث عنها فى هذا الكتاب[٢] .

اُنظر إلى أَمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإِنشاء فيها كثيرة ، فقد يكون بصيغ التعجب كما فى المثال السادس ، أَو بصيغ المدح والذم كما فى المثال السابع أَو بالقسم كما فى المثال الثامن ، أَو بلعل وعسى وغيرهما من أَدوات الرجاء كما فى المثالين الأَخيرين ، وقد يكون بصيغ العقود كبعت واشتريت .

وأَنواع الإِنشاء غير الطلبيّ ليست من مباحث علم المعانى ، ولذلك نقتصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث .

---

(١) لا يليق أن تمنع سائلا أتاك وله حاجة ، فإنك إن منعته فى يومك الذى هو لك فقد يكون له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان . (٢) ويكون الإنشاء الطلبى أيضاً بالعرض والتحضيض والجمل الدعائية . ولكننا اقتصرنا على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية .

القاعدة :

(٣٦) الْإِنْشَاءُ نوعان طَلَبِيٌّ وغَيْرُ طَلَبِيٍّ :

(ا) فالطَّلَبِيُّ ما يَسْتَدْعى مَطْلوباً غَيرَ حاصل وقتَ الطلب ، ويكونُ بالأَمْرِ ، والنهْى ، والاستفهامِ ، والتمنى والنِّداءِ[1] .

(ب) وغَيْرُ الطَّلبى ما لا يَسْتَدْعى مطلوباً ، وله صيَغٌ كَثيرةٌ منها : التَّعَجُّب ، والمَدْحُ ، والذمُّ ، والقَسَمُ ، وأَفعالُ الرجاءِ ، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ .

نَمُوذَجٌ

لبيان نوع الإنشاء في كل مثال من الأَمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام :

لا تَسْقِنِى ماءَ المَلاَمِ فَإِنَّنِى   صَبٌّ قد استَعْذَبْتُ مَاءَ بُكائِى

(٢) ومما يؤثر :

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً ما عسى أَنْ يكون بغيضَكَ يَوْماً ما ، وأَبغِض بَغيضَكَ هوْناً ما عَسَى أَن يَكون حبِيبَكَ يَوْماً ما .

(٣) قال ابن الزيات يمدح الفضْلَ بنَ سَهْل[2] .

يَا ناصِرَ الدِّين إِذْ رثَّتْ حَبَائِلُه   لَأَنْتَ أَكرمُ مَن آوَى ومَنْ نَصرا

---

(١) قد تكون الجملة خبرية فى اللفظ وهى إنشائية فى المعنى ، وعلى ذلك تعد فى باب الإنشاء ، كقول المتنبى يخاطب عضد الدولة : « فدى لك من يقصر عن فداكا » وكقوله يدعو لسيف الدولة بالشفا من علة أصابته : « شفاك الذى يشفى بجودك خلقه » .

(٢) كان الفضل بن سهل وزيراً للمأمون وقد اشتهر ببلاغته وحسن كتابته وجمال خلاله وكان يلقب بذى الرياستين ، وقتل بسرخس سنة ٢٠٢ هـ .

(٤) لأُمَيَّةَ بن أَبى الصَّلْت[1] فى طلب حاجة .

أَأَذْكُرُ حَاجَتِى أَمْ قَدْ كَفانِى حَياؤك إِنَّ شِيمَتَكَ الحَياءُ

(٥) وقال زُهَيْرُ بن أَبى سُلْمَى[2] :

نِعْمَ امْرَأً هَرِمٌ لَمْ تَعْرُ نَائِبَةٌ إِلَّا وكانَ لِمُرتاعٍ بِها وَزَرَا[3]

(٦) قال امروٌّ القيس :

أَجارَتَنَــا إِنَّا غَرِيبان ها هُنا وكلٌّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

(٧) وقال آخر :

يَالَيْتَ مَنْ يَمْنَع المَعْرُوفَ يَمْنَعُهُ حَتى يَذوقَ رجَالٌ غِبَّ ما صَنَعُوا[4]

(٨) وقال أَبو نُوَاس يَستعْطفُ الأَمين :

وَحَيــاة رَاسِك لَا أَعوُ دُ لِمِثْلِهَا وَحَياة رَاسِك

(٩) قال دِعْبلٌ الخُزاعىّ :

مَا أَكْثرَ النَّاسَ ! لا ، بَلْ ماأَقَلَّهم! اللهُ يَعلَمُ أَنِّى لَمْ أَقُلْ فَنَدَا[5]

إِنِّى لأَفْتَحُ عَيْنِى حِينَ أَفتحُها على كَثِير ولَكن لا أَرَى أَحَدَا

---

(١) شاعر من شعراء الجاهلية ، قرأ كتب اليهود والنصارى وكان يمنى نفسه أن يكون النبى المبعوث من العرب ، ولما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الإسلام حسداً له ، وفى شعره كثير من الألفاظ السريانية ، ومات أول ظهور الإسلام . (٢) أحد الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية ، وهم زهير وامرؤ القيس والنابغة ، كان لا يعاظل فى كلامه ، وكان يتجنب وحشى الشعر ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ، وكان يضرب به المثل فى تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات ؛ لأنه كان يعمل القصيدة ثم يأخذ فى تنقيحها وعرضها على الشعراء فى سنة كاملة . (٣) تعر : تنزل ، والمرتاع : الخائف . الوزر : الملجأ . يمدح هرم ابن سنان بأنه ملجأ كل خائف وغياث كل ملهوف . (٤) الغب : العاقبة .

(٥) الفند بفتحتين : الكذب .

الجواب

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تَسقِنى ماءَ الملام	طلبى	النهى
٢	أَحبب حبيبك هوناً ما	»	الأمر
	عسى أَن يكون بغيضك يوماً ما	غير طلبىّ	الرجاء
	وأَبغض بغيضك هَوْناً ما	طلبىّ	الأَمر
	عسى أَن يكون إلخ	غير طلبى	الرجاء
٣	يا ناصر الدين إلخ	طلبى	النداء
٤	أأَذكر حاجتى	طلبى	الاستفهام
٥	نعم امرأ هرم	غير طلبى	المدح
٦	أَجارتنا	طلبى	النداء
٧	يا ليت من يمنع إلخ	طلبى	التمنى
٨	وحياة راسك	غير طلبى	القسم
٩	ما أَكثر الناس	»	التعجب
	ما أَقلهم	»	»

تمرينات

(١)

بين صيغ الإنشاء وأَنواعه وطرقه فيما يأْتى :

(١) قال أَبو الطيب يمدح نفسه :

ما أَبعدَ العَيْبَ والنقصَانَ عَن شَرَفى ! أَنَا الثريَّا وذَانِ الشيْبُ والهَرَمُ[1]

(١) يقول : إن العيب والنقصان بعيدان عن مثلى بعد الشيب والهرم عن الثريا ، فما دامت الثريا لا تشيب ولا تهرم فأنا لا يلحقنى عيب ولا نقصان .

(٢) وقال :

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صحّت الأَجْسَامُ بِالعِلَلِ

(٣) وقال :

فَيَا لَيْتَ مَابَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... مِنَ البُعْدِ ما بيني وَبَيْنَ المَصَائِبِ

(٤) وقال في مدح سيف الدولة :

ولَعَمْرِي لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايَا ... بالأَعادِي فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغلا ؟

(٥) وقال فيه أيضاً :

يَا مَنْ يُقتِّل مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتلاكَ بالإِحْسانِ[1]

(٦) وقال فيه أيضاً :

تَاللهِ مَاعَلِمَ امرؤٌ لَوْلاكُمُ ... كَيْفَ السَّخَاءُ وكيف ضَرْبُ الْهَامِ[2]

(٧) وقال أيضاً :

وَمَكايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ ... وعَـداوةُ الشُّعَرَاءِ بِئْسَ المُقْتَنَى

(٨) وقال أيضاً :

لُمِ اللَّيَالِي التي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي ... بِرِقَّةِ الْحَالِ واعْذِرْنِي ولا تَلُمِ[3]

(٩) وقال أيضاً :

بِئْسَ الليالي سَهِدتُ مِن طَرَبِ ... شَوْقاً إِلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا[4]

(٢)

(١) كوّن ثماني جمل إنشائية منها أَرْبَعٌ للإِنشاء الطلبيّ وأَربعٌ لغير الطلبيّ .

---

(١) أي أنت تقتل من شئت بسيفك ، ولكنك صيرتني قتيلا بإحسانك . أي بالغت في إحسانك إلى حتى عجزت عن شكرك فصرت كالقتيل . (٢) الهام : الرؤوس .

(٣) أخنى عليه : أهلكه ، والجدة : المال والغنى ، ورقة الحال كناية عن الفقر .

(٤) سهدت : سهرت ، والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة حزن أو سرور .

(٢) ايت بصيغتين للقسم ، وأُخريَيْن للمدح والذم ، ومثلهما للتعجب .

(٣) استعمل الكلمات الآتية فى جمل مفيدة ، ثم بيِّن نوع كل إنشاء :

لا الناهية . همزة الاستفهام . ليت . لعل . عسى .

حبذا . لا حبـذا . ما التعجبية . واو القسم . هل .

(٣)

بيِّن الإنشاء وأنواعه والخبر وأضربه فيما يأتى :

(١) لعمرُك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكنَّ أخلاق الرجال تضيقُ(١)

(٢) إذا لم تكن نفسُ النَّسِيب كأصله فماذا الذى تغنى كرامُ المناصب ؟(٢)

(٣) ليت الجبالَ تداعتْ عند مصرَعِه دكًّا فلم يبق من أركانها حجرُ

(٤) لئن حسُنت فيك المراثى وذِكْرُها لقد حسُنت من قبلُ فيك المدائح

(٥) لِلَّهْو آونة تمر كأنها قُبَلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحلُ(٣)

(٦) أخِلاىَ لو غَيْرُ الحِمَام أصابكم عَتَبْتُ ولكنْ ما عَلَى الدهر مَعتَبُ(٤)

(٧) إن المسـاءةَ للمسرة موعِدٌ أُختان رهنٌ للعشية أو غَدِ(٥)

فإذا سمعت بهالك فَتَيَقَّنَنْ أن السبيلَ سبيلهُ وتَزوَّدِ(٦)

(٨) وكلُّ شجاعة فى المرء تُغنِي وَلَا مِثْلَ الشجاعة فى حكيم(٧)

---

(١) يقول : إن أرض الله واسعة لم تضق بأحد ، وإنما تضيق أخلاق الرجال وصدورهم .

(٢) يقول : إذا لم تكن نفس الرجل الشريف مشابهة لأصله فى الشرف والكرم ، لم ينفعه انتسابه إلى أصل كريم ومحتد شريف . (٣) يقول : إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور ، كأنها القبل التى يزودها الحبيب الراحل ، فإن لذتها فى غاية القصر ثم تمر ولا يبقى منها إلا الذكرى . (٤) ينادى أصدقاءه الذين ماتوا ويقول : لو كان ما أصابكم غير الموت لعتبت عليه ولكن لا عتاب على الزمان ، لأنه إذا أخذ شيئاً لا يرده . (٥) يقول : إن المسرة لا تدوم فغايتها المساءة . (٦) يقول : إذا بلغك موت أحد فاعتبر به وتيقن أن سبيلك سبيله وتزود للآخرة بالعمل الصالح . (٧) يقول : إن الشجاعة كيفما كانت تدفع الهوان عن صاحبها ، ولكن الشجاعة فى الحكيم لا تقاس بها الشجاعة فى غيره ، لأنها حينئذ تكون مقرونة بالحزم فيكون صاحبها أبعد من الخيبة .

(٩) ذريني فإن البخل لا يُخْلِد الفَتَى ... ولا يُهْلِكُ المعروفُ من هو فاعلُهْ

(١٠) وكل امرئٍ يوماً سيركب كارهاً ... على النعش أعناق العِدَا والأَقارب

(١١) وما الجمعُ بينَ الماءِ والنار في يدى ... بأَصعبَ من أن أَجمع الجَدَّ والفهْما[1]

(١٢) يا ابنتى إن أَردتِ آية حسن ... وجمالاً يزين جسماً وعقلا

فانبُذِى عادة التبرج نبْذًا ... فجمالُ النفوس أَسْمى وأَعلَى

يصنع الصانعون وردًا ولكن ... وردةُ الروض لا تُضَارَع شكلا

(٤)

حوّل الأَخبار الآتية إلى جمل إنشائية واستوف أَنواع الإنشاء الطلبيّ التى تعرفها :

الروض مزهر — الطير مغرد — يتنافس الصناع

يَفيض النيل — نَشِطَ العامل — أَجاد الكاتب

(٥)

بيِّن نوع الإنشاء فى البيتين التاليين ، ثم انثرهما نثرًا فصيحاً :

يَـأَيُّهـا المُتَحَلِّى غَيْرَ شِيمَتِـهِ ... وَمِنْ شَمَائِلِه التَّبْدِيلُ والمَلَقُ[2]

ارْجِع إلى خُلْقِكَ المعْرُوفِ دَيْدَنُه ... إنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتى دونَهُ الْخُلُقُ[3]

---

(١) الجد : الحظ . يقول إن العاقل محروم فى هذه الحياة غالباً ، لأن حسن الحظ والذكاء لا يجتمعان حتى كما لا يجتمع الماء والنار .

(٢) الشيمة : الخلق . والشمائل : الأخلاق وهو جمع مفرده شمال ، والملق : الود واللطف الظاهران ومنه الرجل الملق وهو الذى يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه .

(٣) الديدن : الدأب والعادة . والتخلق : أن يتكلف الإنسان غير خلقه ، يقول : لا تتكلف ما ليس من خلقك ، لأنك إن فعلت غلبك طبعك . وانكشف للناس تصنعك .

الإنشاءُ الطلبيّ

(١) الأَمر

الأمثلة :

(١) من رسالة لعليٍّ رضى الله عنه بعث بها إلى ابن عباس وكان عاملًا بمكة : أما بعدُ فأَقِمْ لِلنَّاسِ الحجَّ وَذَكِّرْهُمْ بأَيام الله [١] ، واجْلِسْ لهُمُ العَصْرَيْنِ [٢] ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِىَ ، وَعَلِّمِ الجاهلَ ، وذَاكِرِ العالِمَ .

(٢) وقال تعالى ؛ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفوا بالْبَيتِ الْعَتيق .

(٣) وقال : عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .

(٤) وقال : وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً .

* * *

(٥) وقال أَبو الطيب فى مدح سيف الدولة :

كذَا فَلْيسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعادِى
وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ [٣]

(٦) وقال يخاطبه :

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عنِّى بكَبْتِهِمْ
فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِىَ حُسَّدَا [٤]

---

(١) يريد أيام الله التى عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم . (٢) يريد بالعصرين الغداة والعشى من باب التغليب . (٣) السرى : السير ليلا . (٤) كبته : أذله ، يقول أنت صيرتهم حاسدين لى بما أفضت على من نعمتك ، فاصرف شر حسدهم عنى بإذلالهم .

(٧) وقال امرؤُ القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [١]

(٨) وقال أيضاً

أَلَا أَيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلِ
بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ [٢]

(٩) وقال البحترى :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَبْخَلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَجُدْ
كفانِى نَدَاكُمْ عَنْ جَمِيعِ الْمَطالِبِ

(١٠) وقال أبو الطيب :

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنتَ كَرِيمٌ
بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وخَفْقِ الْبُنُود [٣]

(١١) وقال آخر :

أَرُونِى بَخيلًا طالَ عُمْرًا بِبُخْلِهِ
وَهَاتُوا كَرِيماً مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ

---

(١) قفا : أمر للاثنين بالوقوف ، الذكرى : التذكر ؛ وسقط اللوى والدخول وحومل : مواضع ؛ يقول لرفيقيه : قفا وأعينانى بالبكاء لتذكر حبيب فارقته ومنزل خرجت منه ، وهذا المنزل بين هذه المواضع . (٢) الانجلاء : الانكشاف ، والأمثل : الأفضل ، يقول : ليتك أيها الليل تنكشف وتنحى ظلامك عن عينى لأرى بياض الصبح ؛ ثم عاد فقال : وما الإصباح بأفضل منك عندى ، فإنى آقاسى من هموى نهاراً ما أقاسيه ليلا . (٣) خفق البنود : اضطرابها ، والبنود : جمع بند وهو العلم الكبير .

(١٢) وقال غيره :

إذَا لم تَخْشَ عاقِبَةَ الليالى ولَمْ تَسْتَحْىِ فاصْنَعْ مَاتشاءُ

(١٣) وقال تعالى :

وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ .

البحث :

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأُولى رأيت كلاًّ منها يشتمل على صيغة يُطْلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شىء لم يكن حاصلاً وقت الطلب ، ثم إذا أنعمت النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طُلِب الفعل منه ، وهذا هو الأمر الحقيقى وإذا تأملت صِيغَتَهُ رأيتها لا تخرج عن أربع : هى فعل الأمر كما فى المثال الأول ، والمضارع المقرون بلام الأمر كما فى المثال الثانى ، واسم فعل الأمر كما فى المثال الثالث . والمصدر النائب عن فعل الأمر كما فى المثال الرابع .

اُنظر إذًا إلى الطائفة الثانية تجد أن الأمر فى جميعها لم يستعمل فى معناه الحقيقى وهو طلب الفعل من الأَعلَى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام ، وإنما يدل على معانٍ أُخرى يُدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال .

فأبو الطيب فى المثال الخامس لا يريد تكليفاً ولا يقصد إلى إلزام . وإنما ينصح لمن ينافسون سيف الدولة ويرشدهم إلى الطريق المثلى فى طلب المجد وكسب الرفعة . فالأمر هنا للنصح والإرشاد لا للإيجاب والإلزام .

وصيغة الأمر فى المثال السادس لا يُراد بها معناها الأَصلىُّ ، لأن المتنبى يخاطب مليكه ، والمليك لا يأمره أحد من شعبه ، وإنما يراد بها الدعاء ، وكذلك كل صيغة للأمر يُخاطِبُ بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأناً .

وإذا تدبرت المثال السابع وجدت امرأ القيس يتخيَّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جرياً على عادة الشعراء ، إذ يتخيل أحدهم أن له رفيقين يصطحبانه فى غُدُوِّهِ ورَواحه ، فيوجه إليهما الخطاب ، ويُفضى إليهما بسره ومكنون صدره ، وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق لرفيقه أو من نِدٍّ لِنِدّه لم يُرَد بها الإيجاب والإلزام ، وإنما يراد بها محض الالتماس .

وامرو القيس أيضاً فى المثال الثامن لم يأْمر الليل ولم يكلفه شيئاً ؛ لأَن الليل لا يسمع ولا يطيع ، وإنما أرسل صيغة الأَمر وأَراد بها التمنى .

وإذا تدبرت الأَمثلة الباقية وتعرفت سياقها وأَحَطْتَ بما يَكْنُفُها من قرائن الأَحوال ، أدركت أَن صيغ الأَمر فيها لم تأْت للدلالة على المعنى الأَصلى ، وإنما جاءت لتفيد التخيير ، والتسوية ، والتعجيز ، والتهديد والإباحة على الترتيب .

القواعد :

(٣٧) الْأَمْرُ طَلَبُ الْفِعْلِ على وجْهِ الِاسْتِعْلاء .

(٣٨) لِلْأَمْرِ أَرْبَعُ صِيَغ : فِعْلُ الأَمْر ، والْمُضَارِعُ المقرونُ بلام الأَمْر واسمُ فِعْل الْأَمْر ، والمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْل الأَمْر .

(٣٩) قَدْ تَخْرُجُ صِيَغُ الأَمْرِ عَنْ مَعْناها الأَصْلِيِّ إلى مَعانٍ أُخْرَى تُسْتَفاد مِنْ سِياقِ الكلام ، كالإِرْشَادِ ، والدُّعاءِ ، والالْتِماسِ ، والتَّمَنِّى ، والتَّخْيِيرِ ، والتَّسْوِيَةِ ، والتَّعْجِيزِ ، والتَّهْدِيدِ ، والإِباحةِ .

نَمُوذَج

لبيان صيغ الأَمر وتعيين المراد من كل صيغة فيما يأْتى :

(١) قال تعالى خطاباً ليحيى عليه السلام : خُذِ الكِتَابَ بقُوَّةٍ .

(٢) وقال الأُرَّجانىّ :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نابَتْكَ نائِبَةٌ   يَوْماً وإِن كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المشورَاتِ

(٣) وقال أبو العتاهية :

واخفِضْ جَناحَكَ إن مُنِحْت إمَارَة   وارْغَبْ بِنَفسِكَ عَن رَدَى اللذات[١]

(٤) وقال أبو العلاء :

فيَامَوْتُ زُرْ إنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ   ويَا نَفْسُ جِدِّى إنَّ دَهْرَكِ هازِلُ[٢]

(٥) وقال آخر :

أَرِينى جَوَادًا مَاتَ هُزْلاً لَعلَّنى   أَرَى مَا تَرَيْن أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[٣]

(٦) قال خالد بن صَفْوَان[٤] ينصح ابنه :

دَعْ مِنْ أَعمَال السِّرّ ما لَا يَصْلحُ لكَ فى العلَانيَةِ .

(٧) وقال بشار بن بُرد :

فَعِشْ واحدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فإِنَّهُ   مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُه[٥]

(٨) وقال تعالى :

قُل تَمَتَّعُوا فإِن مَصِيرَكُمْ إِلى النَّار .

(٩) وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة :

أَخَا الجُود أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مالِكٌ   وَلاَ تُعْطِيَنَّ الناسَ مَا أَنا قائِلُ[٦]

(١٠) وقال قَطْرِىّ بن الفُجَاءَة[٧] يخاطب نفسه :

فَصَبْرًا فى مجالِ المْوْتِ صبرًا   فَما نَيْلُ الخُلودِ بِمُسْتَطاعِ

---

(١) المراد بخفض الجناح التواضع ، والردى : الهلاك . (٢) يفضل الموت على الحياة و يأمر نفسه أن تأخذ فى طريق الجد لأن الدهر غير جاد . (٣) الهزل بالضم و بالفتح : الضيق والفقر . (٤) كان من فصحاء العرب المشهورين ، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله معهما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أيسر أهلها مالا ، توفى سنة ١١٥ هـ (٥) مقارف الذنب : مرتكبه ، يقول : إذا أردت ألا يزل معك صديق فعش منفرداً وذلك مستحيل ، أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك وصلهم على ما بهم من عيوب . (٦) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعرى ، أى لا تحوجنى إلى مدح غيرك . (٧) هو أحد رءوس الخوارج ، فارس مذكور ، وشاعر إسلامى مشهور ، سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة .

الإجابة

الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد	الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد
١	خذ الكتاب	المعنى الحقيقى للأمر	٥	أرينى	التعجيز
٢	شاور سواك	الإرشاد	٦	دع من أعمال السر	الإرشاد
٣	واخفض جناحك	«	٧	فمش واحداً أو صل أخاك	التخيير
	وارغب بنفسك	«	٨	قل	المعنى الحقيقى للأمر
				تمتعوا	التهديد
٤	زر	التمنى	٩	أعط الناس	دعاء
	جدى	«	١٠	صبراً	المعنى الحقيقى للأمر

تمرينات

(١)

لم كانت صيغُ الأَمر فى الأَمثلة الآتية تفيد الإرشاد ، والالتماس ، والتعجيز ، والتمنى ، والدعاء على الترتيب :

(١) وكُنْ على حَذَرٍ للنَّاس تَسْتُرُه ... وَلاَ يَغُرُّكَ مِنْهُمْ ثَغْرٌ مُبْتَسِمِ

(٢) يَا خَلِيلَيَّ خَلِّيَانى وَمَا بِى ... أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبابِ

(٣) يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِوَاءِ تَكلَّمِى ... وعِمِى صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِى [1]

(٢)

لم كانت صيغ الأَمر فى الأَمثلة الآتية تفيد الدعاء ، والتعجيز ، والتسوية ، على الترتيب :

(١) اسْلَمْ يَزِيدُ فَما فِى الدِّين من أَوَدٍ ... إِذَا سَلِمْتَ وَمَا فِى المُلْكِ منْ خَللِ [2]

(٢) أَرِنِى الذى عَاشَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ ... مُتَغاضِباً لَكَ عَنْ أَقَلِّ عِثارِ

(٣) اِصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا .

---

(١) البيت لعنترة بن شداد ، وعبلة : اسم امرأة ، والجواء : واد فى ديار بنى عبس ، وعمى صباحاً : أنعمى ، يقول للدار : أخبرينى عن أهلك أنعم الله حالك وسلمك من البلى .

(٢) الأود : العوج ، والخلل : الفساد فى الأمر .

(٣)

بين صيغ الأمر وما يراد بها فيما يأتي :

(١) نَصَحَ أَحدُ الخلفاءِ عاملاً له فقال

تَمسَّكْ بِحَبْلِ القرْآنِ واسْتَنْصِحْه . وأحِلَّ حلالَه وحَرِّمْ حَرامَه

(٢) وقال حكيم لابنه :

يَا بُنَيَّ اسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شِرَارِ النَّاس . وكنْ مِنْ خِيارِهِمْ على حذَر .

(٣) يَا بُنَيَّ زَاحِمِ العلماءَ بِرُكْبَتَيكَ . وأَنْصِتْ إلَيهِمْ بِأُذُنَيْكَ . فإن القلبَ يحْيا بنور العلم كما تحْيَا الأَرْضُ المَيْتَةُ بمطر السماء .

(٤) وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة .

أَجِزْنِي إذَا أُنشِدْتَ شِعْرًا فإنما ... بشِعْرِي أَتَاكَ الْمادِحُون مُرَدَّدَا[1]

ودَعْ كلَّ صوتٍ غَيْرَ صَوْتِي فإنَّني ... أَنا الطائِرُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدى[2]

(٥) وقال البحترى :

فاسْلَمْ سَلَامةَ عِرْضِكَ المَوفُورِ مِنْ ... صرْفِ الحَوَادِثِ والزّمان الأَنْكَدِ

(٦) وقال أبو نواس :

فامْضِ لا تَمْنُنْ عَلَيَّ يدًا ... مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ[3]

(٧) وقال الصِّمة بن عبد الله :

قِفَا وَدِّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْد عِنْدَنا أَن يُودَّعَا[4]

---

(١) أجزني : كافئني ، يقول : إذا أنشدك الشاعر شعراً فاجعل جائزته لى لأن الذى أنشدته هو شعرى أتاك به المادحون يرددونه عليك ، والمعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى ويقتبسون ألفاظى ويمدحونك (٢) المعنى : لا يقال غير شعرى فإن شعرى هو الأصل وغيره حكاية له كالصدى الذى يحكى صوت الصائح . (٣) لا تمنن : لا تمنّ ، واليد : النعمة ، يقول : لا تمنّ على بما أسديت إلى من النعم فإن المنة تهدم الصنيعة . (٤) الحمى : موضع فيه ماء وكلأ يمنع الناس منه ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق ، يقول : يا خليلى قفا حتى تودعا نجداً ومن سكن حماه والتوديع قليل عندى على نجد فإنه جدير بأكثر من ذلك .

(٨) وقال تعالى:

يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ فانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُون إِلَّا بِسُلْطانٍ .

(٩) وقال أبو الطيب:

أَقِلَّ اشْتِيَاقاً أَيُّها القَلْبُ رُبَّما ... رأَيْتُكَ تُصْفِي الوُدَّ مَنْ لَيْسَ جازِيا[1]

(١٠) وقال مهيار الديلمى:

وعِشْ إمَّا قرينَ أخٍ وفيٍّ ... أمينِ الغَيْبِ أَوْ عَيْشَ الوِحَادِ

(١١) وقال المعرى:

أَبَنَاتِ الهَدِيلِ أَسْعِدْن أَوْ عِدْ ... نَ بِقَلِيلَ العزَاء بالإِسْعادِ[2]

إيهِ للهِ دَرُّكنَّ فأَنْتُـ ... نَّ اللَّواتِى تُحْسِنَّ حِفْظَ الْوِدَادِ[3]

(٤)

(١) هات أمثلة لصيغ الأمر الأربع ، بحيث يكون المعنى الحقيقى للأمر هو المراد فى كل صيغة .

(٢) هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التخيير .

(٣) » » » » » التهديد .

(٤) » » » » » التعجيز .

(٥)

العَبْ واهْجُر قراءةَ الدَّرْس .

قد يكون الأمر فى الجملتين السابقتين للتوبيخ . أو للإرشاد . أو للتهديد . فبين حال المخاطب فى كل حال من الأحوال الثلاث .

---

(١) أقل فعل أمر من الإقلال . وتصفى : تخلص . يقول لقلبه : لا تشتق إلى من فارقته فإنك تخلص الود لمن لا يجزيك عليه بود مثله

(٢) الهديل : الذكر من الحمام أو صوته أو هو اسم لفرخ من عهد نوح كما تزعم العرب .

(٣) إيه اسم فعل أمر . ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل .

(٦)

اِسْبَح فى البحر .

قد يكون الأَمر فى الجملة السابقة للدعاء ، أَو للالتماس ، أَو للتعجيز ، أَو للإرشاد ، فبين حال المخاطب فى كل من الأَحوال الأَربع .

(٧)

حول الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية أَمرية واستوف جميع صيغ الأَمر :

أَنت تبكر فى عملك . يخرج علىٌّ إلى الرِّياض . تَصْبر نفسى على الشدائد . يأْخذ البطل سيفَه . يثبت هشام فى مكانه . يترك محمد المُزَاحَ .

(٨)

اشرح ما يأْتى وبيِّن ما راعك من بلاغته وحسن تأْديته المعنى :

كان أَبو مسلم[1] يقول لقوَّاده أَشْعِرُوا قلوبَكم الجراءَةَ فإنها من أَسباب الظَّفَر ، وأَكْثِرُوا ذِكْرَ الضَّغَائِنِ فإنها تَبْعَثُ على الإقدام ، والزَموا الطائفة فإنها حِصْنُ المُحارِب .

(٢) النَّهْى

الأَمثلة :

(١) قال تعالى فى النهى عن أَخذ مال اليتيم بغير حق :

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالَّتى هِىَ أَحْسَنُ .

(٢) وقال فى النهى عن قَطْعِ الإِنْسَان رَحِمَه :

وَلَا يَأْتَل[2] أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى .

---

(١) هو عبد الرحمن بن مسلم القائم بالدعوة العباسية ، وأَحد كبار القادة ، كان فصيحاً فى العربية والفارسية ، عالماً بالأمور مقداماً داهية حازماً يروى الشعر ويقوله ، بلغ فى عمره القصير منزلة عظماء العالم ، وقد قتله المنصور لما رأى منه طمعاً فى الملك سنة ١٣٧ هـ .

(٢) يأتل : يحلف ، والسعة : الغنى

(٣) وقال فى النهى عن اتخاذ بطانة السوء .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا [١]

* * *

(٤) وقال مسلم بن الوليد فى الرشيد :

لا يَعْدَمَنْكَ حمَى الإِسْلَام مِنْ مَلِكٍ
أَقَمْتَ قُلَّتَه مِنْ بَعْدِ تأْوِيد [٢]

(٥) وقال أبو الطيب فى سيف الدولة :

فَلَا تُبْلغَاهُ ما أَقولُ فَإِنَّه
شُجاعٌ مَتى يُذْكَرْ لهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

(٦) وقال أبو نواس فى مدح الأمين :

يَا نَاقُ لا تَسْأَمِى أَوْ تَبْلُغِى مَلِكاً
تَقْبِيلُ رَاحتِهِ والرُّكْنِ سِيَّان [٣]
مَتَى تَحُطِّى إِلَيْهِ الرَّحْلَ سَالِمَةً
تَسْتَجْمِعِى الْخَلْقَ فى تِمْثَالِ إِنْسَانِ

(٧) وقال أبو العلاء :

وَلَا تجْلِسْ إلى أَهْلِ الدَّنَايَا فإِنَّ خَلَائقَ السُّفَهَاءِ تُعْدِى

---

(١) لا يألونكم خبالا : أى لا يقصرون فى إفساد شئونكم .
(٢) قلة كل شىء : أعلاه ، والتأويد : التعويج .
(٣) الراحة : الكف ، والركن : يريد به ركن الحطيم بالكعبة .

(٨) وقال أبو الأسود الدؤلى [١] :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُق وَتَأْتِىَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

(٩) وقال آخر :

لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَر مُتَشَبِّهاً   بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِه

(١٠) لا تَمْتَثِلْ أَمْرِى   (تقول ذلك لمن هو دونك)

(١١) قال أبو الطيب يهجو كافورًا :

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَامَعَهُ   إِنَّ العَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ [٢]

البحث :

إذا تأملتَ أمثلة الطائفة الأُولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغة يُطلب بها الكفُّ عن الفعل : وإذا أنعمت النظر رأيت طالبَ الكفِّ فيها أعظم وأعلى ممن طُلِبَ منه ، فإن الطالب فى أمثلة هذه الطائفة هو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم هُمْ عبادُه ؛ وهذا هو النهى الحقيقى ، وإذا تأملت صيغته فى كل مثال يرد عليك وجدتها واحدة لا تتغير ، وهى المضارع المقرون بلا الناهية .

انظر إذًا إلى الطائفة الثانية تجد أن النهى فى جميعها لم يستعمل فى معناه الحقيقى . وهو طلب الكف من أعلى لأدنى ، وإنما يدل على معانٍ أُخرى يدركها السامع من السِّياق وقرائن الأحوال .

فمسلم بن الوليد فى المثال الرابع لا يقصد من النهى إلَّا الدعاءَ للخليفة الرشيد بالبقاء لتأييد الإسلام وإعلاء كلمته .

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن ظالم من قبيلة الدئل ، كان شاعراً مجيداً وفقيهاً محدثاً وفارساً شجاعاً [illegible] صفين ، وهو أول من وضع النحو بإشارة على رضى الله عنه ، وتوفى سنة ٦٥ هـ .

(٢) مناكيد : جمع منكود وهو قليل الخير : أى أن العبد لا يصلح إلا بالضرب والإهانة .

وأبو الطيب فى المثال الخامس إنما يلتمس من صاحبيه أن يَكْتُما عن سيف الدولة ما سمعاه فى وصف شجاعته وفتكه بالأعداء وحُسْنِ بلائه فى الحروب ؛ لأنه شجاع والشجعان يشتاقون إلى الحروب متى ذُكرت لهم ، وهذا على ما جرت به عادة العرب فى شعرهم ؛ إذ يتخيل الشاعر أن له رفيقين يصطحبانه ويستمعان لإنشاده ، فيخاطبهما مخاطبة الأنداد ، وصيغة النهى متى وُجِّهَتْ من نِدٍّ إلى نِدِّه أفادت الالتماس .

وأبو نُوَاس فى المثال السادس إنما يتمنى أن تتحمل ناقته مشاقَّ السفر وألا يَنزِلَ بها السَّأَم حتى تَبلغ ديار الأمين ، فترى هناك كيف جمع الله العالَم فى صورة إنسان .

وأبو العلاء فى بيته إنما ينصح مخاطبه ويرشدُه إلى الابتعاد عن السفهاء وأهل الدنايا .

وأبو الأسود إنما يقصد توبيخ من ينهَى الناس عن السوء ولا ينْتَهِى عنه ؛ ويقصد الآخرون فى الأمثلة الثلاثة الباقية إلى التيئيس ، والتهديد ، والتحقير على الترتيب .

القواعد :

(٤٠) النَّهىُ طَلَبُ الكَفِّ عَنِ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْلَاءِ.

(٤١) لِلنَّهْيِ صِيغَةٌ واحِدَةٌ هِىَ الْمُضَارِعُ مَعَ لَا النَّاهِيَةِ .

(٤٢) قَدْ تَخْرُجُ صِيغَةُ النَّهْىِ عَنْ مَعْناها الحقيقىِّ إلى مَعان أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ السِّياقِ وقَرَائِنِ الأَحْوال ، كالدُّعاءِ ، والالْتِماس ، والتمنِّى ، والإرْشَادِ ، والتَّوْبيخ ، والتَّيْئيس ، والتَّهْدِيدِ ، والتَّحْقِير .

نَمُوذَجٌ

بيِّن صيغة النهى والمراد منها فى كل مثال من الأمثلة الآتية :

(١) قال تعالى : «وَلا تُفسِدُوا فى الأَرض بَعدَ إِصْلاَحِها » .

(٢) وقال أبو العلاء :

لا تَحْلِفَنَّ عَلَى صِدْقٍ وَلا كَذِبٍ　　فَما يُفِيدُكَ إلَّا المأْثَمَ الْحَلِفُ

(٣) وقال تعالى : « لا يسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيرًا مِنْهُم » .

(٤) وقال : « لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » .

(٥) وقال البحترى يخاطب المعْتَمِدَ عَلى اللهِ[1] :

لَا تَخْلُ مِنْ عَيْشٍ يَكُرُّ سرُوره　　أَبدًا وَنَوْرُوزٍ عَلَيْكَ مُعاد[2]

(٦) وقال الغَزِّى :

وَلَا تُثْقِلاَ جِيدِى بِمِنةِ جَاهِــلٍ　　أَرُوحُ بهَا مِثْلَ الْحَمَامِ مُطَوَّقَا

(٧) وقال آخر :

لا تطلُبِ المجدَ إن المجدَ سُلَّمهُ　　صَعْبٌ وَعِشْ مُسْترِيحاً نَاعِمَ الْبَالِ

(٨) وقالت الخنساء ترثى أخاها صخرًا[3] :

أَعَيْنَىَّ جُــودَا وَلاَ تَجْمُدَا　　أَلَا تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدَى[4]

(٩) قال خالدُ بن صَفْوَان :

لا تطلبوا الحاجاتِ فى غيرِ حِينِهَا ، ولا تطلبوها مِن غَيرِ أَهْلِها .

---

(١) هو الخليفة العباسى الخامس عشر ، بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ واشتهر بالحلم الواسع ، وتوفى سنة ٢٧٩ هـ .

(٢) النوروز : أول يوم من السنة الشمسية وهو من أعياد الفرس .

(٣) هو الشهم الكريم أخو الخنساء لأبيها ، وقد قتل قبل الإسلام بقليل فرثته أخته بقصائد غراء نالت من أجلها الصيت الذائع بين شعراء الجاهلية والمخضرمين .

(٤) لا تجمدا : أى لا تبخلا بالدموع .

الإجابة

الرقم	صيغة النهى	المعنى المراد	الرقم	صيغة النهى	المعنى المراد
١	ولا تُفسدوا	المعنى الحقيقى للنهى	٦	لا تثقلا	الالتماس
٢	لا تحلفن	الإرشاد	٧	لا تطلب	التحقير
٣	لا يسخر	التوبيخ	٨	لا تجمدا	التمنى
٤	لا تعتذروا	التيئيس	٩	لا تطلبوا	الإرشاد
٥	لاتخل	الدعاء		ولا تطلبوا	»

تمرينات

(١)

لِمَ كان النهى فيما يأتى للإرشاد ، والتمنى ، والتهديد ، والتحقير ، على الترتيب ؟

(١) لا يَخْدَعنكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تُرْحَم

(٢) لَا تُمْطِرِى أَيَّتُها السَّماءُ .

(٣) لَا تُقْلِع عن عِنادكَ (تقوله لمن هو دونك)

(٤) لَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ فيما تعب فيه الكرام .

(٢)

بيِّن صيغ النهى والمراد من كل صيغة فيما يأتى :

(١) قال أبو الطيب فى مدح سيف الدولة :

لا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِه إنَّ الكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

لاتَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُه لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرا

(٣) وقال الطغْرَائىّ [١] :

لَا تَطْمَحَن إلى الْمَراتِبِ قَبْلَ أَن تَتَكَامَلَ الأَدوات والأَسبابُ

(١) هو مؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطغرائى ، فاق أهل زمنه فى صنعة النظم والنثر ، وقد رمى بالإلحاد فقتل سنة ٥١٤ هـ

(٤) وقال الشريف الرَّضيّ :

لا تَـأْمَنَنَّ عَدُوًّا لَانَ جانِبُهُ ... خُشُونَةُ الصِّلِّ عُقْبَى ذَلِكَ اللِّين[١]

(٥) وقال أبو الطيب :

فَلَا تَنَلْكَ الليَالِى إنَّ أَيْدِيَها ... إذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرب[٢]

(٦) لَا تُلْهِيَنَّكَ عَنْ مَعَادِكَ لَذَّةٌ ... تَفْنَى وَتُورِثُ دَائِمَ الحَسَرات

(٧) لاتَحْسَبُوامَنْ قَتَلْتُمْ كانَ ذَارَمَق ... فَلَيْسَ تَـأْكُلُ إلَّا الْمَيْتَةَ الضَّبُعُ

(٨) قال أبو العلاء :

لَا تَطْوِيَا السِّرَّ عَنِّى يَوْمَ نائِبَةٍ ... فإنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغتَفَرِ

والخِلُّ كالْمَاءِ يُبْدِى لى ضمائِرَه ... مَع الصَّفَاءِ ويُخْفِيهَا مَعَ الكَدَرِ

(٩) وقال الله تعالى :

« وَلَا تَـأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » .

(١٠) قال أبو الطيب :

وَلَا تَشَكَّ إلى خَلْــقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شكْوَى الجَرِيح إلى الغِرْبانِ والرَّخَمِ[٣]

(١١) لا تطلبِ المجدَ واقنَع ... فَمَطْلَبُ المجدِ صَعْبُ

(٣)

(١) هات مثالين تفيدُ صيغةُ النهى فى كل منهما المعنى الأَصلى للنهى .

(٢) هات ثلاثة أَمثلة تكون صيغة النهى فى المثال الأَول منها مفيدة الدعاء ، وفى الثانى الالتماس ، وفى الثالث التمنِّى .

---

(١) الصل بالكسر : الحية التى لا تنفع منها الرقية .

(٢) تنلك : تصبك . والنبع : شجر صلب . والغرب : نبت ضعيف ، يقول : لا أصابتك الليالى بسوء فإنها تغلب القوى بالضعيف .

(٣) تشك مضارع من التشكى ، وشكوى مفعول مطلق ، الرخم : طائر ، يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بك من ضر لئلا تشمته بشكواك ، فيكون حالك كحال الجريح يشكو جراحه إلى الطيور التى ترقب موته لتأكله .

(٣) هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النَّهى فى أولها للإرشاد ، وفى الثانى للتيئيس ، وفى الثالث للتهديد .

(٤)

لا تُفَارِق فِراش نومك .

قد يكون النهى فى الجملة السابقة للإرشاد ، أو التهديد ، أو التوبيخ؛ فبين حال المخاطب فى كل حال من الأحوال الثلاث .

(٥)

حول الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية من باب النهى ، وعيِّن المراد من صيغة النهى فى كل جملة تأتى بها :

(١) أنت تعتمد على غيرك . (٥) أنتم تعتذرون اليوم .

(٢) أنت تطيع أمرى . (٦) أنت تؤاخذنى بكل هفوة .

(٣) أنت تكثر من عتاب الصديق . (٧) يحضرُ علىَّ مجلسنا .

(٤) أنت تنهى عن الشر وتفعله . (٨) يهمل القرويون تعليم أبنائهم .

(٦)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن المراد من صيغتى النهى فيهما :

فَلَا تُلْزِمنَّ النَّاس غَيْر طباعِهِمْ فَتَتْعَبَ مِنْ طُول العِتَابِ وَيَتْعَبُوا

وَلا تَغْتَرِرْ مِنْهُم بِحُسْنِ بَشَاشَةٍ فَأَكْثَرُ إِيمَاضِ الْبَوَارِق خُلَّبُ[1]

(١) إيماض البرق : لمعانه ، والبوارق جمع بارقة : وهى البرق ، والخلب : الذى ليس بعده مطر .

(٣) الإِسْتفهام وأَدواتُه

١ ـ الهمزة وهل

الأَمثلة :

ا
(١) أَأَنْتَ الْمُسَافِرُ أَمْ أَخُوكَ ؟
(٢) أَمُشْتَرٍ أَنْتَ أَمْ بَائِعٌ ؟
(٣) أَشَعِيراً زَرَعْتَ أَمْ قَمْحاً ؟
(٤) أَرَاكِباً جِئْتَ أَمْ مَاشِياً ؟
(٥) أَيَوْمَ الجمعةِ يَسْتَرِيحُ العُمَّالُ أَمْ يَوْمَ الأَحَدِ ؟

ب
(٦) أَيَصْدَأُ الذَّهَبُ ؟
(٧) أَيَسِيرُ الْغَمَامُ ؟
(٨) أَتتحركُ الأَرْضُ ؟

* * *

حـ
(٩) هَلْ يَعْقِلُ الحيوان ؟
(١٠) هَلْ يُحِسُّ النبات ؟
(١١) هَلْ يَنْمُو الْجَمَاد ؟

البحث :

الجمل السابقة جميعها تفيد الاستفهام ، وهو كما تعلم طلب العلم بشىءٍ لم يكن معلوماً من قبل ، وأداته فى أمثلة الطائفتين ا ، ب « الهمزة » ؛ وفى أمثلة الطائفة حـ « هل » . ونريد هنا أن نعرف الفرق بين الأَداتين فى المعنى والاستعمال .

تدبر أَمثال الطائفة « ا » حيث أَداة الاستفهام هى الهمزة ، تجد أن المتكلم فى كل منها يعرف النسبة التى تضمنها الكلام ، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أَحدهما ؛ لأَنه فى المثال الأَول مثلاً يَعْرِف أن السفر واقع فعلا وأنه منسوب إلى واحد من اثنين ، المخاطب أو أَخيه فهو لذلك

لا يطلب معرفة النسبة ، وإنما يطلب معرفة مفرد ، وينتظر من المسئول أن يعين له ذلك المفرد ويدله عليه ، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له : «أخى» مثلاً . وفى المثال الثانى يعلم السائل أن واحداً من شيئين : الشراء أو البيع قد نسب إلى المخاطب فعلاً ، ولكنه متردد بينهما فلا يدرى أهو الشراء أم البيع ، فهو إذًا لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له ، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه ، ولذا يجاب بالتعيين فيقال له فى الجواب : «بائع» مثلاً ، وهكذا يقال فى بقية أمثلة الطائفة «ا» .

وإذا تدبرت المفرد المسئول عنه فى أمثلة هذه الطائفة ، وكذلك فى كل مثال آخر يعرض لك ، وجدته دائماً يأتى بعد الهمزة مباشرة سواء أكان مسندًا إليه كما فى المثال الأول ، أم مسندًا كما فى الثانى أم مفعولاً به كما فى الثالث ، أم حالًا كما فى الرابع ، أم ظرفاً كما فى الخامس ، أم غير ذلك ، ووجدت له معادلًا يذكر بعد «أم» كما ترى فى الأمثلة . وقد يحذف هذا المعادل فتقول : أأنت المسافر ؟ أمشتر أنت ؟ وهلم جرًّا .

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «ب» حيث أداة الاستفهام هى الهمزة أيضاً تجد الحال على خلاف ما كانت فى أمثلة الطائفة «ا» ، فإن المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها ، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها ، ففى المثال السادس مثلاً يتردد المتكلم بين ثبوت الصدإ للذهب ونفيه عنه ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة ، ويكون جوابه بنعم إن أريد الإثبات ، و بلا إن أريد النفى ، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسئول عنه وهو النسبة معادلًا .

ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين فتارة يطلب بها معرفة مفرد . وتارة يطلب بها معرفة نسبة ، وتسمى معرفة المفرد **تصوراً** ومعرفة النسبة **تصديقاً**.

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «حـ» حيث أداة الاستفهام «هل» تجد أن

المتكلم فى كل منها لا يتردد فى معرفة مفرد من المفردات ، ولكنه متردد فى معرفة النسبة فلا يدرى أمثبتة هى أم منفية فهو يسأل عنها ، ولذلك يجاب بنعم إن أُريد الإثبات ، وبلا إن أُريد النفى ، ولو أنك تتبعت جميع الأَمثلة التى يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غيرُ ، « فهل » إذًا لا تكون إلا لطلب التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل .

القواعد :

(٤٣) الاِسْتِفْهَامُ طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُوماً مِنْ قَبْلُ ، ولهُ أَدَوَاتٌ كثِيرَةٌ مِنْها الْهَمْزَةُ وهَلْ .

(٤٤) يُطْلَبُ بالْهَمْزَةِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ :

(ا) التَّصَوُّرُ وهُوَ إِدْرَاكُ الْمُفْرَدِ ، وفى هٰذِهِ الحَالِ تَأْتِى الهمْزَةُ مَتْلُوَّةً بالْمَسْئُولِ عَنْهُ ويُذْكَرُ لهُ فى الغَالِب مُعَادِلٌ بَعْدَ أَمْ .

(ب) التَّصْدِيقُ وهُوَ إِدْرَاكُ النِّسْبَةِ ، وفى هٰذِه الحال يَمْتَنِعُ ذِكْرُ الْمُعَادِل[1] .

(٤٥) يُطْلَبُ بِهَل التَّصْدِيقُ لَيْسَ غَيْرُ ، وَيَمتَنِعُ مَعَهَا ذِكْرُ الْمُعَادل[2] .

---

(١) إن جاءت « أم » بعد همزة التصور تكون « متصلة » وإن جاءت بعد همزة التصديق، أو هل قدرت « منقطعة » وتكون بمعنى « بل » .

(٢) هل ، قسمان : بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشيء أو عدمه ، نحو : هل الإنسان الكامل موجود ؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شيء لشيء ، نحو : هل النبات حساس ؟

(ب) بَقيَّة أَدواتِ الاِسْتِفْهَام

الأَمثلة :

(١) مَن اختَطَّ القَاهِرَةَ ؟ (٣) مَا الْكَرَى ؟
(٢) مَنْ حَفَرَ تُرْعَةَ السُّوَيْسِ ؟ (٤) مَا الْإِسْرَافُ ؟

* * * * * *

(٥) مَتَى تَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَر ؟ (٧) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟
(٦) مَتَى يَعُودُ الْمُسَافِرُونَ ؟ (٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟

البحث :

الجمل المتقدمة جميعها استفهامية ، وإذا تأملت معانى أدوات الاستفهام هنا رأيت أن « مَن » يطلب بها تعيينُ العقلاء ، وأن « ما » تكون لغير العقلاء ، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت : ما الكَرَى ؟ فتجاب بأنه النوم ، وتارة يطلب بها حقيقة المسمى ، كما إذا قلت : ما الإسراف ؟ فتجاب بأنه تجاوز الحد فى النفقة وغيرها ، ووجدت أن « متى » يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلاً ، « وأيان » للزمان المستقبل خاصة وتكون فى موضع التفخيم والتهويل .

وهناك أدوات أُخرى للاستفهام هى : كيف ، وأين ، وأنَّى ، وكم ، وأى ، « فكيف » يطلب بها تعيين الحال نحو : كيف جئتم ؟ و « أين » يطلب بها تعيين المكان نحو : أين دِجلة والفرات ؟ و « أنَّى » تكون بمعنى كيف نحو : أنى تسود العشيرة وأبناؤها متخاذلون ؟ وبمعنى من أين نحو : أنى لهم هذا المال وقد كانوا فقراء ؟ وبمعنى متى نحو : أنى يحضر الغائبون ؟ و « كم » يطلب بها تعيين العدد نحو : كم جنديًّا فى الكتيبة ؟ وأما « أىٌّ » فيطلب بها تعيين أحد المتشاركَيْن فى أمر يعمهما ؟ نحو : أى

الأخوين أكبر سناً ؟ وتقع على الزمان ، والمكان ، والحال ، والعاقل ، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه . وجميع هذه الأدوات تأتى للتصور ليس غير ، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه .

القواعد :

(٤٦) لِلاِسْتِفْهَام أَدَوَاتٌ أُخْرَى غَيْرُ الهمزة وهَلْ ، وهى :

مَنْ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيينُ الْعُقَلاَء .

ما « « شَرْحُ الاسمِ أَوْ حَقِيقَةُ المسمَّى .

مَتَى « « تَعْيينُ الزَّمَانِ مَاضياً كانَ أَوْ مُسْتَقْبَلا .

أَيَّان « « « « الْمُسْتَقْبَلِ خاصَّةً وتكونُ فى مَوْضعِ التَّهْويل .

كَيْفَ وَيُطلَبُ بها تَعْيينُ الحال .

أَيْنَ « « « المكان .

أَنَّى وتَأْتى لِمَعَان عِدَّة ، فتكونُ بمعْنَى كَيْفَ ، وبمعنى مِنْ أَيْنَ ، وبمعنى مَتى .

كمْ ويُطَلبُ بِها تَعْيينُ العَدَدِ .

أَىْ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيينُ أَحَدِ الْمُتَشاركين فى أَمْر يَعُمُّهمَا ، ويُسْأَلُ بها عَن الزَّمَان والْحَالِ والعَدَدِ والعَاقل وغَيْر العَاقِل عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إليْهِ .

(٤٧) جَمِيعُ الأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمةِ يُطلَبُ بها التصوُّرُ ، ولِذلك يكونُ الجوابُ مَعَهَا بتَعْيين الْمَسْئُول عَنْهُ .

(ح) الْمَعَانِى الَّتِى تُسْتَفَادُ مِنَ الِاستفهام بالْقَرَائن .

الأَمثلة :

(١) قال البُحْترِىّ :

هَل الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ وانْجلاَؤُهَا　　وشِيكاً وإلاَّ ضِيقَةٌ وانفِراجُها ؟[١]

(٢) وقال أَبو الطيب فى المديح :

أَتلْتَمِسُ الأَعْداءُ بَعْدَ الَّذِى رأَتْ　　قِيامَ دَليلٍ أَوْ وُضُوحَ بيان ؟[٢]

(٣) وقال البحترى :

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وأَزْكا　　هُم عُودًا . وأَمْضَاهُمْ حُسَامًا ؟[٣]

(٤) وقال آخر :

إلامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلاما ؟　　وهَذِى الضَّجَّةُ الكُبْرَى عَلامَا ؟

(٥) وقال أَبو الطيب فى الرثاء :

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ والسُّرَى　　فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّراً لا يَطْلُعُ[٤]

ومَن اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً　　ضَاعُوا ومِثْلُكَ لايَكادُ يُضَيِّعُ

(٦) وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يأْتى مِثْلكَ الكَرَم؟　　أَيْنَ المَحَاجِمُ ياكافُورُ وَالجَلَمُ[٥]

---

(١) الغمرة : الشدة ، وانجلاؤها : زوالها ، ووشيكاً : سريعاً .

(٢) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعد ما رأوا الأدلة على ذلك .

(٣) أزكاهم عوداً : أقواهم جسماً .

(٤) المحافل : المجامع ، والجحافل : الجيوش ، والسرى : مشى الليل ، ويريد به الزحف على الأعداء .

(٥) المحاجم : جمع محجمة وهى القارورة يحجم بها الجلد ، ويقال لها كأس الحجامة ، الجلم : أحد شقى المقراض والمراد به المشراط . قيل إن كافوراً كان عبداً لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد .

(٧) وقال أيضاً :

حَتّامَ نَحْنُ نُسَارِى النَّجْمَ فى الظُلَم ؟ ومَا سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ[1]

(٨) وقال أيضاً وقد أصابته الحمَّى :

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصلْتِ أَنْتِ من الزِّحَامِ[2]

(٩) وقال تعالى : « سَواءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِين » .

(١٠) وقال تعالى : « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ؟ »

(١١) وقال تعالى: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ من عَذَابٍ أَليم ؟ »

البحث :

عرفت فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية . وهنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معانٍ أُخرى تستفاد من السياق .

تدبر الأَمثلة المتقدمة تجد البحترى فى المثال الأَول لا يسأَل عن شىء ، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلَّا شدة سرعان ما تنجلى ، وما هو إلا ضيق يعقبه فرج ، فلفظة هل فى كلامه إنما جاءت للنفى لا لطلب العلم بشىءٍ كان مجهولًا .

وأَبو الطيب فى المثال الثانى إنما ينكر على الأَعداء ارتيابهم فى عُلا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله له من النصر واختصه به من الجدِّ السعيد ، بعد أَن رأَوا كيف يتردَّى فى المهالك كل من أَراد به شرًّا ، وكيف يُصيب الزمان كل من نوى له سوءًا ، فالاستفهام فى البيت لا يفيد معنى سوى الإِنكار .

---

(١) نسارى : من السرى وهو مشى الليل ، يقول : حتى متى نسرى مع النجم فى الليل ، وهو لا يسرى على خف كالإبل ولا على قدم كالناس ، فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا .

(٢) يريد ببنت الدهر : الحمى التى أصيب بها ، وبنات الدهر : شدائده ومصائبه . يقول للحمى : عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامهم من الوصول إلى .

والبحترى فى المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه له من الفوق على بقية الخلفاء فى الجود وبسطة الجسم والشجاعة ، وليس من قصده أن يسأل ، فالاستفهام فى كلامه للتقرير .

والشاعر فى المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم فى الشقاق واستمرارهم فى التخاذل والتنافر . ويقرّعهم على غلوهم فى الصخَب والضجيج ، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلى إلى التوبيخ والتقريع .

وأبو الطيب فى المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإظهار ما كان للمَرْثى أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم ، مع ما فى ذلك من إظهار التحسر والتفجع . أما فى المثال السادس حيث يهجو كافوراً فإنه ينتقصه ويعمِد إلى تحقيره والحط من كرامته .

وإذا تدبرت بقية الأمثلة وجدت أدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأصلية إلى الاستبطاء ، والتعجب ، والتسوية ، والتمنى ، والتشويق ، على الترتيب .

القاعدة :

(٣٨) قَدْ تَخْرُجُ أَلْفاظُ الاِسْتِفْهامِ عَنْ مَعَانِيها الأَصْلِيَّةِ لِمَعَانٍ أُخْرَى تُسْتفَادُ مِنْ سِياقِ الكَلامِ كالنَّفْى . والإِنْكارِ ، والتَّقْرِير ، والتَّوْبِيخِ ، والتَّعْظِيمِ ، والتَّحْقِير ، والاِسْتِبْطاء ، والتَّعَجُّبِ ، والتَّسْوِية ، والتَّمَنِّى ، والتَّشْوِيق .

نَمُوذَجٌ (١)

(١) شَبَّ فى المدينةِ حريق لم تره ، فسل صديقك عن رويته إيَّاه.

(٢) سَمِعْتَ أن أحد أخويك عليٍّ ونجيب أنقذ غريقاً . فسل عليًّا يعين لك المنقذ .

(٣) إذا كنت تعرف أن البنفسج يكثر فى أحد الفصلين الخريف أو الشتاء لا على التعيين ، فَضَع سؤالاً تطلب فيه تعيين أحد الفصلين .

الإجابة

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
١	هل رأيت الحريق الذى شب فى المدينة ؟	السؤال هنا عن النسبة وهل والهمزة صالحتان للاستفهام عنها فتذكر إحداهما ويؤتى بعدها بالجملة .
٢	أأنت الذى أنقذت الغريق أم نجيب ؟	السؤال هنا عن المسند إليه فيستفهم بالهمزة ويؤتى بعدها بالمسئول عنه ثم يؤتى بمعادل بعد أم .
٣	أفى الخريف يكثر البنفسج أم فى الشتاء؟	السؤال عن الظرف ويتبع فى تكوينه ما اتبع فى المثال السابق

نموذج (٢)

لبيان الأغراض التى يدل عليها الاستفهام فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام فى المديح :

هَلْ اجْتَمَعَتْ أَحْيَاءُ عَدْنان كلُّها بِمُلتَحَمٍ إلّا وَأَنْتَ أَمِيرُها[١]

(٢) وقال البُحْتُرى :

أَأَكْفُرُكَ النَّعْماءَ عِنْدِى وَقَدْ نَمَتْ عَلَىَّ نُمُوَّ الْفَجْرِ والْفَجْرُ سَاطِعُ ؟

وَأَنْتَ الَّذِى أَعْزَزْتَنى بَعْدَ ذِلَّتِى فلاَ القَوْلُ مَخْفوض ولاَ الطرف خاشع ؟[٢]

(٣) وقال ابن الرومى فى المدح :

أَلَسْتَ المَرْءَ يَجْبِى كلَّ حَمْدٍ إذَا ما لَمْ يَكُنْ لِلْحَمْدِ جَابِ ؟[٣]

(٤) وقال أبو تمام :

ما لِلْخُطُوبِ طَغَتْ عَلَىَّ كَأَنَّها جَهلَتْ بِأَنَّ نَدَاكَ بِالمِرْصَادِ ؟

(١) أحياء عدنان : بطونها ؛ الملتحم : مكان اشتداد القتال . (٢) القول المخفوض : ما كان ليناً ليست فيه شدة ، والطرف الخاشع : العين فيها انكسار وذلة . (٣) يجبى : يجمع .

(٥) وقال آخر :

فَدَعِ الوَعِيدَ فَما وَعيدكَ ضَائِرى أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضِيرُ ؟[١]

(٦) أَضَاعُونى وأَىَّ فَتًى أَضاعُوا ؟ لِيَوْمِ كرِيهَةٍ وسداد ثَغْر[٢]

الإجابة

الرقم	صيغة الأستفهام	الغرض	الشرح
(١)	هل اجتمعت أحياء عدنان	النفى	لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع فى مكان قتال إلا وأنت أمير عليها .
(٢)	أأكفرك النعماءَ عندى	الإنكار	فإن البحترى يريد أن يقول لممدوحه إنه لا يليق بى أن أكفر نعماءَك وقد غمرتنى بها غمراً ، وبدلتنى بالذل عزاً ، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلواً .
(٣)	ألست المرءَ يجبى كل حمد	التقرير	لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له .
(٤)	ما للخطوب طغَت علىّ	التعجب	فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه فى حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه بنداه وعطاياه ، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نداك بالمرصاد .
(٥)	أطنين أجنحـــة الذباب يضير	التحقير	لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب .
(٦)	أضاعونى وأى فتى أضاعوا	التعظيم	لأن المتكلم يريد أن يرفع من شأن نفسه ويبين أنه عماد العشيرة فى أوقات الحروب والشدائد .

(١) الطنين : صوت أجنحة الذباب ، ويضير : يضر . (٢) الكريهة : الشدة فى الحرب ، والثغر : موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان ، ويريد بسداده سده بالخيل والرجال .

تمرينات

(١)

(١) وَعَدَكَ صديق أن يزورك فى الغد ، فشككتَ فى أنه يزورك قبل الظهر أو بعده ، فضع سؤالاً تطلب به تعيين الوقت .

(٢) علمتَ أن واحدًا من عَمَّيْكَ حَامِدٍ ومحمودٍ قد اشترى بيتاً ، فضع سؤالاً تطلب به تعيين المشترى .

(٣) إذا كنتَ شاكًّا فى أن القصب يزرع فى الربيع أو فى الصيف ، فكيف تصوغ السؤال الذى تطلب به من المخاطب تعيين الزمان ؟

(٤) سل صديقك عن ميله إلى الأسفار .

(٢)

سل عن : الحال ، والمفعول به ، والظرف ، والمبتدأ ، والخبر ، والجار والمجرور ، فى الجمل الآتية :

نظم القصيدة متأثرًا ـ اشترى قلماً ـ كتب الرسالة ليلاً ـ علىّ الفائز ـ مصر خِصْبةٌ ـ الكتاب فى البيت .

(٣)

سل عما يأتى :

(ا) أول الخلفاء الراشدين .
(ب) أطول شارع فى المدينة .
(ح) حال مصر أيام المماليك .
(د) الزمن الذى ينضج فيه العنب .
(هـ) عدد المدارس العالية فى مصر
(و) موطن الفيلة
(ز) حقيقة الصدق
(ح) معنى الصَّمم

(٤)

(١) لِمَ كان الاستفهام فى الأَمثلة الآتية مفيداً النفى ، والإنكار ، والتعظيم ، على الترتيب ؟ :

(ا) هل الدَّهْرُ إلَّا ساعةٌ ثم تَنقضى ... بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفْضِ ؟[١]

(ب) قال تعالى : « أَغَيْرَ اللهِ تَدعُونَ » .

(حـ) مَنْ منكم الملكُ المُطَاعُ كأَنَّه ... تحت السوابغ تُبَّعٌ فى حِمْيَرَ ؟[٢]

(٢) لِمَ كان الاستفهام فى الأَمثلة الآتية مفيدًا التقريرَ ، والتعجب ، والتمنى على الترتيب ؟ :

(ا) قال تعالى : « أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيدًا ؟ »

(ب) قالت إحدى نساء العرب تشكو ابنها :

أَنْشَا يُمزق أَثوابى يُؤَدِّبنى ... أَبَعْدَ شَيْبِىَ يَبْغِى عِنْدِىَ الأَدَبا ؟

(حـ) وقال أَبو العتاهية فى مدح الأَمين :

تَذَكَّرْ أَمينَ اللهِ حَقِى وحُرْمَتى ... وما كُنْتَ تُولِينى لَعَلَّكَ تَذكُرُ

فَمَنْ لِى بالعيْنِ التى كنتَ مرَّةً ... إلَىَّ بها فى سالف الدهر تَنْظُرُ ؟

(٥)

ماذا يُرادُ بالاستفهام فى الأَمثلة الآتية ؟ :

(١) قال المتنبى :

وَمَنْ لَمْ يَعْشِقِ الدُّنْيَا قَدِيماً ؟ ... ولٰكِن لا سبِيل إلى الوِصالِ[٣]

---

(١) البلاء : الهم والغم ، والخفض : النعيم والدعة .

(٢) البيت لابن هانئ الأندلسى ، والسوابغ : الدروع ، تبع : ملك اليمن ، وحمير موضع أو قبيلة غربى صنعاء ؛ يخاطب الجيش ويقول : أيها الجنود من منكم الملك الذى له من القوة والسلطان ما لتبع .

(٣) الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها ، ولكن لم يتمتع حد بهذا البقاء لأنها لاتد وم لأحد .

(٢) وقال :

وَلَسْتُ أُبالِي بَعْدَ إِدْرَاكِي العُلا ... أَكَانَ تُراثاً مَاتَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَا؟[١]

(٣) وقال :

وهل تغْنِى الرَّسائلُ فى عَدُوٍّ ... إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُباً رقاقا[٢]؟

(٤) وقال حينما صَرع بدرُ بن عمّار أسدًا :

أَمُعَفِّرَ الليثِ الهِزبْرِ بسَوطهِ ... لمنِ ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا[٣]؟

(٥) وقال أبو تمام :

أَوَلَيس هُجْرَ القولِ مَنْ لو هَجَوْتُهُ ... إِذًا لَهجَانِى عنْه مَعْرُوفُهُ عِندِى؟

(٦) وكيْفَ أَخافُ الفقْرَ أَو أُحْرَمُ الغنى ... ورَأْىُ أَميرِ المُؤْمِنينَ جميلُ ؟

(٧) ما أَنْتِ يا دُنْيَا أَرُؤْيا نَائِمٍ ... أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ أَمْ بِساطُ سُلَاف[٤]؟

(٨) وَقال أبو الطيب :

ومَا لَكَ تُعْنَى بالأَسِنَّةِ والقنَا ؟ ... وجَدُّك طعَّان بِغَيْرِ سِنانِ[٥]

(٩) هلْ بِالطُّلولِ لِسَائلٍ رَدُّ ؟ ... أَمْ هَلْ لَها بِتَكَلُّمٍ عَهْدُ؟

(١٠) حَتى مَتَى أَنْتَ فِى لَهْوٍ وفِى لَعِبٍ ؟ ... والمَوْتُ نَحْوَكَ يَهْوِى فاتِحاً فاهُ

(١١) وقال أبو الطيب :

يَفنَى الكَلامُ ولا يُحِيطُ بفَضْلِكُم ... أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِما لَا يَنْفَدُ ؟

(١٢) وقال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بإِذْنِهِ ؟ »

---

(١) التراث : الإرث ، يقول : إذا استوليت على معالى الأمور فما أبالى أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب ، وقد كان الوجه أن يقول : أتراثاً كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه كما تقدم لك ولكنه لما ذكر المعادل تعين المسئول عنه .

(٢) الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف . أى أن العدو لا يشتفى منه إلا بالقتل .

(٣) عفره : مرغه فى التراب ، والليث : الأسد ، والهزبر : الشديد ، والصارم : السيف القاطع ؛ يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان بأساً ، فلمن أعددت سيفك ؟

(٤) العرس : طعام الوليمة ، والسلاف : الخمر .

(٥) تعنى بصيغة المجهول أى تعتنى ، والجد : الحظ ، يقول : مالك تعتنى بادخار الأسلحة وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٦) جردت البلاد : جعلتها قاحلة جرداء .

(١٣) وقال أبو الطيب :

أَيَدْرِى الرَّبْعُ أَىَّ دَمٍ أَراقَا ؟ وأَىَّ قلوب هذا الرَّكب شَاقَا[١] ؟

(١٤) وقال المتنبي فى سيف الدولة يَعُودُه من دُمَّل كان فيه :

وكيف تُعِلك الدنيا بشىءٍ ؟ وأنت لِعِـلة الدنيا طبيبُ

وكيف تَنُوبُكَ الشكوى بِداءٍ ؟ وأَنْتَ الْمُسْتغاث لما يَنُوبُ

(١٥) وقال أبو العلاء المعرى :

أَتَظُنُّ أنك للمعالى كاسِبٌ ؟ وَخَبِىُّ أَمْرِكَ شِرَّةٌ وشَنَارُ[٢]

(٦)

(١) استعمل كل أداة من أدوات الاستفهام فى جملتين مفيدتين وأجب عن كل سؤال تأتى به ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى.

(٢) استعمل همزة الاستفهام فى ست جمل بحيث تكون فى الثلاث الأولى منها لطلب التصور ، وفى الثلاث الأخيرة لطلب التصديق ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى .

(٣) كون ثلاث جمل استفهامية تامة ، أداة الاستفهام فى كل منها « هل » ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى .

(٤) هات ثلاث جمل أداة الاستفهام فى كل منها « أنى » واستوف المعانى التى عرفتها لهذه الأداة ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى .

(٧)

(١) كون ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام فى الأولى على التسوية ، وفى الثانية على النفى ، وفى الثالثة على الإنكار .

---

(١) الربع : الدار ، وأراق : سفك ، والركب : جماعة الركبان . يذكر مروره بربع الأحبة ويقول : أيدرى هذا الربع ما فعل من إراقة دمى ، وما هيج فى قلبى من الشوق بذكر الأحبة .

(٢) الشرة بالكسر : الشر والحدة والحرص ، والشنار بالفتح : أقبح العيب .

(٢) هات ثلاث جمل استفهامية : يدل الاستفهام فى الأولى منها على التعظيم ، وفى الثانية على التحقير ، وفى الثالثة على التوبيخ .

(٣) مثِّل للاستفهام الخارج عن معناه الأَصلى للتعجب ، ثم للتمنى ثم للاستبطاء .

(٨)

اشرح البيتين الآتيين وبين أغراض الاستفهام فيهما ، وهما يُنسبان لأعرابى يمدح الفضلَ بن يحيى البَرْمَكى :

ولائمةٍ لامتْك يا فضلُ فى النَّدى ‏ ‏ ‏ فقلت لها هل أثَّر اللوم فى البحر؟
أَتنْهَيْنَ فضلاً عن عطاياهُ للورَى؟ ‏ ‏ ‏ ومن ذا الذى ينْهى الغمام عن القَطر؟

(٤) التّمَنى

(١) قال ابن الرومى فى شهر رمضان :

فليت الليلَ فيه كان شهرًا ‏ ‏ ‏ ومرّ نهارُه مَرَّ السحاب

(٢) وقال تعالى : « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا » .

(٣) وقال جرير :

وَلَّى الشبابُ حميدةً أَيامُه ‏ ‏ ‏ لو كان ذلك يُشْتَرَى أَو يَرْجِعُ

(٤) وقال آخر :

أَسِربَ القَطا هل من يُعير جَناحه ‏ ‏ ‏ لَعَلى إلى من قد هَويتُ أَطيرُ[1]؟

(٥) وقال تعالى : « يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ » .

---

(١) السرب : الجماعة ، والقطا : نوع من الطير يشبه الحمام ، وهويت : أحببت .

البحث :

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبى . وإذا تأملت المطلوب فى كل مثال وجدته أمرًا محبوباً لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً كما فى الأمثلة الأربعة الأولى ، وإما لكونه ممكناً غير مطموع فى نيله كما فى المثال الأخير ، ويسمى هذا الضرب من الإنشاء **بالتمنى** .

والأدوات التى أفادت التمنى فى الأمثلة المتقدمة هى : ليت ، وهل ، ولو ، ولعلّ : غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع ، أما الثلاث الأخرى فإنها اسْتُعْمِلت فيه للطائف بلاغيّة .

هذا وإذا كان المطلوب المحبوب ممكناً مطموعاً فى حصوله كان طلبه ترجِّياً ، ويعبر فيه بلعل وعسى ، وقد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما فى قول أبى الطيب :

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِى وبَينَ أَحِبَّتِى ... مِنَ البُعْدِ مَا بَيْنِى وبَينَ المَصَائبِ

القواعد :

(٤٩) التَّمَنِّى طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ لَا يُرْجَى حُصُولُه ، إمَّا لِكَوْنِه مُسْتَحِيلاً ، وإمَّا لكونه مُمْكِناً غَيْرَ مَطْمُوعٍ فى نَيْلِهِ .

(٥٠) واللَّفْظُ الْمَوْضُوع للتَّمَنِّى لَيْتَ ، وقد يُتَمَنَّى بِهَلْ ، وَلَوْ ، وَلَعلَّ ، لِغَرَض بَلَاغىّ[١] .

(٥١) إذَا كَانَ الْأَمْرُ الْمَحْبُوبُ ممَّا يُرْجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ تَرَجِّياً ، ويُعَبَّرُ فيه بِلَعَلَّ أَوْ عَسَى ، وقد تُسْتَعْمَلُ فيه لَيْتَ لغَرَض بلاغى[٢] .

---

(١) الغرض فى هل ولعل ، هو إبراز المعنى فى صورة الممكن القريب الحصول ؛ لكمال العناية به والتشوق إليه ، والغرض فى لو الإشعار بعزة المتمنى وندرته ؛ لأن المتكلم يبرزه فى صورة الممنوع ، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

(٢) الغرض هو إبراز المرجو فى صورة المستحيل مبالغة فى بعد نيله .

نَمُوذَجٌ

لبيان ما فى الأَمثلة الآتية من تمنٍّ أَو ترجٍّ ، وتعيين الأَداة فى كل مثال :

(١) قال صَريعُ الغواني :

واهــاً لأَيّامِ الصِّبــا وزمانِه لَوْ كانَ أَسْعَفَ بالمُقَامِ قليلا[1]

(٢) وقال أَبو الطيب :

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كانَ عَدْلًا فحمَّــلَ كلَّ قَلْبٍ ما أَطَاقَا

(٣) وقال تعالى : « فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ؟ »

الإجابة

الرقم	المعنى المراد	الأَداة	البيان
١	التمنى	لو	لأَن المطلوب هنا ممكن غير مطموع فى حصوله.
٢	الترجى	ليت	» » » » مطموع فى حصوله .
٣	التمنى	هل	» » » » غير مطموع فى حصوله .

تمرينات

(١)

بيّن ما فى الأَمثلة الآتية من تمنٍ أَو ترجٍ ، وبين السر فى استعمال ما جاءَ من الأَدوات على غير وَضْعِهِ الأَصلىّ :

(١) قال مَرْوَانُ بنُ أَبى حَفصَة فى رثاءِ مَعْنِ بن زائدة :

فليْتَ الشــامِتِينَ بهِ فَدَوْهُ وَلَيْتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالَا[2]

(٢) وقال أَبو الطيب فى رثاءِ أُخت سيف الدولة :

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَينِ غائبــةٌ وليت غائبةَ الشمسين لم تَغِبِ[3]

---

(١) واها : كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشيء ، فمعنى واهاً لأيام الصبا ما أطيبها !

(٢) الشامتين به : الفرحين بموته ، وفدوه : جعلوا فداء له . (٣) جعل المرثية وشمس النهار شمسين ، يقول : ليت الطالعة من هاتين الشمسين وهى شمس النهار غائبة ، وليت الغائبة منهما وهى المرثية لم تغب . يريد أنها كانت أعم نفعاً من الشمس فليتها بقيت وفقدنا الشمس .

(٣) وقال آخر :

علَّ الليالى الَّتى أَضْنَتْ بِفرقتِنا جِسْمى سَتَجْمَعُنى يَوْماً وتَجْمَعُهُ[١]

(٤) قال الله تعالى : «ياهامان ابنِ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَبلُغُ الأَسْبابَ أَسْباب السَّمٰوات » .

(٥) وقال تعالى : « فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكونَ مِنَ المُؤْمِنينَ[٢] » .

(٦) وقال الشاعر :

أَيَا مَنْزِلَىْ سَلْمَى سَلامٌ عَلَيْكُما هَلِ الأَزمنُ اللَّاتى مَضَينَ رَوَاجِعُ

(٧) وقال :

لَيْتَ الملوك على الأَقْدَارِ مُعْطِيَةٌ فلمْ يَكنْ لِدَنِىءٍ عندها طَمَعٌ[٣]

(٨) وقال فى المديح :

لَيْتَ المَدَائحَ تَسْتَوْفِى مَناقِبَهُ فما كُليبٌ وأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ؟

(٢)

(١) هات مثالين لكل أداة تفيد التمنى .

(٢) هات مثالين للترجى ، واستعمل فى الأول لعل وفى الثانى عسى .

(٣) هات مثالين للترجى ، واستعمل فى كل منهما « ليت » وبين السببَ البلاغى فى اختيار هذه الأَداة .

(٣)

اُنثُر البيتين الآتيين نثرًا فصيحًا وهما للمتنبى فى مدح كافور :

لَحَى الله ذِى الدنْيا مُناخاً لراكب فكل بَعِيدِ الهمِّ فيها مُعَذَّبُ[٤]

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَقولُ قَصِيدَةً فلا أَشْتكِى فيها ولا أَتعَتَّبُ[٥]

---

(١) أضننت جسمى : أمرضته . (٢) كرة : أى رجوعاً إلى الدنيا .

(٣) أى ليتهم يعطون الشعراء على قدر فضلهم ونبل أنفسهم فلا يطمع فى عطائهم خسيس .

(٤) لحى الله ذى الدنيا : أى قبحها ولعنها ، والمناخ : المنزل وهو تمييز ، يذم الدنيا و يقول : إنها دار شقاء وإن كل عظيم الهمة فيها معذب .

(٥) ليت شعرى : أى ليتنى أعلم .

(٥) النداء

الأَمثلة :

(١) كتبَ أَبو الطيب إلى الوالى وهو فى الاِعتقال :

أَمَالِكَ رِقِّى ومنْ شَأْنُهُ هبَاتُ اللُّجَيْن وَعِتْقُ الْعَبيد[1]

دَعَوْتُكَ عنْدَانْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ منِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدْ[2]

(٢) وقال أَبو نُواس :

يارَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِى كثْرَةً فَلَقَدْعَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

(٣) وقال الفرزدق يفتخر بآبائه ويهجو جريراً :

أُولٰئِكَ آبائِى فَجِئْنِى بمثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا ياجَرِيرُ الْمَجَامِعُ

(٤) وقال آخر :

أَيا جامِعَ الدُّنْيَا لِغيْرِ بَلاغَةٍ لِمنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَاوَأَنْتَ تَمُوتُ ؟

البحث :

إذا أَردنا إقبال أَحد علينا دعوناه بذكر اسمه أَو صفة من صفاته بعد حرف نائب مناب أَدعو ، ويسمى هذا **بالنداء** .

وأَدوات النداء هى : الهمزة ، وأَىْ ، ويا ، وآ ، وآى ، وأَيَا ، وهَيَا ، ووا .

والأَصل فى نداء القريب أَن ينادى بالهمزة أَو أَى ، وفى نداء البعيد أَن ينادى بغيرهما من بقية الأَدوات ، غير أَن هناك أَسباباً بلاغيَّة تدعو إلى مخالفة هذا الأَصل ، وسنشرح لك هذه الأَسباب فيما يأْتى :

تأَمل المثال الأَول تجد المنادى فيه بعيداً ، ولكنَّ أَبا الطيب ناداه

---

(١) الرق : العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ، والعتق : التحرير .

(٢) حبل الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب .

بالهمزة الموضوعة للقريب ، فما السبب البلاغى هنا ؟ السبب أن أبا الطيب أراد أن يبيّن أن المنادَى على الرغم من بعده فى المكان ، قريب من قلبه مستحضر فى ذهنه لا يغيب عن باله ، فكأنه حاضر معه فى مكان واحد . وهذه لطيفة بلاغيّة تسوغ استعمال الهمزة وأىْ فى نداء البعيد .

انظر إلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى فى كل منها قريباً ، ولكن المتكلم استعْمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد فما سبب هذا ؟

السبب أن المنادى فى المثال الثانى جليل القدر خطير الشأن فكأن بُعد درجته فى العِظم بعدٌ فى المسافة ، ولذلك اختار المتكلم فى ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع . وأما فى المثال الثالث فلأن المخاطب فى اعتقاد المتكلم وضيع الشأن صغير القدر فكأن بُعدَ درجته فى الانحطاط بعدٌ فى المسافة . وأما فى المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم فى مكان واحد .

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلى وهو طلب الإقبال إلى معان أخرى تستفاد من القرائن ، ومن هذه المعانى ما يأتى :

(١) الزجر كقوله :

يا قَلبُ وَيْحَكَ ما سَمِعْتَ لنَاصِحٍ لَمَّا ارْتَمَيْتَ ولا اتَّقَيْتَ مَلامَا

(٢) التحسر والتوجع نحو قوله :

أيا قبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودهُ وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعا

(٣) الإغراء كقولك لمن أقبل يتظلم : يا مظلوم تكلم .

القواعد :

(٥٢) النداءُ طَلَبُ الإقبال بحَرْفٍ نَائِب مَنَابَ أَدْعُو .

(٥٣) أَدَوَاتُ النِّدَاءِ ثَمَانٍ : الْهَمْزَةُ ، وأَىْ ، ويَا ، وآ ، وآى وأَيا ، وَهيَا ، واوا .

(٥٤) الهمزةُ وأَىْ لِنِداءِ الْقَرِيبِ ، وغَيْرُهُما لِنِدَاءِ البَعِيدِ .

(٥٥) قَدْ يُنَزَّل الْبَعِيدُ مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ فَيُنادَى بالْهَمْزَةِ وأَىْ : إشَارَةً إِلَى قُرْبِهِ مِنَ القَلْبِ وحُضُورِهِ فِى الذِّهْن .
وقَدْ يُنزَّل الْقَرِيبُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ فَيُنادَى بِغَير الْهَمْزَةِ وأَىْ ، إشَارةً إِلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِه ، أَوِ انْحِطاطِ مَنْزِلَتِهِ ، أَوْ غَفْلَتِهِ وشُرُودِ ذِهنِهِ .

(٥٦) يَخْرُجُ النِّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِىِّ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفادُ مِنَ القَرائن . كالزَّجْرِ والتَّحَسُّرِ والإِغْرَاء .

نَمُوذَجٌ

لبيان أدوات النداء فى الأمثلة الآتية ، وما جرى منها على أصل وضعه فى نداء القريب أو البعيد ، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب :

(١) أبُنَىّ إنَّ أَباك كارِبُ يَوْمِهِ ... فإذَا دُعِيتَ إِلَى المَكارِمِ فَاعْجلِ[1]

(٢) يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كلِّها ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتكَى والمَفْزَعُ

(٣) قال أبو العتاهية :

أَيَا مَنْ عاش فِى الدُّنْيَا طوِيلًا ... وأَفْنَى العُمْرَ فى قِيلٍ وقَالِ
وأَتعبَ نَفْسَــهُ فيما سَيَفْنَى ... وجَمَّعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلالِ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْــوًا ... أَلَيسَ مَصِيرُ ذلكَ لِلزَّوَالِ ؟

(٤) وقال سَوَار بن المُضَرَّب[2] :

يَا أَيُّها القَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ ... أَوْ يُحْدِثَنْ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ نِسْيَانَا

(١) كارب يومه : أى مقارب يومه الذى يموت فيه .
(٢) شاعر إسلامى كان مع قطرى بن الفجاءة ، وهو من بنى سعد تميم .

(٥) وكتب والد لولده ينصحه :

أَحُسَينُ إنّي وَاعِظٌ ومُؤَدِّبُ   فَافْهمْ فإن العاقِلَ المُتأَدِّبُ

الإجابة

(١) الأداة «الهمزة» وقد استعملت فى نداء القريب جرياً على الأصل .

(٢) الأداة «يا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأصل ، إشارة إلى علو مرتبة المنادَى وارتفاع شأنه .

(٣) الأداة «أيا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأصل ، إشارة إلى غفلة المخاطب .

(٤) الأداة «يا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأصل ، إشارة إلى أن المنادَى غافل لاه فكأنه غير قريب .

(٥) الأداة «الهمزة» وقد نُودى بها البعيد على خلاف الأصل ، إشارة إلى أن المنادَى حاضر فى الذهن لا يغيب عن البال فكأنه حاضرُ الجثمان.

تمرينات

(١)

بيِّن أدوات النداء فى الأمثلة الآتية ، وما جرى منها على أصل وضعه فى نداء القريب أو البعيد ، وما خرج منها عن ذلك مع بيان الأسباب البلاغيَّة فى الخروج :

(١) قال أبو الطيب :

يَاصائِدَ الجَحْفَلِ المَرْهُوبِ جانِبُهُ   إنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدانا[١]

(٢) أَيَارَبِّ قَدْ أَحْسنتَ عودًا وبَدْأَةً   إلىَّ فلم يَنْهَضْ بإحْسَانكَ الشكْرُ

(٣) أَسُكانَ نَعْمانِ الأَرَاكِ تيَقَّنُوا   بِأَنكُم فى رَبْع قَلْبِىَ سُكانُ[٢]

---

(١) الجحفل : الجيش الكبير ، والليوث : الأسود ، وأحدانا : جمع واحد وأصله وحدانا ، يقول : أنت أشد بطشاً من الأسد ، لأن الأسد يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته .

(٢) نعمان الأراك : موضع فى بلاد العرب ، والربع : المنزل .

(٤) قال تعالى يَحْكِي قول فِرْعَونَ لموسى عليه السلام :

«إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا » .

(٥) قال أبو العتاهية :

أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الحَياةِ وطــولُ الحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرْ

إِذَا ما كَبِرْت وبانَ الشَّبَـــابُ فَلاَ خَيْرَ فِى العَيْشِ بَعْدَ الكِبَر

(٦) وقال أبو الطيب فى مدح كافور من قصيدة أنشده إياها :

يا رَجاءَ العُيُون فِى كلِّ أَرْض لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَراكَ رَجائى

(٧) أَى بُنَىَّ ، أَعد عَلَىَّ ما سمعتَ منى .

(٨) أمحمدُ ، لا ترفع صوتك حتى لا يسمعَ حديثَنا أحد .

(٩) أيا هذا ، تنبه فالمكاره مُحْدِقة بك .

(١٠) يا هذا لا تتكلَّمْ حتى يُؤْذَنَ لك .

(٢)

ناد مَن يأتى ، مستعملاً أدوات النداء استعمالاً جارياً على خلاف الأصل من حيث قرب المنادَى وبُعْدُه ، وبين العلل البلاغيَّة فى هذا الاستعمال :

(١) غائباً تحنّ إلى لقائه . (٣) منصرفاً عن عمله تدعوه إلى الجِدّ .

(٢) سفيهاً تنهاه عن التعرض للكرام . (٤) عظيماً تخاطبه وترجوه أن يساعدك .

(٣)

ماذا يراد بالنداء فى الأمثلة الآتية :

(١) أَعَدَّاءُ ما للعَيشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ولَا لِخَلِيل بَهْجَةٌ بخَليلِ[1]

(٢) يا شجاع أَقْدِمْ (تقوله لمن يتردد فى منازلة العدو) .

(١) الهمزة للنداء ، وعداء منادى ، والبهجة : السرور ، يقول : ياعداء، ذهبت بعدك لذة العيش ولم يبق لخليل بخليله سرور .

(٣) دعَوْتُكَ يا بُنَىَّ فَلَمْ تُجِبْنِى فَرُدت دَعْوتى يأساً عَليًّا

(٤) باللهِ قُلْ لِى يَا فُلَا نُ وَلِى أَقُولُ ولِى أُسَائِلْ
أَتُرِيد فى السَّبْعِينَ مَا قد كنْتَ فى العشرين فَاعِلْ

(٥) يَا دَارَ عَاتِكَة حُيِّيت مِنْ دَار سَيَّرْتُ فِيكِ وفيمَن فيكِ أَشْعَارى

(٤)

(١) هات مثالين للهمزة المستعملة فى نداء البعيد ، وبين السبب فى خروجها عن أصل وضعها فى كل من هذين المثالين .

(٢) هات مثالين للمنادَى القريب المنزَّل منزلة البعيد لعلو مكانته .

(٣) « « « « « « لانحطاط منزلته .

(٤) « « « « « « لغفلته وشرود ذهنه .

(٥) مثل للنداء المستعمل فى التحسر والزجر والإغراء .

(٥)

انثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحاً وهما لأَبى الطيب ، وبين الغرض من النداء :

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إلَّا فى مُعَامَلَتِى فِيكَ الخِصَامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أُعيذُها نَظَرَاتٍ مِنْكَ صادِقَةً أنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمن شحْمُهُ ورَمُ

الْقَصْرُ

تعريفه – طُرُقه – طَرَفاه

الأَمثلة :

(١) لَا يَفُوزُ إِلَّا الْمُجِدُّ . (٤) ما الأَرض ثابتةٌ بل متحركةٌ .

(٢) إنما الحياةُ تَعَبٌ . (٥) ما الأَرض ثابتة لكن متحركة .

(٣) اَلْأَرْضُ مُتَحَرِّكَةٌ لا ثابتةٌ . (٦) عَلَى الرِّجَال العاملين نُثْنِى .

البحث :

إذا تأَملتَ الأَمثلة السابقة رأَيت أَن كل مثال منها يتضمن تخصيص أَمر بآخر ، فالمثال الأَولُ يفيد تخصيص الفَوْزِ بالمُجِدِّ ، بمعنى أَن الفوز خاصٌّ بالمُجِدِّ لا يتعداه إلى سواه . والمثال الثانى يُفيد تخصيص الحياة بالتَّعَب ، بمعنى أَن الحياة وَقْفٌ على التعب لا تفارقه إلى الراحة . وهكذا يقال فى بقية الأَمثلة .

وإذا أَردت أَن تعرف منشأَ هذا التخصيص فى الكلام ، كفاك أَن نبحث فى الأَمثلة قليلاً . خذ المثال الأَول مثلاً واحذف منه أَداتى النفى والاستثناء ، تجد أَن التخصيص قد زال منه وكأَنه لم يكن . إذًا النفىُ والاستثناءُ هما وسيلة التخصيص فيه ، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أَن تدرك أَن وسائل التخصيص فى الأَمثلة الباقية هى : إنما ، والعطف بلا ، أَو بل ، أَو لكن ، وتقديمُ ما حقه التأْخير . ويُسمِّى علماءُ المعانى التخصيص المستفاد من هذه الوسائل **بالقصر** ، ويسمون الوسائل نَفْسَها **طرق القصر** .

ارجع إلى الأَمثلة مرة أُخرى وابحث فيها واحدًا واحدًا : تجد المتكلمَ فى المثال الأَول يَقْصُر الفوزَ على المُجدّ ، فالفوز مقصور ، والمُجدُّ مقصور عليه ، وهما **طرفا القصر** ولما كان الفوز صفة من الصفات والمُجِدُّ هو الموصوف بهذه الصفة ، كان القصر فى هذا المثال **قصر صفة على**

موصوف، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر، وتراه فى المثال الثانى بقْصُر الحياة على التعب ، فالحياة مقصورة ، والتعب مقصور عليه ، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها ، كان القصر فى المثال **قصر موصوف على صفة**، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة ، ولو أنك تدبرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا وما لم يذكر ، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور ومقصور عليه ؛ ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين ، فهو إما قصر صفة على موصوف ، وإما قصر موصوف على صفة .

وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهل عليك معرفة كل من المقصور والمقصور عليه فى كل ما يرد عليك ، فانظر إلى القواعد الآتية تجدذلك مفصَّلاً .

القواعد :

(٥٧) الْقَصْرُ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ .

(٥٨) طُرُقُ الْقَصْرِ الْمَشْهُورَةُ أَرْبَع[١] :

(ا) النَّفْىُ والاِسْتِثْناء ، وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُور عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْناء .

(ب) إنّما ، وَيَكُونُ الْمقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤَخَّرا وُجُوباً .

(حـ) الْعَطْفُ بـلا ، أَوْ بَلْ ، أَوْ لَكنْ ، فإنْ كان العطفُ بلَا كانَ المقصورُ عليه مقابلاً لما بعدها ، وإن كان العطف ببَلْ أَوْ لكنْ كان الْمقصورُ عَلَيْهِ ما بَعْدَهُما .

---

(١) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع : منها ضمير الفصل نحو : على هو الشجاع ، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو : أكرمت محمداً وحده ، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية

(د) تقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ . وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُوَ الْمُقدَّمَ .

(٥٩) لِكلِّ قَصْر طَرَفانِ : مَقْصُور ، ومَقْصُورٌ عَلَيْهِ .

(٦٠) يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتِبارِ طَرَفَيْهِ قِسْمينِ :

(ا) قَصْرُ صِفَة عَلَى مَوْصُوف .

(ب) قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَة .

تقسيم القَصْر إلى حقيقى وإضافى

الأَمثلة :

(١) لايُروِى مِصْرَمِنَ الْأَنهارِ إلَّا النِّيلُ. (٣)لَاجَوَادَإلَّا عَلى.

(٢) إنَّما الرَّازق اللهُ . (٤) إنَّما حَسَنٌ شُجَاعٌ .

البحث :

قدَّمنا لك أَن القصر ينقسم بحسب طَرَفَيه إلى قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة ، وهنا نريد أن نبين لك أنه ينقسم تقسيماً آخر باعتبار الحقيقة والواقع

تأَمل المثالين الأَولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف ، وإذا تدبرت الصفة فى كل من المثالين وجدت أنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً ، فإرواءُ الأَرض المصرية فى المثال الأَول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أنهار الدنيا ، والرزقُ فى المثال الثانى صفة لا تتعدى المولى عز وجل إلى سواه . ويُسَمَّى القصر فى هذين المثالين قصراً حقيقياً . وكذلك كل قصر يختص فيه المقصورُ بالمقصور

عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً .

أُنظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر فى أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف ، وفى ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة ، وإذا تدبرت المقصور فى كل منهما وجدته مختصًّا بالمقصور عليه بالإضافة (أى بالنسبة) إلى شىء معين ، لا إلى جميع ما عداه ، فإن المتكلم فى المثال الأول يَقْصِد أن يقصر صفة الجود على علىٍّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلاً ، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد فى غير علىٍّ من جميع أفراد الإنسان ، فإن الواقع خلاف ذلك . وكذلك الحال فى المثال الثانى ، ولذلك يُسمى القصر فى المثالين **قصراً إضافياً** ، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شىء آخر .

القاعدة :

(٦٢) يَنْقَسِمُ القَصْرُ باعْتِبار الْحَقِيقَةِ والْواقِعِ قِسْمَيْن :

(ا) حَقِيقِىٌّ [1] وهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بِالْمَقْصُور عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ والْوَاقِعِ بِأَلَّا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ أَصْلًا .

(ب) إِضَافِى [2] وهُوَ مَا كَانَ الاخْتِصَاصُ فِيهِ بِحَسَبِ الإِضَافَةِ إِلَى شَىْءٍ مُعَيَّن [3]

---

(١) القصر الحقيقى يكثر فى قصر الصفة على الموصوف كما رأيت فى الأمثلة ، ولا يكاد يوجد فى قصر الموصوف على الصفة .

(٢) القصر الإضافى يأتى كثيراً فى كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت فى الأمثلة ، وهو ميدان فسيح لتنافس الكتاب والشعراء .

(٣) ينقسم القصر الإضافى باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام ، وذلك أنك إذا قلت الشجاع على لا حسن مثلا ، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك على وحسن فى الشجاعة كان القصر « قصر إفراد » ، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر « قصر قلب » ، وإن كان متردداً لا يدرى أيهما الشجاع كان القصر « قصر تعيين »

نمُوذَجٌ (١)

بيِّن فيما يأتى نوع القصر وطريقه، وعيِّن كلاًّ من المقصور والمقصور عليه:

(١) قال تعالى: «إنَّما يخشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ».

(٢) قال تعالى: «ومَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ قَدْ خلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ»؟

(٣) قال لَبِيد:

وما المرْءُ إلَّا كالِهلَالِ وضَوْئِهِ ... يُوافى تمامَ الشهْرِ ثمَّ يَغِيبُ

(٤) وقال ابن الرُّومى فى المدح:

أَمْوَالُهُ فى رقاب الناسِ مِنْ مِنَنٍ ... لَا فى الخزَائِنِ مِنْ عَيْنٍ ومن نَشَبِ[1]

(٥) وقال:

وَمَا عجبْنا وإنْ أَصْبحْت تُعْجِبُنَا ... أنْ نَجْتَنِى ذَهباً مِنْ مَوْضِعِ الذَّهَبِ

لكِن عجِبنا لِعُرْفٍ لا نكافئُهُ ... ونَسْتَزِيدُك مِنهُ أكْثَرَ العَجَبِ

(٦) وقال الغَطَمَّشُ الضَّبىّ[2]:

إلى الله أَشكو لَا إلى النَّاسِ أنَّنى ... أَرَى الأَرضَ تَبْقَى والأَخِلَّاءَ تذْهَبُ

---

(١) العين: الذهب والفضة، والنشب: المال، يقول: إنه ينفق أمواله فى المنن التى يقلد بها أعناق الرجال ولا يخزنها فى خزائنه.

(٢) شاعر جاهلى من شعراء الحماسة، والغطمش: الجائر الظالم.

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
١	صفة على موصوف	حقيقى	إنما	خشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء	محمد	رسول
٣	» »	»	» »	الدر	كونه كالهلال
٤	» »	»	العطف بلا	أمواله	كونها فى رفاه الناس
٥	صفة على موصوف	»	العطف بلكن	محسنا	لعرف لا لمكافئه
٦	» »	»	تقديم الجار والمجرور	أشكر	لعظم الجلالة

نَمُوذَج (٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجملتين الآتيتين ، وبيِّن الفرق بينهما فى المعنى :

(ا) إنما يُدَافِعُ عَنْ أحْسَابِكُمْ علىٌّ . (ب) إنما علىٌّ يدافع عن أحسابكم.

الإجابة

(ا) المقصور عليه فى الجملة الأُولى على[1] فالمتكلم يقول لمخاطبيه : علىٌّ وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه فى ذلك أحد . ومن الجائز أن تكون لعلىٍّ أعمال أُخرى يخدمُهم بها غير هذه المدافعة ، كمعالجة مرضاهم ومواساة فقرائهم .

(ب) أما فى الجملة الثانية فالمقصور عليه المدافعة ، فعلى لا يقوم بسواها من الأَعمال ، على أنه من الجائز أن يشترك معه فى الدفاع سواه . فأَنت ترى أن الجملة الأُولى أبلغ فى مدح علىٍّ من وجهين : أما أولاً فلأَنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه ، وأما ثانياً فلأَنها لا تنفى أن له أعمالاً أُخرى غير المدافعة .

(١) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخراً وجوباً .

تمرينات

(١)

بين نوع القصر ، وطريقه ، وعيِّن كلا من المقصور والمقصور عليه فيما يأتى :

(١) قال تعالى : « إِنمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الحِسَابُ » .

(٢) وقال تعالى : « إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ » .

(٣) وقال ابن الرومى يمدح :

مَعْرُوفهُ فى جَميعِ النَّاسِ مُقْتَسَمُ ... فَحَمْدُهُ فِى جَميعِ النَّاسِ لاَ الْعُصَب[١]

(٤) وقال :

يَتَغَــابَى لَهُمْ وَلَيْسَ لِمُوق ... بَلْ لِلُبٍّ يَفُوقُ لُبَّ اللَّبيبِ[٢]

(٥) وقال :

يَهْتَزّ عِطْفاهُ عِنْدَ الحَمْدِ يَسْمَعُهُ ... مِنْ هِزّةِ الْمَجْدِ لاَ مِنْ هِزَّةِ الطَّرب[٣]

(٦) وقال :

ومَا قُلْتُ إِلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزَلْ ... عَلَى مَنْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمَجْدِ لاحِب[٤]

(٧) وقال ابن المعتز :

أَلاَ إِنّما الدُّنْيَا بَلاغ لِغايَةٍ ... فَإِمَّا إِلى غَيٍّ وإِمَّا إِلى رُشْدِ

(٨) وقال :

ومَا العَيْشُ إِلَّا مدَّةٌ سَوْفَ تَنْقَضى ... ومَا الْمَالُ إِلا هَالِكٌ وابْنُ هَالِكِ

(٩) وقال أبو الطيب :

بِرَجاءِ جُودِكَ يُطرَدُ الْفَقْــرُ ... وبِأَنْ تُعــادَى يَنْفَدُ العُمْرُ

---

(١) يقول : إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها .

(٢) يتغابى : يظهر الغباوة ، والموق : الحمق فى غباوة ، واللب : العقل .

(٣) عطفاه : جانباه ؛ يعنى يميل يمنة ويسرة .

(٤) المنهج : الطريق الواضح ، واللاحب : الطريق الواضح أيضاً .

(١٠) وقال :

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مواهِبِ مَالِهِ بَلْ مِن سلَامَتِها إلى أَوْقاتِها[١]

(١١) وقال تعالى : « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ».

(١٢) إلى الله أشكو أَنَّ فى النَّفْسِ حاجةً تمــرُّ بها الأَيامُ وهْى كما هِيَا

(١٣) وقال أبو الطيب :

وإنما نحْنُ فى جِيل سَوَاسِية شرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ على بَدَنِ[٢]

(١٤) راحلٌ أنت والليالى نزولٌ ومضر بك البقاءُ الطويلِ

(١٥) وقال ابن الرومى :

وما يُريغُونَ بِالنُّعْمَى مُكافأَةً لَكِنْ يُقَضُّونَ مَالِلْمَجْدِمِنْ أَرَبِ[٣]

(١٦) وقال أبو العتاهية يمدحُ يزيدَ بْنَ مَزيَدٍ الشَّيْبَانى[٤] :

كأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ والحَرْبِ إنَّما تَفِر مِنَ الصَّفِّ الذى مِن وَرَائكا

فَما آفةُ الأَبطالِ غيرَكَ فى الْوَغَى وما آفةُ الأَمْوَالِ غَيْرَ حِبائكا

(١٧) وقال أبو تمام :

على مثلها من أَربُعٍ ومَلاعِبٍ تُذَالُ مَصُوناتُ الدموعِ السواكبِ[٥]

---

(١) يقول لا نتعجب من كثرة هباته ، وإنما نتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً .

(٢) الجيل : الصنف من الناس ، وسواسية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أى متساوين فى اللؤم والخسة ، وشر : اسم تفضيل بمعنى أشر .

(٣) يقول : لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد .

(٤) قائد شجاع كان والياً بأرمينية ، وندبه هرون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج فى عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية ، وتوفى سنة ١٨٥ هـ ، ورثاه شعراء كثيرون .

(٥) الأربع جمع ربع وهو المنزل ، والملاعب : أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح ، وتذال : تهان

(٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجمل الآتية ، وبيِّن الفرق بينهما فى المعنى :

(ا) إنما يحِبُّ عَلِىٌّ السباحةَ فى الصباح .

(ب) إنما يحب السباحة فى الصباح علىّ .

(حـ) إنما يحب علىّ فى الصباح السباحة

(٣)

أىُّ الجملتين أبلغُ فى مدح سعيد ؟ وضح السبب

(ا) إنما يجِيد الْخِطابَةَ سَعِيدٌ

(ب) إنما سعيد يجيدُ الخطابةَ .

(٤)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر ، ثم بين نوع القصر وطريقه :

(١) الفراغُ مَفْسَدةٌ .

(٢) بَرَكةُ المال فى أداءِ الزكاة.

(٣) السلامة فى التأَنِّى .

(٤) صَدَاقةُ الجاهل تَعَبٌ .

(٥) سَكَتٌّ عن السَّفيه .

(٦) طُول التجاربِ زيادةٌ فى العقل.

(٧) يَدُومُ السرور برؤْية الإخوان .

(٨) غَدَرَكَ مَنْ دَلَّكَ على الإساءة .

(٩) يَسُودُ المرءُ قَوْمه بالإحسان إليهم

(١٠) وَضْعُ الإِحْسَان فى غير مَوْضِعِهِ ظلمٌ

(٥)

مَا يسُرُّ الوَالِدَيْنِ إلَّا نَجَابَةُ الأَبناء .

متى يكون القصر فى هذه الجملة قصرَ قلب؟ ومتى يكون قصرَ إفراد ؟ ومتى يكون قصر تعيين ؟

(٦)

(١) اجعل الجملة الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئاً : نَحْتَرِمُ العالِمَ العامِلَ .

(٢) اجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم فى ذلك طرق القصر التى تعرفها : مَلِلنا صُحْبَةَ الجُهالِ .

(٣) عِندَ البَلاءِ يُعْرَفُ الصَّديقُ .

اجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق النَّفْى والاستثناء ، ومرة من طريق العطف .

(٧)

رُدَّ بِأُسْلُوبٍ من أساليب القصر على من اعتقد أنَّ الأَرض ثابتة ، ثم بين نوع القصر وطريقه فى الجملة التى تأتى بها .

(٨)

وَضِّح ما اشتملت عليه القصة الآتية من أَنواع القصر ، وطرقه ، وبيِّن المقصور والمقصور عليه فى كل جملة فيها قصر :

زَعَم العَربُ أنَّ أَرْنباً التقطت تمرَةً فاختلسها الثَّعلَبُ فأَكلها ، فانْطَلقا يَختصِمان إلى الضَّب ، فقالت الأَرنب : يا أَبا الحِسْلِ[1] ؛ فقال : سميعاً دَعَوْت ؛ قالت : أَتيناك نختصم ، قال : عادلًا حَكَّمتُما ؛ قالت : فاخرج إلينا ؛ قال : فى بَيته يُؤْتَى الحَكَم[2] ؛ قالت إنِّى وجدتُ تمرَة ؛ قال : حُلْوَة فكليها ؛ قالت : فاختلسها ثعالَة[3] ؛ قال : لنفسه بَغَى الخَيْرَ ، قالت : فَلَطَمْتُهُ لَطْمَةً ؛ قال: بحقكِ أَخَذْتِ ؛ قالت فَلَطَمَنى أُخْرَى ؛ قال : حرٌّ انْتَصَر ؛ قالت : فاقضِ بَيْنَنا ؛ قال : قدْ فَعَلْتُ .

فذهبت أَقوَالُه كلُّها أمثالًا .

---

(١) أبو الحسل : كنية الضب . (٢) الحكم : الذى يحكم بين الناس.
(٣) ثعالة : لقب الثعلب .

(٩)

(١) هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون فى الأولى حقيقيًّا وفى الثانية إضافيًّا .

(٢) هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيًّا .

(٣) مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه فى أولهما صفة ، وفى ثانيهما موصوفاً .

(٤) هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر فى أولهما العطف ببل ، وفى ثانيهما العطف بلكن .

(١٠)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن نوع القصر وطريقه فيهما . وهما لأبى الطيب فى مدح أبى شجاع فاتك[1] :

لَا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فطِنٌ ... لِما يَشُقُّ عَلى السّادَات فَعَّالُ

لا وَارِث جَهِلَتْ يُمْناهُ ما وَهَبَتْ ... وَلاكَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّال

---

(١) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون ، كان رومياً أخذه الإخشيد كرهاً من سيده بلا ثمن ، وأعتقه وأبقاه عنده حراً فى عداد مماليكه ، وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له المجنون ، ولما مات الإخشيد انتقل إلى الفيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى الانتقال إلى مصر ، فالتقى فيها بأبى الطيب المتنبى ووصله بالهدايا النفيسة وسمع مدائحه ، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ .

(٢) يشق : يصعب ، والسادات : جمع سادة ، جمع سيد

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ

(١) مَواضِع الْفَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو الطيب :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِى
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[١]

(٢) وقال أَبو العلاء :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ
بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ[٢]

(٣) وقال تعالى :

«يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» .

(٤) وقال أَبو العتاهية :

يَاصَاحِبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لها أَنْتَ الَّذِى لا يَنْقَضِى تَعَبُهْ

(٥) وقال آخر :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ[٣]

---

(١) يقول : إن الدهر من جملة شعرى ، وذلك لأن ألسنة الناس جميعاً تتناقله فى كل وقت ، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدى ويرويها .

(٢) البدو : البادية ، والحاضرة : ضد البادية وهى المدن والقرى والريف ، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية ، ومعنى البيت أن الناس لابد لهم من التعاون فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل فى هذه الحياة بشئون نفسه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان ، ورهن بما لديه : يجازى بما عمل .

(٦) وقال أَبو تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عنكَ لى أَمَلًا
إِنَّ السَّماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[1]

البحث :

يَقصِد علماء المعانى بكلمة «الوَصْل» عطفَ جملة على أُخرى «بالواو»[2] كقول الأَبيوَرْدى يخاطب الدهر :

العَبْدُ رَيَّانُ مِنْ نُعْمَى تجُودُ بهَا   والحُرُّ مُلْتَهبُ الأَحْشاءِ من ظَمإِ[3]

ويقصدون بالفصل تركَ هذا العطف ، كقول المعرى :

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لَكَ حاجَةً   قَلمُ البَليغ بِغيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطن تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام ؛ وسنبدأُ لك بمواطن الفصل :

تأَمل أَمثلة الطائفة الأُولى تجد بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال تآلفاً تامًّا . فالجملة الثانية فى المثال الأَول ، وهى «إذا قُلتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنشِدًا» لمْ تجئْ إلا توكيدًا للأُولى ، وهى جملة «وما الدهرُ إلا من رُوَاة قصائدِى» ، فإن معنى الجملتين واحد . والجملة الثانية فى المثال الثانى «بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خَدمُ» ، ما جاءت إلا لإيضاح الأُولى «الناسُ للناس من بَدْوٍ وحَاضرة» ، فهى بيان لها ، والجملة الثانية فى المثال الثالث جزءٌ من معنى الأُولى ؛ لأَن تفصيل الآيات بعض

---

(١) المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده ، ومقص : مبعد ، وتحتجب : تختفى تحت الغيوم .

(٢) إنما قصر علماء المعانى عنايتهم فى هذا الباب على البحث فى عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف ؛ لأنها هى الأداة التى تخفى الحاجة إليها ، ويحتاج العاطف بها إلى لطف فى الفهم ودقة فى الإدراك ، إذ أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك ، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معانى زائدة ، كالترتيب مع التعقيب فى الفاء ، والترتيب مع التراخى فى ثم ، وهلم جرًّا ، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها .

(٣) الريان : ضد الظمآن ، والنعمى : النعمة .

من تدبير الأُمور »، فهى بدلٌ منها . ولا شك أَنك لَحَظْتَ أَن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى فى كل مثال من الأَمثلة الثلاثة ، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد[1]. ولذا يقال إن بين الجملتين **كمال الاتصال** .

تأمل مِثالَى الطائفة الثانية تجد الأَمر على العكس ؛ فإن بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال منتهى التباين وغايةَ الابتعاد ، فإنهما فى المثال الرابع مختلفان خبرًا وإنشاءً . وهذا جلى واضحٍ . أما فى المثال الخامس فلأَنه لا مناسبة بينهما مطلقاً إذ لا رابطة فى المعنى بين قوله : «وإنما المرءُ بأَصغريه » وقوله «كل امرئٍ رَهْنٌ بما لديه » ، وهنا تجد الجملة الثانية فى كل من المثالين مفصولة عن الأُولى . ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين وشدةُ التباعد[2] . ولذلك يقال فى هذا الموضع إن بين الجملتين **كمال الانقطاع**

انظر إلى المثال الأَخير تر أن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأُولى ، لأَنها جواب عن سؤَال نشأَ من الأُولى . فكأَن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأَول توهم أن سائلًا سأَله : كيف لا يحولُ حجابُ الأَمير بينك وبين تحقيق آمالك ؟ فأَجاب «إن السماءَ ترَجَّى حين تحتَجب » فأَنت ترَى أن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى . ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين ، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤَال ، فأَشبهت الحالُ هنا من بعض الوجوه حالَ كمال الاتصال التى تقدمت ، ولذلك يقال إن بين الجملتين **شبه كمال الاتصال** .

---

(١) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت ، وهذا يقتضى ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، والجزء لا يعطف على كله

(٢) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما . ولا يكون ذلك فى المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين

القواعد :

(٦٢) الْوَصْلُ عَطْفُ جُمْلةٍ عَلَى أُخْرَى بالواو ، والفَصْلُ تَرْكُ هذا العطف ، ولكلٍّ مِنَ الفَصْل والوَصْل مَوَاضِعُ خاصَّةٌ .

(٦٣) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فى ثَلاَثَةِ مَواضعَ :

(ا) أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌّ ، وذلك بِأَنْ تَكونَ الْجمْلَةالثَّانيةُ تَوْكِيدًا لِلأُولَى ،أَوْ بَيَاناً لها ،أَوْ بَدَلاً مِنْهَا ، وَيُقَالُ حِينئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتيْن كَمَال الاِتِّصَال .

(ب)أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تبَايُنٌ تَامٌّ ، وذلكَ بِأَنْ تَختَلِفَا خَبَرًا وَإنشَاءً ، أَوْ بِأَلَّا تَكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا ، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْنِ كَمَالَ الاِنْقِطَاعِ .

(حـ) أَنْ تَكونَ الثَّانِية جَواباً عَنْ سُؤَال يُفْهَمُ مِنَ الأُولَى ، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْنِ شِبْهَ كَمَال الاتِّصَال [1] .

---

(١) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعانى إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التى ذكرناها ، ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث .

(٢) مواضِعُ الْوَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو العلاءِ المعرى :

وحُبُّ العَيْشِ أَعْبَدَ كُلَّ حُرٍّ وَعَلَّمَ سَاغِباً أَكْلَ المُرَارِ[1]

(٢) وقال أَبو الطيب :

ولِلسِّرِّ مِنِّى مَوْضعٌ لاَ يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِى إلَيْهِ شَرابُ[2]

* * *

(٣) وقال :

يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فى السَّاحِلِ[3]

(٤) وقال بشارُ بن بُرد :

وأَدْنِ إلى الْقرْبى المُقَرَّبَ نَفْسَهُ

ولَا تُشْهِدِا لشورَى امْرَأً غَيْرَ كاتِمِ[4]

(٥) لا وَبارك اللهُ فيكَ : (تجيب بذلك من قال : هل لك حاجة أساعدك فى قضائها ؟)

(٦) لا وَلَطَفَ الله بهِ : (تجيب بذلك من قال هل أَبلَّ أخوك من علته ؟)

---

(١) الساغب الجائع ، والمرار شجر مر ، يقول إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى

(٢) النديم الجليس على الشراب ، ويفضى ينتهى ، يقول إنه كتوم للسر بصعه بحيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب

(٣) اللج : معظم الماء ، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة

(٤) يقول : قرب من يتقرب إليك بعقله وكماله ، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار

البحث :

تأمل الجملتين «أَعْبَدَ كُلَّ حُرٍّ» و «عَلَّمَ ساغباً أَكْلَ المُرار» فى البيت الأول ، تجد أن للأولى منهما موضعاً من الإعراب لأنها خبر المبتدإ قبلها ، وأن القائل أراد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم الإعرابى . وتأمل الجملتين : «لا يناله نديم» و «لا يُفضِى إليه شَرَاب» فى البيت الثانى ، تجد أن للأولى أيضاً موضعاً من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها ، وأنه أُريد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم ، وإذا تأملت الجملة الثانية فى كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأولى موصولة بها . وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو .

انظر فى البيت الثالث إلى الجملتين : «يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَن ساقه» و «يغمُرُه الموج فى الساحل» تجدهما متحدتين خبرًا متناسبتين فى المعنى[1] وليس هناك من سبب يقتضِى الفصل ، ولذلك عطفت الثانية على الأولى ، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاءً هما : «أذن» و «لاتشهد» وهما متناسبتان فى المعنى وليس هناك من سبب يقتضى الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى ، وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرًا أو إنشاءً وتناسبتا فى المعنى ولم يكن هناك ما يقتضى الفصل بينهما .

انظر فى المثال الخامس إلى الجملتين : «لا» و «بارك الله فيك» تجد أن الأولى خبرية[2] ، والثانية إنشائية[3] . وأنك لو فصلت فقلت : «لا بارك الله فيك» لتوهم السامع أنك تدعو عليه فى حين أنك تقصد الدعاء له . ولذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل . وكذلك الحال فى جملتى المثال الأخير . وفى كل جملتين اختلفتا خبرًا وإنشاءً وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود .

---

(١) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه فى الأولى له تعلق بالمسند إليه فى الثانية . وكأن يكون المسند فى الأولى مماثلا للمسند فى الثانية أو مضاداً له .

(٢) «لا» فى هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا حاجة لى» وكذلك يقال فى المثال الثانى .

(٣) جملة «بارك الله فيك» خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والعبرة بالمعنى .

القاعدة :

(٦٤) يَجِبُ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فى ثَلاَثَةِ مَوَاضِعَ :

(ا) إِذَا قُصِدَ إِشْرَاكُهُمَا فى الْحُكْمِ الإِعْرابى .

(ب) إِذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنشاءً وكانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ يَقْتَضِى الْفَصْلَ بَيْنَهُما .

(ح) إِذَا اخْتَلَفَا خَبَرًا وَإِنشاءً وَأَوْهَمَ الْفَصْلُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ .

نموذج

لبيان مواضع الوصل والفصل فيما يأتى مع ذكر السبب فى كل مثال :

(١) قال تعالى :

« إن الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لم تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ».

(٢) وقال الأَحنف بن قيس : لا وفاءَ لكَذُوب ولا راحة لحسود .

(٣) وقال تعالى : « وَأَوجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً[1] قالوا لَا تَخَفْ » .

(٤) وجاء فى الحِكَم : كَفى بالشَّيْبِ داءً . صلاحُ الإِنسان فى حِفظِ اللسان.

(٥) وينسب للإمام على كرَّمَ الله وَجهَه .

دَعِ الإِسرافَ مقتصدًا ، واذكر فى اليوم غدًا ، وأَمْسِكْ مِنَ المال بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وقدِّم الفَضْلَ لِيَوْم حاجَتِكَ .

(٦) ولأَبى بكر رضى الله عنه :

أَيُّها الناسُ ، إِنِّى وُلِّيتُ عَلَيْكمْ وَلَسْتُ بخيرِكم .

(٧) وقال أَبو الطيب :

إِنَّ نُيوبَ الزمانِ تَعْرِفُنِى ... أَنا الذى طالَ عَجْمُها عُودِى[2]

---

(١) أوجس منهم خيفة : أحس منهم خوفاً . (٢) عجم العود : عضه ليعرف أصلب هو أم رخو ، يقول : قد طالت صحبتى للزمان وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .

(٨) لا وكُفيتَ شَرَّها. (تجيب بذلك من قال: أذهَبتِ الحُمَّى عن المريض؟)

(٩) قال تعالى: «أَمَدَّكم بِما تعْلَمُونَ ، أَمَدَّكم بِأَنعامٍ وَبنينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُون».

(١٠) وقال أَبو العتاهية :

قدْ يُدْرِكُ الرَّاقدُ الهادِي برَقْدَتِهِ ... وَقدْ يخيبُ أَخُو الرَّوْحاتِ والدُّلَجِ[1]

(١١) وقال الغزِّىّ يشكو الناس :

يَصُدُّونَ فى البأْساء منْ غَيرِ عِلَّةٍ ... ويَمتثلُونَ الأَمْرَ والنَّهْىَ فى الخفْض[2]

(١٢) وقال أَبو العلاء المعرى :

لا يُعْجِبنَّكَ إِقبالٌ يُريكَ سَناً ... إِنَّ الخُمُودَ لعَمْرى غايَةُ الضَّرَمِ[3]

(١٣) يَقولون إِنى أَحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهم ... أَعُوذُ برَبِّى أَن يُضَامَ نظيرى[4]

(١٤) وقال تعالى : « يَسُومُونَكُم سُوءَ العذاب[5] يُذَبِّحُونَ أَبناءَكم » .

(١٥) وقال تعالى : « ومَا يَنطِقُ عَنِ الْهوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى » .

الإِجابة

(١) فصل بين الجملتين ، جملة : سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، وجملة : لا يؤْمنون ، لأَن بينهما كمال الاتصال ؛ إِذ أَن الثانية توكيد للأُولى .

(٢) وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبراً وتناسبهما فى المعنى . ولأَنه لا يوجد هناك ما يقتضى الفصل .

(٣) فصلت جملة « قالوا » عن جملة « وأَوجس منهم خيفة » ؛ لأَن بينهما شِبْهَ كمال الاتصال ؛ إِذ الثانية جواب لسوال يفهم من الأُولى ، كأَن سائلًا سأَل : فماذا قالوا له حين رأَوه وقد داخله الخوف؟ فأُجيب « قالوا لا تخف » .

---

(١) الروحات : جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو ، والدلج : جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل : يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعى .

(٢) البأساء : الشدة ، والخفض : الدعة والنعيم .

(٣) السنا : ضوء البرق ، وخمود النار : سكون لهبها ، والضرم : اشتعال النار والتهابها .

(٤) الضيم : الذل .

(٥) يسومونكم سوء العذاب : يحملونكم إياه .

(٤) فصل بين الجملتين لأن بينهما كمال الانقطاع ؛ إذ لا مناسبة فى المعنى بين الجملة الأُولى والجملة الثانية .

(٥) وصل بين الجمل الأَربع لاتفاقها إنشاءً مع وجود المناسبة ، ولأنه لا يوجدَ هناكَ سببٌ يقتضى الفصل .

(٦) فصل بين الجملتين: « أَيها الناس » و « إنى وليت عليكم » لاختلافهما خبرًا وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع ، ووصل بين الجملتين : « وليت عليكم » و « لست بخيركم » لأَنه أُريد إشراكهما فى الحكم الإعرابى إذ كلتاهما فى محل رفع ، وإذا كانت الواو للحال فلا وصل .

(٧) فصل بين شطرى البيت ؛ لأَن الثانى منهما جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فبينهما شبه كمال الاتصال .

(٨) وصل بين جملتى لا ، وكفيت ، لاختلافهما خبرًا وإنشاءً ، وفى الفَصْل إيهام خلاف المقصود ، فبينهما كمال الانقطاع مع الإيهام .

(٩) بين جملة « أمدَّكم بِمَا تَعْلمُون » وجملة « أَمَدَّكم بأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّات وعُيُونٍ » كمال الاتصال ؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى ؛ إذ الأَنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون .

(١٠) ووصل أَبو العتاهية بين الجملتين لأَنهما اتفقتا فى الخبرية ، وبينهما مناسبة تامة ، وليس هناك ما يقتضى الفصل .

(١١) كذلك وصل الغَزِّى بين شطرى البيت لما تقدم .

(١٢) وفصل أَبو العلاء بين شطرى البيت لأَن بينهما كمال الانقطاع ، إذ الجملتان مختلفتان خبرًا وإنشاءً .

(١٣) بين جملة « يقولون إنى أَحمل الضيْمَ » وجملة « أَعوذ بربى أن يضام نظيرى » شبه كمال الاتصال لأَن الثانية جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فكأَن الشاعر بعد أَن أَتى بالشطر الأَول من البيت أَحسَّ أَن سائلاً يقول له : « وهل ما يقولونه من أَنك تتحمل الضَّيم صحيح ؟ » فأَجاب بالشطر الثانى .

(١٤) بين جملة : «يَسُومُونَكم سُوءَ العَذَابِ» وجملة «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكم» كمال الاتصال، فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى

(١٤) فصل الله تعالى بين الجملتين فى الآية الكريمة لأن بينهما كمال الاتصال، فإن الجملة الثانية بيان للأُولى.

تمرينات

(١)

بيِّن مواضع الوصل والفصل فيما يأْتى ووضِّح السبب فى كل مثال

(١) قال بعض الحكماء: العَبْدُ حُرٌّ إذا قنِع، والحر عبد إذا طَمِع

(٢) وقال ابن الرومى :

قدْ يَسْبِقُ الْخَيْرَ طالبٌ عَجل ... وَيَرْهَقُ الشَّرُّ مُمْنِعاً هَرَبَه[1]

(٣) وقال أبو الطيب :

الرأىُ قَبْل شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهْىَ المحَلُّ الثَّانى

(٤) وخطب الحجاج فقال :

اللهُمَّ أَرِنى الغَىَّ غيا فَأَجْتَنِبَهُ، وأَرِنى الهُدَى هُدًى فأَتَّبِعَهُ، ولا تَكِلْنِى إلى نَفْسِى فأَضِلَّ ضَلالاً بعِيدًا

(٥) وقال الشريف الرضىُّ فى الرثاء :

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأَعْوَادِ ... أَعَلِمْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِى[2]

(٦) قال حسان بن ثابت الأَنْصارى :

أَصُونُ عِرْضى بمالى لا أُدَنِّسُهُ ... لا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ فى الْمَالِ[3]

أَحْتَال لِلْمال إنْ أَوْدَى فأَكْسِبُهُ ... وَلَسْتُ لِلعرْض إن أودَى بِمُحْتَالِ[4]

---

(١) يرهقه : يغشاه ويلحقه، والممعن فى الشىء : المبعد. يقول : كثيراً ما يفوت الخير من هو شديد الحرص فى طلبه، ويقع فى الشر من يهرب منه.

(٢) الأعواد : جمع عود والمراد بها النعش، وخبا الضياء : انطفأ.

(٣) العرض بالكسر : النفس وقيل الحسب وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، يقول إنى أصون نفسى عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال.

(٤) أودى : تلف؛ يقول : إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذى لحقه

(٧) وقال النابغة الذبيانىّ يرثى أخاه من أمّه :

حَسْبُ الخَلِيلَيْن نَأْىُ الأَرضِ بَيْنَهُما ... هٰذا علَيها وهٰذا تَحتَها بَالى[١]

(٨) وقال الطُّغرَائىُّ :

ياوَارِدًا سُؤْرَ عَيش كلُّه كدَرٌ ... أنفَقْتَ عُمْرَكَ فى أيَّامِك الأُوَل[٢]

(٩) لا الدَّمْعُ غَاضَ ولا فوادُكَ سالِي ... نزَل الحِمام عَرِينةَ الرِئبالِ[٣]

(١٠) وقالت زينبُ بنتُ الطَّثَرِيَّة [٤] ترثى أخاها :

وقد كان يُرْوِى المَشْرَفِىَّ بِكَفِّه ... ويبلغُ أقصى حَجْرَةِ الحىِّ نائِلُه[٥]

(١١) وقال أبو الطيب :

أعَزُّ مكانٍ فى الدُّنا سَرْجُ سابحٍ ... وخيْرُ جَليس فى الزمانِ كتابُ[٦]

(١٢) العينُ عَبْرى والنُّفُوسُ صَوَادِى ... مَاتَ الحِجَاوقَضى جَلالُ النَّادِى[٧]

(١٣) وقال رجل من بنى أسد فى الهجاء :

لَا تحسَبِ المَجْدَتَمْرًاأنتَ آكِله ... لَنْ تَبلغَ المَجْدَحتى تَلْعَقَ الصَّبِرا[٨]

(١٤) وقال عُمارَةُ اليَمَنىّ[٩] :

وغَدْرُ الفَتى فى عَهْدِه ووَفائِه ... وغَدْرُ المَوَاضى فى نُبُوِّ المَضارِب[١٠]

---

(١) حسب الخليلين : أى كفاهما ، والنأى : البعد ، والبالى : الممزق الأعضاء ، يقول : كفانى وأخى حيلولة الأرض بيننا ، فأنا حى فوقها وهو بالى الجسم تحتها ، وهذا نهاية البعد .

(٢) سؤر العيش : بقيته . (٣) الحمام : الموت ، والعرينة : مأوى الأسد ، والرئبال : الأسد . (٤) أبوها الصمة ، والطثرية ، أمها ويزيد أخوها ، وهى شاعرة مجيدة من شواعر الإسلام ، ولها فى أخيها يزيد مراث جيدة . (٥) المشرفى : السيف ، الحجرة : الناحية ، النائل : العطاء ؛ تقول : إنه كان عظيم البأس كثير الجود . (٦) الدنا : جمع دنيا ، السابح : الفرس السريع الجرى ، يقول : سرج الفرس أعز مكان ؛ لأن صاحبه يجاهد عليه فى طلب المعالى ، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى .

(٧ عبرى : باكية ، الصوادى : جمع صادية أى ظمأى ، الحجا : العقل ، قضى : مات .

(٨ الصبر بكسر الباء : عصارة شجر مر ، يقول : لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك ، كلا ، إن دون المجد صعاباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية .

(٩ مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب ، قدم مصر سنة ٥٥٠ هـ فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم ، ثم تآمر هو وسبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين . فصلبه معهم سنة ٥٦٩ هـ وله ديوان شعر كبير .

(١٠) المواضى : السيوف القاطعة ، نبو المضارب : عدم قطعها .

(١٥) قال تعالى فى قصة فرعون وردِّ موسى عليه السلام :
«قال فِرْعَوْنُ وما ربُّ العَالَمينَ. قالَ ربُّ السمٰواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما إن كُنتُمْ مُوقِنين . قال لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قالَ رَبُّكمْ ورَبُّ آبائِكم الأَولينَ» .

(١٦) وقال تعالى : «وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنَا ولَّى مُسْتَكبِرًا كأَنْ لم يَسْمَعْهَا كأَنَّ فى أُذُنَيْهِ وَقْرًا[1]» .

(٢)

(١) لِمَ يَعِيبُ الناس العَطف فى الشطر الثانى من أَبى تمام ؟

لا وَالذِى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النوَى صَبِرٌ وأَنَّ أَبا الحُسَيْن كريمُ

(٢) لِمَ يحْسُنُ أَن نقول : عَلِيٌّ خطيب وسعيد شاعر ، ويَقبح أَن نقول : على مريض وسعيد عالِم ؟

(٣)

(١) هات ثلاثة أَمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال ، واستوف المواضع الثلاثة التى يظهر فيها هذا الكمال .

(٢) هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال .

(٣) « « « « لكمال الانقطاع .

(٤)

(١) مثل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل .

(٥)

انثُر البيتين الآتيين وبين سبب ما فيهما من فصل ووصل ، وهما لأَبى الطيب فى مدح سيف الدولة :

يَا مَن يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قتْلاكَ بِالإِحْسانِ
فإِذَا رأَيْتُكَ حارَ دُونَكَ ناظِرى وإِذَا مَدَحْتُكَ حارَ فيكَ لِسَانِى

---

(١) الوقر : الثقل فى السمع .

الإيجازُ والإطنابُ والمُساواة

(١) المُسَاوَاة

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ » .

(٢) وقال تعالى: « وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ[1] » .

(٣) وقال النابغة الذبيانىُّ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى
وإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[2]

(٤) وقال طَرَفةُ بنُ العَبْد :

سَتُبْدِى لكَ الأَيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[3]

البحث :

يختارُ البليغُ للتعبير عما فى نفسه طريقاً من طرق ثلاث ؛ فهو تارة يُوجزُ ، وتارة يُسْهِبُ ، وتارة يأْتى بالعبارة بَيْنَ بَيْنَ ، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه مَوْطِنُ الخطاب ، ونريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث ، وسنبدأ بالمساواة لأَنها الأَصل المقيسُ عليه .

---

(١) يحيق : من قولهم حاق به الشىء إذا أحاط به .

(٢) المنتأى : موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أى بعد : يخاطب النابغة الذبيانى النعمان بن المنذر ويشبهه فى حال سخطه بالليل فى أنه يعم كل موطن ، وذلك لسعة ملك النعمان و بسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد .

(٣) من لم تزود : أى من لم تعطه زاداً ، والزاد : طعام المسافر ، يقول : إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم ، ويأتيك بالأخبار من لم توجهه فى طلبها .

تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعانى ، وأنك لو حاولتَ أن تَزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلًا ، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالًا ، فالألفاظ فى كل مثال مساوية للمعانى ، ولذلك يُسَمَّى أداءُ الكلام على هذا النحو **مساواة** .

القاعدة :

(٦٥) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تَكونَ الْمعَانى بِقَدْرِ الأَلْفَاظِ ، وَالأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعانى ، لَا يَزِيدُ بَعْضُها عَلَى بَعْض

(٢) الْإِيجَازُ

(١) قال تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأَمرُ » .

(٢) وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم : «الضَّعِيفُ أَميرُ الرَّكْب [1] »

(٣) وقيل لِأَعْرَابِىٍّ يَسوق مالاً [2] كثيرًا : لِمَنْ هَذا الْمالُ ؟ فقال : لله فِى يَدِى .

* * *

(٤) قال تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

(٥) وقال تعالى: « قٓ وَالْقُرْآن الْمَجِيدِ ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » .

(٦) وقال تعالى ، فى حكاية موسى عليه السلام مع ابْنَتَىْ شُعَيْب» : « فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ

(١) الركب : جماعة المسافرين .

(٢) المال : كل ما ملكته ، ويطلق عند الأعراب على الإبل .

إنى لِمَا أنْزَلْتَ إلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ، فَجَاءَتْه إحْدَاهُمَا تَمشِى على اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إنَّ أَبى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيتَ لَنَا » .

البحث :

تأمل أمثلة الطائفة الأُولى تجد أن ألفاظها فى كل مثال على قِلَّتها جَمَعتْ معانى كثيرةً متزاحمة ، فالمثال الأول تضَمَّنَ كلمتين اسْتَوْعَبَتَا جميع الأَشياء والشئون على وَجْهِ الاستقصاء . حتى لقد رُوِىَ أنّ ابن عُمَرَ رَضى الله عنه قرأها فقال : مَنْ بَقِىَ له شىءٌ فَلْيَطلبه . والمثال الثانى آية فى البلاغة والحسن ، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبِّر عنه إلَّا بالقول المُسْهَبِ الطويل . وكذلك الحال فى المثال الثالث . وهذا الأسلوب من الكلام يسمَّى **إيجازاً** . ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعانى المتكاثرة والأغراض المتزاحمة ، لا على حذف بعض كلمات أو جمل ، سمّى **إيجاز قِصَر** .

تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها مُوجَزَةٌ أيضاً ، وإذا أردت أن تَعْرِف سِرّ الإيجازفيها فانظر إلى المثال الأَول تجد أنه قد حُذف منه كلمة ؛ إذ تقدير الكلام فيه وجاءَ أمر ربك ، وانظر إلى المثال الثانى تجد أنه حُذف منه جملة هى جواب القسم ، إذ تقدير الكلام «ق وَالقرآن المَجيدِ » لَتُبْعَثُنَّ . أمَّا المثال الثالث فالمحذوف فيه جُمل عدة ، ونَظم الكلام من غير حذف أن يقال : فَذَهَبَتَا إلى أبيهما ، وقصَّتا عليه ما كان من أمر موسى ، فأَرسل إليه ، «فَجَاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِى على اسْتِحْياء » .

ولما كان سبب الإيجاز فى هذه الأَمثلة هو الحذف سُمى **إيجاز حذف**

ويشترط فى هذا النوع من الإيجاز أن يَقوم دليل على المحذوف ، وإلا كان الحذف رديئاً والكلام غيرَ مقبول .

القاعدة :

(٦٦) الْإِيجَازُ جَمْعُ الْمَعَانِي الْمُتَكَاثِرَةِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَلِيلِ مَعَ الْإِبَانَةِ وَالْإِفْصَاحِ ، وَهُوَ نَوْعَانِ :

(ا) إيجازُ قِصَرٍ . وَيَكُونُ بِتَضْمِينِ الْعِبَارَاتِ الْقَصِيرَةِ مَعَانِيَ قَصِيرَةً مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ .

(ب) إيجَازُ حَذْفٍ ، ويَكُونُ بِحَذْفِ كَلِمَةٍ[1] أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّنُ الْمَحْذُوفَ .

نَمُوذَجٌ

لبيان نوع الإيجاز فى العبارات الآتية :

(١) قال تعالى : « أُولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ » .

(٢) وقال تعالى : « تاللهِ تَفتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ » .

(٣) وقال تعالى : « أَخْرَجَ مِنها مَاءَها ومَرْعاها » .

(٤) وقال تعالى : « فَأَمَّا الذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكم » .

(٥) وقال تعالى : « وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ ، أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ، أو كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى ، بَلْ للهِ الأَمْرُ جَميعاً » .

(٦) وقال أبو الطيب :

أَتَى الزَّمانَ بَنُوهُ فى شَبِيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْناهُ على الهَرَمِ[2]

(٧) أكلت فاكهة وماءً .

---

(١) الكلمة المحذوفة إما حرف ، وإما فعل ، وإما اسم ، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً ، أو موصوفاً ، أو صفة .

(٢) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حداثة الدهر فسرهم ، ونحن أبناؤه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به .

الإجابة

(١) فى الآية إيجاز قِصَر ، لأَن كلمة «الأَمن» يدخل تحتها كلُّ أمرٍ محبوب ، فقد انْتَفَى بها أن يخافوا فقرًا ، أو موتاً ، أو جَوْرًا ، أو زوال نعمة ، أو غير ذلك من أصناف المكاره .

(٢) فى الآية إيجاز حذف ، لأَن المعنى «تالله لا تفتأُ تذكر يوسف» فحذف حرف النفى

(٣) فى الآية إيجاز قِصَر ، فقد دل الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأَرض قوتاً ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللِّباس والنار والماء .

(٤) فى الآية إيجاز حذف ، فقد حُذِف ، جوابُ أَمَّا ، وأصل الكلام «فيقال لهم أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكم» .

(٥) فى الآية إيجاز بحذف جواب لو ؛ إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن .

(٦) فى البيت إيجاز بحذف جملة : والتقدير وأتيناه على الهَرَمِ فساءَنا .

(٧) فى العبارة إيجاز بحذف جملة ، إذ التقدير وشَرِبْت ماءً .

تمرينات

(١)

بين نوع الإيجاز فيما يأْتى ووضح السبب :

(١) قال تعالى : « وَمَا كانَ مَعَهُ مِنْ إلٰهٍ ، إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ على بَعض» .

(٢) وقال تعالى : « خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِض عَن الْجَاهِلينَ[1] » .

(٣) وقال عليه الصلاة والسلام . « إن من البَيَانِ لَسِحْرًا » .

(٤) وقال تعالى فى وصف الجنة : «فيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتلَذُّ الأَعْيُنُ» .

---

(١) خذ العفو : أى خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم .

(٥) وقال تعالى : « ولَوْ ترى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ[١] » .
(٦) وقال تعالى : « وإنْ يُكَذِّبُوكَ فقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قبْلِكَ » .
(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : « الطَّمَعُ فقر واليأْسُ غِنًى » .
(٨) وقال على كرم الله وجهه : آلة الرِّياسة سعةُ الصَّدْرِ .
(٩) ويُنْسَبُ للسَّمَوْءَل :

وإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثنَاءِ سَبيلُ[٢]

(١٠) وقال تعالى فى وصف انتهاء حادثة الطوفان :

« وقيلَ يا أَرْضُ ابْلعى مَاءَكِ ، ويَا سَماءُ أَقْلِعى وَغِيضَ الْماءُ ، وقُضِىَ الأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ على الْجُودِىِّ ، وَقيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[٣] » .

(٢)

بيِّن جمال الإيجاز فيما يأْتى واذكر من أى نوع هو :

(١) كتب طاهرُ بن الحسين إلى المأْمون وكان واليَهُ على عُمَّاله بعد هَزْمه عَسْكَرَ على بن عيسى بن ماهان[٤] وقتْله إياه :

كتابى إلى أَمير المؤْمنين ، ورأْسُ على بن عيسى بن ماهان بين يَدَى ، وَخَاتَمُهُ فى يدِى ، وعَسْكَرُهُ مُصَرَّفٌ تحت أَمرى والسلام .

(٢) وخطبَ زيادٌ[٥] فقال :

أَيها الناسُ لا يَمْنَعنَّكُم سوءُ ما تعلمون عنَّا أَن تَنْتَفِعُوا بأَحْسنِ ما تسمعون مِنَّا .

---

(١) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . يقول له : لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة . ومعنى قوله فلا فوت : فلا مهرب لهم من العذاب . (٢) يقول : إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد . (٣) أقلعى : كفى عن المطر ، وغيض الماء : نضب ، والجودى : جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان . (٤) على بن عيسى بن ماهان من كبار القادة فى عصر الرشيد والأمين ، وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥ هـ . (٥) أمير خطيب مصقع ، وهو من القادة الفاتحين ، والولاة الدهاة ، أسلم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى ، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، وتوفى سنة ٥٣ هـ .

(٣)

بين ما فى التوقيعات[١] الآتية من جمال الإيجاز :

(١) وقَّع أَبو جعفر المنصورُ فى شكْوَى قوم من عاملهم :
كما تكونوا يُوَمَّرْ عليكم[٢] .

(٢) وكتب إليه صاحبُ مِصْر بنُقْصان النيل فوَقَّع :
طَهِّرْ عسكرك من الفساد يُعْطِكَ النيلُ القياد[٣].

(٣) ووقع على كتاب لعامله على حِمص وقد كثُرَ فيه الخطأ :
اسْتَبْدِل بكاتبك ، وإلا اسْتُبْدِلَ بك[٤] .

(٤) وكتب إليه صاحب الهند أَنَّ جُنْدًا شغبُوا عليه[٥] وكَسَرُوا أَقْفال بيت المال ، فَوَقَّع : لو عَدَلْت لَمْ يَشْغَبُوا ، ولو وَفَيْتَ لَمْ يَنْتهِبُوا[٦].

(٥) ووقَّع هرون الرَّشيد إلى صاحب خُراسان : دَاوِ جُرْحَك لا يتَّسع .

(٦) ووقَّع فى قصة البرامكة : أَنْبَتَتْهُم الطاعة ، وحَصَدتْهُم المعصية .

(٧) وكتبَ إبراهيم بن المهْدِيّ فى كلام للمأمون : إن عَفوتَ فَبفضلك ، وإن أَخذْتَ فبحقك . فوقَّع المأْمون : القُدْرة تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ[٧] .

(٨) ووقَّع زِياد بنُ أَبيه فى قصة مُتظلِّم : كُفِيتَ .

(٩) ووقَّع جعفر بن يحيى[٨] لعامل كَثُرَتِ الشكوى منه :
كثُرَ شاكوك ، وقلَّ شاكرُوك ، فإمَّا عَدَلْتَ ، وإمَّا اعْتَزَلْتَ .

(١٠) ووقع فى قصة محبوس : الْعَدْلُ أَوقعه ، والتوبة تُطْلِقه .

---

(١) التوقيع : رأى الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شئون الدولة .
(٢) أمره عليهم : جعله أميراً . (٣) القياد : حبل يقاد به . (٤) أى اتخذ مكان كاتبك كاتباً آخر ، وإلا أقيم مكانك عامل آخر . (٥) الشغب : تهييج الشر .
(٦) الانتهاب : النهب والأخذ . (٧) الحفيظة : الحمية والغضب .
(٨) هو أحد مشهوري البرامكة ومقدميهم ، ولد فى بغداد ونشأ بها ؛ ثم استوزره هرون الرشيد وألقى إليه مقاليد الدولة . فانقادت له الأمور ، وما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله فى جملتهم سنة ١٧٨ هـ وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس .

(٤)

اقرإ الحكاية الآتية وبين وجه الإيجاز ونوعه فيما يعرض فيها من أمثال :

كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبَّةُ ابنان . يقال لأحدهما سَعْد وللآخر سُعَيْد ، فَنَفَرتْ إبل لضبة فتفرق ابناه فى طلبها ، فوجدها سعد فردها ، ومضى سُعَيْد فى طلبها ، فلقيه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرْدان ؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ؛ فكان ضبَّة إذا أمسى ورأى تحت الليل سوادًا قال : أسعد أم سُعَيْد ؟ فذهب قوله مثلًا يُضرب فى النجاح والخيبة ، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فوافى عُكاظَ ، فلقى بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بُرْدىِ ابنه سُعَيْد ، فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى علىّ فقتلته وأخذتهما ، فقال ضبة : بسيفِك هذا ؟ قال : نعم ، قال : أرِنيه فإنى أظنه صارماً ؛ فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه هَزَّه وقال : الحديثُ ذو شُجُونٍ[1] ثم ضربه به فقتله ، فقيل له يا ضَبَّة : أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العذل[2]. فهو أوَّل من سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة .

(٥)

(١) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز القِصَر وبين وجه الإيجاز فى كل منها .

(٢) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف . بحيث يكون المحذوف فى المثال الأول كلمة وفى الثانى جملة ، وفى الثالث أكثر من جملة ، وبين المحذوف فى كل مثال .

(٦)

بيِّن ما فى قول أبى تمام فى المديح من بلاغة وإيجاز :

وَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَك لم تَزِدْهَـا   عَلَى مَا فيكَ من كَرَم الطباع

(١) أى ذو طرق ، الواحد شجن ، يضرب هذا المثل فى الحديث يتذكر به غيره .

(٢) العذل : الملامة .

(٣) الإطناب

البحث :

(١) قال تعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا[1] » .

* * *

(٢) وقال تعالى : « رَبِّ ٱغفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ » .

* * *

(٣) وقال : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » .

* * *

(٤) وقال عنترة بن شداد فى بعض روايات معلقته :

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّماحُ كأَنَّها ... أَشْطَانُ بئْرٍ فى لَبَانِ ٱلأَدْهَمِ[2]

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالسُّيُوفُ كأَنَّها ... لَمْعُ الْبَوَارِقِ فى سَحَابٍ مُظْلِمِ

* * *

(٥) وقال النابغةُ الْجَعْدِى[3] :

أَلا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بـأَنِّى ... ـأَلاَ كَذَبُوا ـ كَبِيرُ السِّنّ فانِى

---

(١) الروح : جبريل عليه السلام .

(٢) أشطان البئر : حباله ، ولبان الأدهم : صدر الفرس .

(٣) هو حسان بن قيس الجعدى ، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم فأعجب به وقال له : لا يفضض الله فاك .

* * *

(٦) وقال الْحُطَيئة :

تَزُورُ فَتًى يُعْطِي على الْحَمْدِ مَالَه
ومَنْ يُعْطِ أَثْمان الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

(٧) وقال ابنُ نُباتة السَّعدى :

لَمْ يُبْقِ جُودُك لِي شيْئًا أُؤَمِّلُهُ
ترَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلا أَمَلِ

* * *

(٨) وقال ابن المعتز يصف فرساً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ـ ظَالِمينَ ـ سِيَاطَنَا فَطَارتْ بِها أَيْدٍ سِرَاعٌ وأَرْجُل

البحث :

عرفتَ فيما سَبَق معنى الإيجاز ؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الألفاظ على المعانى لغرض بلاغى .

تأمل المثال الأول تجد لفظ «الروح» فيه زائدًا ، لأن معناه داخل فى عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة ، وانظر فى المثال الثانى تجد أن لفظ «لى ولوالدى» زائد أيضاً ، لدخول معناه فى عموم المؤْمنين والمؤْمنات . وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأْتى ، وسترى أيضاً أنَّ هذه الزيادة لم تجئْ عبثاً ، وإنما جاءت لِلَطيفة من اللطائف البلاغيَّة التى تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه ، وأداء الكلام على هذا الوجه يُسَمَّى إطنابا .

ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحدًا واحدًا تجد طرق الإطناب فيها

مختلفة : فطريقه فى المثال الأول **ذكر الخاص بعد العام** ، فقد خَصَّ الله سبحانه وتعالى الروحَ بالذِّكر وهو جبريل مع أنه داخل فى عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأْنه كأَنه جنس آخر ، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأْن الخاص .

وطريقه فى المثال الثانى **ذكر العام بعد الخاص** ، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمومنات وهما لفظان عامان يدخل فى عمومهما من ذُكِرَ قبل ذلك ، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين ، مرة وحده ، ومرة مندرجاً تحت العام .

وطريقه فى المثال الثالث **الإيضاح بعد الإبهام** فإن قوله تعالى : «أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» إيضاح للإبهام الذى تضمنه لفظ «الأَمر» وذلك لزيادة تقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرتين ، مرة على طريق الإجمال والإبهام ، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل .

وطريقه فى بيتى عنترة **التكرار** لتقرير المعنى فى نفس السامع وتثبيته ، ويظهر هذا الغرض فى الخطابة ، وفى مواطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار ، وقد يكون التكرار لدواع أُخرى ، منها التحسر كما فى قول الحسين بن مَطير[1] يرثى مَعْن بن زائدة :

فيا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحَةِ مَوْضِعَا[2]

ويا قبرَ معن كَيْفَ وَارِيْتَ جُودهُ ... وَقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مُتْرَعَا

ومنها طول الفصل كما فى قول الشاعر :

لقَدْ عَلِمَ الحىُّ اليمانون أَنَّنى ... إذا قلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّى خَطِيبُهَا[3]

---

(١) شاعر عاش فى الدولتين الأموية والعباسية ، وله مدائح فى رجالها ، وكان من أحسن أهل البادية زياً وكلاماً ، توفى سنة ١٦٩ هـ بعد معن بن زائدة وله رثاء فيه .

(٢) خطت للسماحة موضعاً : أى اتخذت لتكون موضعاً للكرم والجود .

(٣) اليمانون : المنسوبون إلى اليمن .

وطريقه فى المثال الخامس **الاعتراض** . وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغَرَض يقصِدُ إليه البليغ . فجملة « ألا كذبوا » قد جاءت فى بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكِبَر . وقد يكونُ من أغراض الاعتراض الإسراع إلى التنزيه . نحو : إن الله — تبارك وتعالى — لطيف بعباده ، وقد يكون للدعاء نحو إنى — وقاك الله — مريض .

وطريقه فى المثالين السادس والسابع **التذييل** . وهو تعقيب الجملة بجملة أُخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها . فإن المعنى فى كلا البيتين قد تمَّ فى الشطر الأَول ، ثم ذُيِّل بالشطر الثانى للتوكيد . وإذا تأَملت التذييل فى المثالين وجدتَ بينهما بعض الخلاف . وذلك أن التذييل فى المثال الأَول مستقلٌّ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله . ويقال له إنه **جار مجرى المثل** ، أما فى المثال الثانى فهو غير مستقل بمعناه إذ لا يُفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله ، ويقال لهذا النوع إنه **غير جار مجرى المثل** .

تأَمل المثل الأَخير تجد أَننا لو أَسقطنا منه كلمةَ « ظالمين » لتوهَّم السامع أَن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب . وهذا خلاف المقصود ، وتسمَّى هذه الزيادة فى البيت **احتراساً** . وكذلك كل زيادة تجيءُ لدفع ما يُوهِمُهُ الكلام مما ليس مقصودًا .

القَاعدة :

(٦٧) الإِطْنابُ زيادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفائِدَةٍ[١] ، وَيكُونُ بـأُمُورٍ عِدَّةٍ مِنْها :

---

(١) فإذا لم تكن فى الزيادة فائدة سميت « تطويلا » إن كانت الزيادة غير متعينة ، « وحشواً » إن كانت متعينة فالتطويل كما فى قول عنترة بن شداد :

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

والحشو كما فى قول زهير بن أبى سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم ما فى غد عمى

(ا) ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ .

(ب) ذِكْرُ العَامِّ بَعدَ الْخَاصِّ لإِفادَةِ العُمُومِ معَ الْعِنايةِ بِشَأْنِ الخاصِّ .

(ح) الإِيضاحُ بَعْدَ الإِبْهام ، لِتَقْرِير الْمَعْنى فى ذِهْنِ السَّامِعِ .

(د) التكْرَارُ لِدَاعٍ : كتَمْكِينِ الْمَعْنَى من النفس ، وكالتَّحَسُّر ، وكَطُولِ الْفَصْلِ .

(ه) الاعْتِرَاضُ ، وهُوَ أَنْ يُؤْتَى فى أَثْناءِ الكلاَمِ أَوْ بَيْنَ كلامينِ مُتَّصِلَيْن فى الْمَعْنى بِجُمْلَة أَوْ أَكْثر لامَحَلَّ لها منَ الإِعْراب[1] .

(و) التَّذْييلُ ، وهُوَ تعقيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوْكيداً لها ، وهُوَ قِسْمان :

(١) جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنِ اسْتَقَلَّ مَعْناهُ واسْتَغْنَى عَمَّا قَبْلَهُ .

(٢) غَيْرُ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَل إِنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَما قَبْلَهُ .

(ز) الاِحتراسُ ، وَيَكُونُ حِينَما يَأْتِى المتكلِّمُ بِمَعْنًى يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ فيه لَوْمٌ ، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأْتِى بما يُخَلِّصُهُ مِنْهُ .

نَمُوذَجٌ

بين نوع الإِطناب فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « أَفأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يأْتيَهُمْ بأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نَائِمُون ،

---

[1] (١) ويجب أن يكون للبليغ فى الاعتراض غرض يرمى إليه غير دفع الإيهام ، فإن كان الغرض دفع الإيهام كان احتراساً .

أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُون ، أَفأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُون ».

(٢) وقال تعالى : « وَمَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أفإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُون ، كل نَفسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » .

(٣) وقال أبو الطيب :

إِنِّى أُصاحِبُ حِلمى وَهْوَ بِى كَرَمٌ وَلَا أُصاحِبُ حِلمى وهْوَ بِى جُبن

(٤) وقال النابغة الجَعْدِىُّ يهجو :

لَوَ انَّ الباخِلين وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعلَّموا مِنْكَ المِطَالَا

(٥) وقالت أعرابية لرجل : كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلَّا نَفْسَك .

(٦) وقال تعالى : « أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنين » .

الإجابة

(١) فى الآية إطناب بالتكرار فى مَعْرِض الإنذار لتقرير المعنى فى نفوس السامعين .

(٢) فى الآية إطناب بالتذييل فى موضعين : أولهما قوله تعالى : « أفإن متّ فهم الخالدون » ، وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل ، والثانى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وهو جارٍ مَجْرَى المثل .

(٣) فى البيت إطناب بالاحتراس فى موضعين : أولهما فى الشطر الأول بذكر وهو بى كرم ، وثانيهما فى الشطر الثانى بذكر وهو بى جُبن .

(٤) فى البيت إطناب بالاعتراض . فقد جاءت جملة : «وأنت منهم» معترضة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذمّ المخاطَب .

(٥) هنا إطناب بالاحتراس ، لأن نفس الإنسان تجرى مَجْرَى العَدوِّ له ، فإنها تدعوه إلى ما يُوبِقهُ .

(٦) فى الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام فإن ذكر الأَنْعامِ والبنين توضيحٌ لما أُبْهِم قبل ذلك فى قوله : «بما تعلمون» .

تمرينات

(١)

وضح الغرض من التكرار فى كل مثل من الأمثلة الآتية :

(١) قال بعض شعراء الحماسة :

إلَى معْدِنِ العِزِّ المُؤَثَّلِ وَالنَّدى ... هُناك هناك الْفَضْلُ والخُلُقُ الجَزْل[1]

(٢) وقالَتْ أعْرَابِيَّةٌ تَرْثِى ولَدَيْها :

يَا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هُما ... كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عَنْهُما الصَّدَف[2]

يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هُما ... سَمْعِى وطَرْفِى فَطَرْفِى اليومَ مُخْتَطَفُ[3]

(٣) وقال عمرُو بن كلثوم[4] فى معلقته :

بِأَىِّ مَشِيئةٍ عَمْرو بْن هِنْدٍ[5] ... نَكونُ لِقَيْلِكمْ فِيها قطينَا[6]

بِأَىِّ مَشيئة عَمْرو بن هند ... تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرِينا[7]

(٤) قال تعالى : « فإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا ، إنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا » .

(٢)

بين مواطن الاعتراض وفائدته فى الأمثلة الآتية

(١) قال العباس بن الأحنف :

إنْ تَمَّ ذَا الهَجْرُ يا ظَلُوم وَلا ... تمَّ فما لِى فى العَيْشِ مِنْ أَرَبِ[8]

---

(١) معدن العز : موطنه ومركزه ، والمؤثل : المؤصل والمعظم ، والخلق الجزل : الطيب القوى الكريم . (٢) تتشظى الصدف : تطاير شظايا ، والشظايا جمع شظية : وهى الفلقة من عصا ونحوها . (٣) الطرف : البصر . (٤) شاعر جاهلى وهو من فحول الشعراء فى الجاهلية ومن فرسانهم وأشرافهم ، وهو صاحب المعلقة التى أولها « ألا هبى بصحنك فاصبحينا »

(٥) هو ملك الحيرة وكان جباراً عنيداً لا يرى فى الناس من يدانيه فى الشرف والمنزلة ، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه ، فثارت الحمية فى قلب عمرو بن كلثوم فجرد سيفاً وضرب الملك فقتله . (٦) القيل : الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال ، والقطين : الخدم ، يقول : كيف نطمع أن نكون خدماً لمن وليت علينا من الأمراء على ما نعلم من عزنا .

(٧) يقول : كيف تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا على ما نعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم .

(٨) ظلوم : اسم امرأة .

(٢) وقال أَبو الفتح البُسْتِىّ[١] :

إذا حَمِدَ الكريمُ صَباحَ يَوْمٍ ... وَأَنى ذَاكَ لَمْ يَحْمَدْ مَساءَهْ[٢]

(٣) وَقال أَبو خراش الهُذَلىّ[٣] يذكر أخاه عُرْوَة :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِياً ... وَذَلِكَ رُزْءٌ لَو عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَلَا تَحْسَبِى أَنِّى تَنَاسَيْتُ عهْدهُ ... وَلَكِنَّ صَبْرِى ياأُمَيْمُ جَميلُ[٤]

(٤) واعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ ... أَنْ سوْفَ يَأْتِى كلُّ ما قُدِرَا[٥]

(٣)

بيِّن مواطن التذييل ونوعه فى كل مثال من الأَمثلة الآتية :

(١) قال أَبو تمام يُعزى الخليفة فى ابنه .

تَعَزَّ أَميرَ المؤْمنين فإِنَّهُ ... لِمَاقَدْ ترَى يُغْذَى الصبىُّ ويُولَدُ[٦]

هلِ ابنُكَ إلَّامِنْ سُلَالَةِ آدمٍ ... لِكلٌّ عَلَى حوْضِ المنِيَّةِ موْرِدُ

(٢) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه :

تَبَدَّلَ دارًا غَيْرَ دَارِى وجِيرَةً ... سِوَاىَ وأَحْداثُ الزَّمانِ تَنُوبِ

(٣) فإن أَكُ مَقْتُولًا فكُنْ أَنْتَ قاتِلِى ... فَبعْض منَايا القَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) قال تعالى : « ذَلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهلْ نجازِى إلا الكَفُور » .

---

(١) شاعر عصره وكاتبه ، نسب إلى بوست (قرب سجستان) وقد ولى كتابة ديوانها ، ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤٠٠ هـ ، وله ديوان شعر .

(٢) يقول : إن الدهر قلب لا يدوم على حال ، فإذا سر إنساناً فى صباح يومه أساء إليه فى مسائه ، ومن سره زمن ساءته أزمان .

(٣) هو خويلد بن مرة أحد بنى هذيل ، وهو من فرسان العرب وفتاكهم ، شاعر مخضرم ، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين ، وكان عداء ، وخراش ابنه ، وعروة أخوه .

(٤) الصبر الجميل : هو الذى لا شكوى فيه .

(٥) أن فى البيت مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يقول : إن المقدور آت لا محالة وإن تأخر ، وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

(٦) تعز : تصبر ، يقول : تصبر يا أمير المؤمنين ، فإن الموت سبيل كل حى ، والصبى لا يولد ولا يغذى إلا استعداداً للموت .

(٤)

بين مواطن الاحتراس وسببَ الإتيان به فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو الحسين الجزار[1] فى المديح :

وَيَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى إِذَا ما مَدَحْتُه ... كما اهتزَّ حَاشَا وَصْفِه شاربُ الخمرِ

(٢) وقال آخر :

وما بى إلى ماءٍ سِوَى النِّيلِ غُلَّةٌ ... وَلَوْ أَنهُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ زَمْزَمُ

(٣) وقال عنْترَة :

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِى ... أَغْشَى الْوغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ[2]

(٤) وقال كَعْب بن سعيد الْغَنَوِى :

حليمٌ إِذَا ما الحلمُ زَيَّنَ أَهلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ فِى عَيْنِ الرِّجال مهيبُ[3]

(٥)

بيِّن مواقع الإطناب والغرض منه فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « إِنَّ اللهَ يـأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وإِيتاءِ ذِى القُرْبى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ وَالبَغْى » .

(٢) وقال أَيضاً : « حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الْوُسْطَى » .

(٣) وقال الشاعر :

والسَّعْى فِى الرِّزْقِ والأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ ... بَغْىٌ أَلا إِنَّ بَغْىَ المَرْءِ يَصْرعُهُ

(٤) وقال تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين ثُمَّ مَا أَدرَاكَ مَا يَومُ الدِّين ».

---

(١) شاعر مصرى رقيق ، تظهر فى شعره خفة الروح المصرية ، ولد سنة ٦٠١ هـ ومات سنة ٦٧٢ هـ .

(٢) الوقيعة : القتال ، والوغى فى الأصل : صوت المقاتلة فى الحرب ثم استعمل فى الحرب نفسها ، يقول : إنه يغشى الحرب شجاعة ، فإذا كانت الغنيمة كف عفة ؛ لأنه لا يقاتل لأجلها .

(٣) يقول : هو حليم فى المواطن التى يحمد فيها الحلم ، وهو مع حلمه مهيب فى أعين الرجال .

(٥) وقال تعالى : « وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يا قَوم إِنَّما هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ . وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار » .

(٦) وقال تعالى : « ٱسلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سوءٍ » .

(٧) وقال الحماسىُّ :

أَسِجْناً وَقَيْدًا واشتياقاً وغُرْبَةً ... وَنَأْىَ حَبيبٍ ؟ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ

وَإِنَّ امْرَءًا دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ ... عَلَى مِثْلِ هــذَا إِنَّه لَكَرِيمُ

(٨) وقال تعالى :

«فَوَسْوَسَ إِليه الشَّيْطانُ قَالَ يَا آدمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ » .

(٩) وقال إبراهيم بن المهدىّ فى رثاء ابنه :

وإِنِّى وَإِنْ قُدِّمْتَ قَبْلِى لعَالِمٌ ... بِأَنِّى وَإِنْ أُخِّرْتُ مِنْكَ قَرِيبُ

(١٠) قال تعالى : « وَيَجْعَلُونَ لِلهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُون » .

(١١) وقال أَوس بن حَجَر[1] :

وَلَسْتُ بخابِىءٍ أَبَدًا طَعَاماً ... حِذَارَ غَدٍ لِكلّ غَدٍ طَعَــامُ

(١٢) قال تعالى : « ولتكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ » .

(١٣) وقال تعالىٰ : « إِنَّ مِن أَزْوَاجِكمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فإِن اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ » .

(١٤) وقال تعالى : « وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ » .

(١٥) قال تعالى : « يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ والقَمر رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ » .

---

(١) من شعراء الجاهلية وفحولها يجيد فى شعره ما يريد ، وهو من الطبقة الثانية ، وعمر طويلا وكانت وفاته أول ظهور الإسلام .

(٦)

بيِّن ما تراه فى الأَبيات الآتية من العيوب البلاغية :

(١) قال أَبو نواس :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْماً وَيَوْماً وَثالِثاً وَيوْماً لَه يَوْمُ التَرَحُّلِ خامِسُ[1]

(٢) وقال النابغة فى وَصف دار :

تَبَيَّنْتُ آياتٍ لَها فَعَرَفْتُها لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا العَام سَابِعُ

(٣) وقال أَبو العتاهية :

ماتَ واللهِ سَعِيدُ بْنُ وَهْب رحِمَ اللهُ سَعِيدَ بْن وَهْبِ

يا أَبا عُثمانَ أَبْكَيْتَ عَينِى يَا أَبا عُثْمانَ أَوْجَعْتَ قَلبِى

(٧)

تدبر الكلام الموجز الآتى ثم ضعه فى أسلوبين من إنشائك يكون فى أحدهما مساوياً لمعناه ، وفى الآخر زائدًا على معناه :

أَمَّا بعد فعِظِ الناس بِفِعْلِكَ ، وَاسْتَحْيِ من اللهِ بقَدْرِ قربهِ منك ، وخَفْه بقدر قدْرته عليك

(٨)

لماذا كان كل مثال به فصل لكمال الاتصال ضرباً من الإطناب ؟ مثِّل بأَمثلة مختلفة ، وبيِّن نوع الإطناب فى كل مثال .

(١) هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام ، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص ، وبيِّن فائدة الزيادة التى تضمنها الكلام فى كل مثال .

(٢) هات مثالين للاعتراض ، وبيِّن فائدته فى المثالين .

---

(١) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام ، عد منها ثلاثة فى الشطر الأول ، ثم أضاف إليها خمسة فى الشطر الثانى ، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس ، أى خمسة أيام أخرى .

(٣) هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن ، وبيِّن غرضك منه فى كل مثال ، واستوف أغراض التكرار التى عرفتها .

(٤) هات مثالين للتذييل الجارى مجرى المثل ، وآخرين للتذييل الذى لم يجر مَجْرَى المثل .

(٥) هات مثالين للاحتراس .

(٩)

اشرح بَيْتَى المتنبى فى وصف شِعْب بَوان[١] ، وبيِّن نوع الإطناب فيهما :

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سـار فيها ... سُلَيْمَانُ لَسَار بِتَرْجُمَـانِ[٢]

طَبَتْ فُرْسَانَنَا والْخَيْلَ حتى ... خشِيتُ وَإنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرانِ[٣]

أَثر عِلم المعانى فى بَلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعانى فى أمرين اثنين :

الأَول أنه يبيِّن لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التى يقال فيها ، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذى قيل فيه ، ويناسب حال السامع الذى أُلقِى عليه ، وقديماً قال العرب : لكل مقام مقال .

فقد يؤكد الخبر أَحياناً كما علمت ، وقد يُلقى بغير توكيد ، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أَو تردد أَو إنكار . ومناهضة هذا الأَصل بِلاَ داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة . انظر إلى قوله تعالى فى شأْن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أَهل أَنطاكية : «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا

---

(١) شعب بوان : موضع عند شيراز ، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا .

(٢) الجنة : الجن ، جعل الشعب لغرابة مناظره كأنه منزل للجن ، ويقول : إن لغة أهله بعيدة عن الأفهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لا حتاج إلى من يترجم له .

(٣) طباه : دعاه واستماله ، والحران فى الدابة : أن تقف مكانها فلا تبرح .

إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ، فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُون ، قَالُوا ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ، ومَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ، قَالوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُون » .

فإن الرسل حين أَحَسُّوا إنكارهم فى المرة الأُولى اكْتفوْا بتأْكيد الخبر « بإِنَّ » . فقالوا : « إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلونَ » ، فلما تزايد إنكارهم وجحودُهم قالوا : « رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلونَ » . فأَكدوا بالقَسَم وإنَّ واللام .

وقد تَخْفَى هذه الدقائق على غير أَهل اللغة ، رُوِى أَن الكِنْدِيّ[١] رَكِبَ إلى أَبى العباس المبرِّد[٢] وقال له : إنى لأَجد فى كلام العرب حشواً !

فقال أَبو العباسِ : أَيْن وجدتَ ذلك ؟ فقال . وجدتهم يقولون : « عبدالله قائم » ثم يقولون : « إن عبدَ الله قائم » ثم يقولون : « إن عبد الله لقائم » فالأَلفاظ مكرّرة والمعنى واحد ؛ فقال أَبو العباس : بل المعانى مختلفة . فالأَول إخبارٌ عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال ، والثالث ردٌّ على منكرٍ .

كذلك يوجب علم المعانى أَن يخاطَب كلُّ إنسان على قدر استعداده فى الفهم ونصيبه من اللغة والأَدب فلا يُجيزُ أَن يخاطب العامىُّ بما يخاطَبُ به الأَديب الْمُلِمُّ بلغة العرب وأَسرارها .

قال بعضهم لبَشار بن بُرْدٍ : إنك لَتَجىءُ بالشىء الهجين المتفاوت ؛ قال : وما ذاك ؟ قال . بينما تثير النقْعَ وتَخْلَعُ القلوب بقولك :

إِذَا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمْطِرَ الدَّمَا

إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ... ذُرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية ، برع فى الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ، نبغ وليس فى المسلمين فيلسوف غيره ، وحذا فى تأليفه حذو أرسطو .

(٢) هو شيخ أهل النحو والعربية ، وله التآليف النافعة فى الأدب ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر ، وتوفى سنة ٢٨٥ هـ .

نراك تقول :

رَبَابَةُ رَبَّة البَيْتِ تَصُبُّ الخَلَّ فى الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْت

فقال بشار : لكلٍّ وَجْهٌ وموضع ؛ فالقول الأوّل جدٌّ ، والثانى قلتُه فى رَبَابَة جاريتى ، وأنا لا آكل البَيْض من السوق ، وَرَبابَة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهى تجمع لى البيض ، فهذا القول عندها أَحْسَنُ من « قِفَا نَبك مِنْ ذكرى حَبيب وَمَنْزِلِ » عندك .

وكثيرًا ما تجد الشَّاعر يَسْهُلُ أَحْياناً وَيَلين حتى يُشْبه شعره لغة الخطاب ، ويخشُن آونة ويصلُب حتى كأنه يَقذفك بالجَلْمَد ، كل ذلك على حسب موضوعه الذى يقول فيه والطبقة التى يُنشدها شعرَه . ومن خير الأَمثلة لهذا النوع أَبو نواس ؛ فإنه فى خمرياته غيرُه فى مدائحه ووصفه .

واعتبر هذا الأَصل بما كان من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما أَراد أن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أَسهل الأَلفاظ وأَوضحها فقال :

« من محمد رسولِ الله إلى كسرَى عظيم فارس ؛ سلامٌ على من اتبع الهدى وآمنَ بالله ورسوله ، وأَدعوكَ بدِعايةِ الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذرَ من كان حيًّا وَيَحِق القولُ على الكافرين ، فأَسلمْ تسلمْ ، فإن أَبَيْتَ فإثمُ المجوس عليك » .

وَحين أَراد أن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحبِ دومَةِ الجَنْدَل فَخَّمَ الأَلفاظ وأَتى بالجزْل النادر فقال :

« من محمد رسول الله لأُكَيْدِر حين أَجاب إلى الإِسلام وخَلَع الأَنداد والأَصنام ، إن لنا الضَّاحيةَ[١] من البَعْل[٢] وَالبُور[٣] وَالمَعَامىَ[٤] وأَغفَالَ الأَرض[٥] وَالْحَلْقَةَ[٦] وَالسلاح ، وَلكم الضَّامِنَةُ من النَّخل[٧] والمعين[٨] من

(١) الضاحية (من النخل) : النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران .
(٢) البعل : النخل الراسخة عروقه فى الأرض . (٣) البور : الأرض الخراب التى لم تزرع .
(٤) المعامى : جمع معمى وهى الأراضى المجهولة . (٥) أغفال الأرض : الأراضى التى لا أثر للعمارة فيها .
(٦) الحلقة بسكون اللام : السلاح عاماً . (٧) الضامنة من النخل : ما كان داخلا فى العمارة وأطاف بها سور المدينة . (٨) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير .

المعمور ، لاَ تُعْدل سارِحَتُكم [١] ولا تُعَدُّ فاردَتُكم [٢] ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبات ، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة ، عليكم بذلك عهدالله وميثاقه » .

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أَيضاً فيما يتصرّف فيه القائل من إيجاز وإطناب ؛ فللإيجاز مواطنه ، وللإطناب مواقعه ، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول ؛ فالذكيّ الذى تكفيه اللَّمحة يحسن له الإيجاز ، والغبيّ أَو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب .

وإذا تأَملت القرآن الكريم رأَيته إذا خاطب العرب والأَعراب أَوجز كلّ الإيجاز ، وأَخرج الكلام مخرج الإشارة والوحْى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أَو حكى عنهم أَسهب وأَطنب ، فمما خاطب به أَهل مكة قوله تعالى :

« إنَّ الذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً ولَو اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذبابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلوبُ » .

وقَلما تَجدُ خِطاباً لبنى إسرائيل إلّا وهُو مسهب مطوّلٌ ، لأَن يهودَ المدينة كانوا يرون أَنفسهم أَهل علم وأَهل كتاب فتجاوزوا الحد فى المكابرة والعناد ، وقد يكون القرآن الكريم نزَّلهم منزلة قصار العقول فأَطنب فى الحديث إليهم ، ويشهد لهذا الرأْى ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما فى أَسفارهم .

وللإيجاز مواطن يحسن فيها ، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك ، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقَصص والخطابة فى أَمر من الأُمور العامة ، وللذوق السليم القولُ الفصل فى هذه الشئون .

* * *

أَما الأَمر الثانى الذى يبحث فيه عِلْم المعانى فهو دراسة ما يستفاد

---

(١) لا تعدل سارحتكم . السارحة : الماشية ، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده .

(٢) لا تعد فاردتكم . الفاردة : الزائدة على الفريضة ، يقول : لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب .

من الكلام ضمناً بمعونة القرائن ، فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنًى ولكنه قد يؤدى إليك معنى جديدًا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التى قيل فيها ، فيقول لك إن الخبر قد يفيد التحسر ، والأمر قد يفيد التعجيز ، والنهى قد يفيد الدعاء ، والاستفهام قد يفيد النفى ، إلى غير ذلك مما رأيته مفصَّلًا فى هذا الكتاب .

ويقول لك إن الخبر قد يلقى مؤكدًا لخالى الذهن ، وقد يلقى غيرَ مؤكد للمنكر الجاحد ، لغرض بلاغىّ بديع ، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام .

ويرشدك علمُ المعانى إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب مناحىَ شتى ، كأن يتجه إلى القصر الإضافى رغبةً فى المبالغة ، فيقول المتفائل :

وما الدنيا سِوَى حُلمٍ لَذيذ ... تُنَبِّهُهُ تَبَاشِيرُ الصَّبَاح

ويقول المتشائم :

هَلِ الدَّهْرُ إلَّا لَيْلَةٌ طال سُهْدُهَا ... تَنَفَّسُ عَنْ يَوْمٍ أَحَمَّ عَصِيب

وقد يكون من مرامى القصر التعريضُ كقوله تعالى : « إنما يتذكرُ أولو الألباب » إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم فى حكم من لا عقل له .

ويَهديك علم المعانى إلى أن من أغراض الفصل فى بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته فى ذهن السامع ، كما فى الفصل لكمال الاتصال وشبهه .

ولعل فى هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً فى بيان ما لعلم المعانى من الأثر فى بلاغة الكلام ، وما يُمَدُّ به الناشىء فى الأدب من أساليب ، وما يرسمُ له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التى تقال فيها .

علم البديع

عرفتَ فيما سبق أن علم البيان وسيلةٌ إلى تـأدية المعنى بـأَساليبَ عدة بين تشبيه ومجاز وكناية ، وعرفت أن دراسة علم المعانى تُعِينُ على تـأدية الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، مع وفائه بغرض بلاغىٍّ يُفْهَمُ ضمناً من سياقه وما يُحيط به من قرائن .

وهناك ناحية أُخرى من نواحى البلاغة ، لا تتناول مباحث علم البيان ، ولا تنظر فى مسائل علم المعانى ، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الأَلفاظ أَو المعانى بـأَلوان بديعة من الجمالِ اللفظىّ أَو المعنوىّ ، ويسمى العلمُ الجامع لهذه المباحث بعلم البديع . وهو يشتمل كما أَشرنا على محسناتٍ لفظية ، وعلى محسنات معنوية ، وإنا ذاكرون لك من كل قسم طرَفاً .

المحسِّناتُ اللفظيَّة

(١) الجِناس

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » .

(٢) وقال الشاعر فى رثاءِ صغير اسمه يَحْيَى :

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إلى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبِيلُ

* * *

(٣) وقال تعالى : « فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ » .

(٤) وقال ابن الفارض[1] :

هَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ[2]

(٥) وقالت الخنساءُ من قصيدة تَرْثى فيها أخاها صخرًا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشِّفَا ... ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ[3]

(٦) وقال تعالى حكايةً عن هَرون يخاطب موسى :

«خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ» .

البحث :

تأمل الأَمثلة السابقة تجد فى كل مثال كلمتين تجانس إحداهما لأخرى وتشاكلها فى اللفظ. مع اختلاف فى المعنى ، وإيرادُ الكلام على هذا الوجه يسمى **جناساً** .

فى المثال الأَول من الطائفة الأُولى تجد أن لفظ «الساعة» مكررٌ مرتين ، وأن معناه مرةً يومُ القيامة ، ومرة إحدى الساعات الزمانية ، وفى المثال الثانى ترى «يَحْيِى» مكررًا مع اختلاف المعنى . واختلافُ كل كلمتين فى المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما فى نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسَمَّى **جناساً تامًّا** .

وإذا تأَمَّلتَ كلَّ كلمتين متجانستين فى الطائفة الثانية رأيت أَنهما اختلفتا فى ركن من أركان الوفاق الأَربعَة المتقدمة ، مثل تَقْهَرْ وتَنْهَرْ ، ونَهَاكَ وَنُهَاكَ . والجَوَى والْجَوانحِ ، وَبَيْنَ وَبَنِى ، على ترتيب الأَمثلة ، ويُسمى ما بين كل كلمتين هنا من تجانس **جناساً غير تام** .

---

(١) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد ، أشعر المتصوفين ، أصله من حماة ، ومولده فى القاهرة ، وله ديوان شعر ، وتوفى بمصر سنة ٦٣٢ هـ وقبره معروف يزار .

(٢) النهى : جمع نهية وهى العقل ، ويلفى : يوجد .

(٣) الجوى : الحرقة وشدة الوجد ، الجوانح : الأضلاع التى تحت الترائب وهى مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر ، والواحدة جانحة .

والجناس فى مذهب كثير من أهل الأَدب غير محبوب ؛ لأَنه يؤَدى إلى التعقيد ، ويَحول بين البليغ وانطلاق عِنانه فى مِضمار المعانى ، اللهم إلا ما جاءَ منه عفوًا وسَمَحَ به الطبع من غير تكلف .

القاعدة :

(٦٨) الجِنَاسُ أَن يَتَشَابَهَ اللفظانِ فى النُّطْق وَيَخْتَلِفَا فى الْمَعْنى . وهُوَ نَوْعان :

(١) تَامٌّ : وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظانِ فى أُمور أَربعةٍ هِىَ : نَوْعُ الحُروفِ ، وشَكلها ، وعَدَدُها ، وتَرْتيبُهَا .

(ب) غَيْرُ تَامٍّ : وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان فى واحدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

تمرينات

(١)

فى كل مثال من الأَمثلة الآتية جناس تام ، فبيِّن موضعه :

(١) قال أَبو تمام :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزمَان فإِنَّه ... يَحْيَا لَدَى يَحْيى بْنِ عبد اللهِ

(٢) قال أَبو العلاء المعرىّ :

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسَاناً يُلاذُ بِهِ ... فَلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدّهْرِ إِنْسَانا[1]

(٣) وقال البُسْتىّ .

فَهِمْتُ كتَابَكَ يَا سَيِّدِى ... فَهِمْتُ وَلاَ عَجَبٌ أَنْ أَهِيمَا

(١) يلاذ به : يلجأ إليه ، وإنسان العين : المثال الذى يرى فى السواد .

(٤) وقال يمدح :

بِسَيْفِ الدَّوْلةِ اتَّسَقَتْ أُمُورٌ ... رأَيْنَاهَا مُبدَّدَة النِّظَامِ [١]

سَمَا وَحَمَى بَنِي سامٍ وَحَامٍ ... فليسَ كَمِثْلِهِ سَامٍ وحامٍ

(٥) وقال أبو نُوَاس :

عَبَّاسُ عبَّاسٌ إذَا احتَدَمَ الوَغَى ... وَالفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ ربيعُ [٢]

(٢)

فى كل مثال من الأَمثلة الآتية جناس غير تام ، فوضحه وبيِّن لم كان غير تام ؟

(١) قال تعالى : « وإذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِن الأَمْنِ أو الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ [٣] »

(٢) وقال تعالى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » .

(٣) وقال ابن جُبَيْر الأَندلسى [٤] :

فَيَارَاكِبَ الوَجْنَاءِ هل أَنْتَ عَالِمٌ ... فِدَاؤُكَ نَفْسِى كَيْفَ تلكَ الْمَعَالِمُ [٥]

(٤) وقال الحريرى [٦] يصِفُ هُيام الجاهل بالدنيا .

مَا يسْتَفِيقُ غَــراماً ... بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ [٧]

---

(١) اتسقت : انتظمت . (٢) عباس فى أول البيت هو عباس بن الفضل الأنصارى ، قاض من رجال الحديث ، ولى قضاء الموصل فى عهد الرشيد وتوفى بها سنة ١٨٦ هـ ، وكلمة عباس الثانية صيغة مبالغة من عبس وجهه إذا كلح وتجهم . والفضل الأول هو الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد ثم وزير الأمين ، والفضل الثانى الشرف والرفعة . والربيع الأول هو الربيع بن يونس وزير المنصور العباسى ، والربيع الثانى الخصب والنماء . (٣) يقول : إذا جاء ضعفاء الإيمان نبأ نصر أو هزيمة أفشوه ونشروه . (٤) رحالة عنى بالأدب وبلغ الغاية فيه ، وتقدم فى صناعة التمريض والكتابة ، وأولع بالأسفار ، ومات بالإسكندرية سنة ٦١٤ هـ .

(٥) الوجناء : الناقة الشديدة . (٦) هو أبو عبد الله محمد القاسم صاحب المقامات الحريرية ، كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة فى عمل المقامات . ومن عرفها حق المعرفة استدل بها على فضل الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه. وله غيرها تآليف حسان ، توفى بالبصرة سنة ٥١٠ هـ .

(٧) الصبابة بالفتح : حرارة الشوق .

ولَوْ دَرى لكَفَـاهُ مِمَّا يَرُوم صُبابَهْ[١]

(٥) وقال عبد الله بن رواحَةَ[٢] يمدح النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وسلمَ ، وقيل إنه أمدح بيت قالته العرب :

تَحْمِلهُ النَّاقةُ الأَدْماءُ مُعْتَجِرًا بالبُرْدِ كالبَدْرِ جلَّى نُورُهُ الظُّلَمَا[٣]

(٣)

بيِّن مواضع الجناس فيما يأتى وبين نوعه فى كل مثال :

(١) قال البحترى فى مطلع قصيدة :

هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ تَلاَقٍ تَلاَفِى أَمْ لِشاكٍ مِنَ الصَّبابةِ شافِى

(٢) وقال النابغة فى الرثاء :

فَيَالَكَ مِنْ حَزْمٍ وعَزْمٍ طَوَاهُما جَدِيدُ الرَّدَى بَيْنَ الصَّفاوالصَّفائح[٤]

(٣) وقال البحترى :

نَسِيمُ الرَّوضِ فى رِيحٍ شَمالٍ وصوْبُ المُزْنِ فى راحٍ شمول[٥]

(٤) وقال الحريرى :

لا أُعْطِى زمامِى مَن يُخْفرُ ذِمَامِى[٦] ، ولا أَغْرِسُ الأَيادِى فى أَرض الأَعادى .

(٥) وقال : لهم فى السيْرِ جَرْىُ السَّيْلِ ، وإلى الخَيْرِ جَرْىَ الخيل .

(٦) قال البحترى :

فَقِفْ مُسْعِدًا فِيهِنَّ إنْ كُنْتَ عَاذِرًا وسِرْ مُبْعِدًا عَنْهُنَّ إن كنتَ عاذِلا

---

(١) الصبابة بالضم : بقية الماء فى الإناء . (٢) صحابى جليل وشاعر من الشعراء الراجزين ، شهد غزوات كثيرة ، واستخلفه النبى صلى الله عليه وسلم على المدينة فى إحدى غزواته ، ومات سنة ٨ هـ .

(٣) الناقة الأدماء : الشديدة البياض ، والمعتجر : الملتف ، وجلى : كشف .

(٤) الصفا : الحجارة ، الواحدة صفاة ، والصفائح : حجارة رقاق تبلط بها الدور وتسقف بها القبور . (٥) الصوب : نزول المطر ، والمزن : جمع مزنة وهى السحابة البيضاء ، والراح : الخمر ، والشمول : الخمر تنفحها ريح الشمال ، يصف البحترى بذلك أخلاق ممدوحه .

(٦) يخفر ذمامى : ينقض عهدى .

(٧) وقال أبو تمام :

بيضُ الصَّفَائِح لاَسُودُ الصَّحائِفِ فى مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيبِ[١]

(٨) وقال تعالى :

« ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فى الأَرضِ بِغَيْرِ الحقِّ وَبِما كنْتُمْ تمْرَحُونَ[٢] »

(٩) وقال عليه الصلاة والسلام :

« الخيلُ معقود بنَواصيها الخَيْرُ[٣] » .

(١٠) وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وكنَّا متى يَغْزُو النبيُّ قبيلةً نَصِلْ جانِبيهِ بالقَنَا والقَنَابِلِ[٤]

(١١) وقال أبو تمام :

يَمُدُّونَ مِن أَيْدٍ عَوَاصٍ عواصمٍ تَصُول بأَسيافٍ قَوَاضٍ قَواضِبِ[٥]

(١٢) لا تُنالُ الغُرَرُ إلاَّ بركوبِ الغَرَرِ[٦]

(٤)

هات مثالين من إنشائك للجناس التام ، ومثالين آخرين لغير التام ، وراع أَلَّا يظهر فى كلامك أثر للتكلف .

(٥)

اِشرح قول أَبى تمام وبين نوع الجناس الذى فيه :

ولمْ أَرَ كالمعْرُوف تُدْعَى حُقُوقُهُ مَغارِمَ فى الأَقوامِ وَهْىَ مَغَانِمُ[٧]

---

(١) بيض الصفائح : كناية عن السيوف ، وسود الصحائف : الكتب ، ومتن السيف : حده .

(٢) المرح : شدة الفرح . (٣) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم الرأس .

(٤) القنا : جمع قناة وهى الرمح . (٥) عواص : جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا ، وعواصم : من عصمه إذا حفظه وحماه ، وقواض من قضى عليه إذا حكم ، وقواضب : من قضبه إذا قطعه . (٦) الغرر : بالضم جمع غرة ، وغرة كل شىء أوله ، والغرر بفتحتين : الخطر .

(٧) المغارم : جمع مغرم وهو ما يلزم أداؤه ، والمغانم : جمع مغنم وهو الغنيمة .

(٢) الاِقْتِباس

الأَمثلة :

(١) قال عبد المؤمن الأَصفَهانى[١] :

لَا تَغُرَّنَّكَ مِنَ الظَّلَمَةِ كثرةُ الجيوشِ والأَنصار «إنما نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ[٢] فِيهِ الأَبْصَارُ» .

(٢) وقال ابنِ سناء المُلك[٣] :

رَحَلُوا فَلَسْتُ مُسَائِلاً عَنْ دَارِهِمْ
أَنَا «بَاخِعٌ نَفْسِى عَلَى آثَارِهِمْ»[٤]

(٣) وقال أَبو جعفر الأَندلسى[٥] :

لَا تُعَادِ الناسَ فى أَوْطَانِهِمْ ... قَلَّمَا يُرْعَى غريبُ الوطن[٦]
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشاً بَيْنَهُمْ ... «خَالِقِ الناسَ بِخُلْقٍ حَسَنٍ»

البحث :

العبارتان اللتان بين الأَقواس فى المثالين الأَولين مأخوذتان من القرآن الكريم ، والعبارة التى بين قوسين فى المثال الثالث من الحديث الشريف ، وَقد ضَمَّن الكاتب أَو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أَن يُصَرح بأَنها من القرآن أَو الحديث وغرضه من هذا التضمين أَن يَسْتَعِيرَ

---

(١) أديب مشهور متصوف وله كتاب يدعى أطباق الذهب رتبه على مائة مقالة عارض بها الزمخشرى . (٢) يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . (٣) هو القاضى السعيد هبة الله ، كان من الرؤساء النبلاء ، وكان واسطة العقد فى مجالس الشعراء بمصر وهو أول من استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشارقة ، وله ديوان شعر ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٠٨ هـ .

(٤) بخع نفسه : قتلها غماً . (٥) أديب قوى الإدراك ، أجاد فى فنى النظم والنثر ، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات ، وله ديوان شعر ، وتوفى نحو سنة ٧٧٢ هـ.

(٦) يرعى غريب الوطن : أى يلحظ بالإحسان .

من قوتها قوة ، وأن يكشف عن مهارته فى إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذى أخذه ، وهذا النوع يسمى اقتباساً ؛ وإذا تأملتَ رأيتَ أن المُقْتَبِس قد يُغَيِّر قليلًا فى الآثار التى يقْتَبِسُها كالمثال الثانى إذ الآية : « فَلعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثارِهِمْ » .

القاعدة :

(٦٩) الاقْتِباسُ تَضْمِينُ النَّثْر أَو الشِّعْر شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ الكريمِ أَو الحديثِ الشريفِ مِنْ غَيْرِ دلالة عَلَى أَنَّهُ منهما ، ويَجُوز أَنْ يُغَيِّرَ فى الأَثَرِ الْمُقْتَبَسِ قليلًا .

تمرينات

(١)

بيِّن فى كل اقتباس مما يأتى حُسْنَ تأَتِّى البليغ فى إحكام الصلة بين كلامه والكلام المُقتَبس :

(١) اغتنم فَوْدَكَ[١] الفاحِمَ[٢] قبل أن يَبْيَضّ ، فإنما الدُّنيا « جِدَارٌ يريد أن يَنقضّ[٣] » .

(٢) وكتب القاضى الفاضل[٤] فى الرد على رسالة :

وَرَدَ على الخادِمِ الكتابُ الكريمُ فشكره « وَقَرَّبه نَجِيًّا[٥] » ، « ورفعه مكاناً عَلِيًّا » ، وَأَعادَ عليه عصرَ الشبابِ « وَقَدْ بلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا[٦] » .

(١) الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . (٢) الفاحم : الأسود .
(٣) ينقض : يسقط . (٤) كاتب من أئمة الكتاب ، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه ، وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الإنشاء ، وله طريقة فى الكتابة عمادها السجع والتورية تعرف بالطريقة الفاضلية ، حاكاه فيها من جاء بعده من الأدباء ، ولد بعسقلان ، وتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ .
(٥) النجى : الذى تساره ، ومعنى قربه نجياً : جعله مناجياً .
(٦) عتياً : مصدر عتا الشيخ إذا كبر وولى .

وقال فى حَمَام الزَّاجل :

وقد كادت أن تكونَ من الملائكةِ فإذا نِيطَتْ بها الرِّقاع[1] صارت «أولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاَثَ وَرُبَاع » .

(٤) ومن كتاب لمُحْيِى الدين عبد الظاهر[2] :

لا عَدِمتِ الدولة بِيضَ سيوفهِ التى « يَرَى بها الَّذِين كَذَبُوا على الله وجُوهَهمْ مُسْوَدَّة » .

(٥) وقال الصاحب[3] :

أَقُولُ وقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابًا ... مِنَ الهجْرَان مُقْبِلَةً عَلَيْنَا

وقَد سَحَّتْ غَوادِيها بِهَطلٍ ... « حَوالَيْنَا » الصَّدُودُ « ولاعلينا »[4]

(٦) رُب بخيلٍ لَوْ رَأَى سائِلاً ... لَظَنَّهُ رُعْباً رَسُولَ المَنُونْ

لاَ تطْمعُوا فى النَّزْرِ من نَيْله ... « هيْهاتَ هَيْهَاتَ لما تُوعَدون »

(٢)

اقتبس الآيات الكريمة الآتية مع إجادة الاقتباس وإحكامه :

(١) إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُم .

(٢) ولا يحيقُ المكْرُ السيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِه .

(٣) قُلْ هلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذِينَ لا يَعْلَمُون .

(٤) ولاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبيرٍ .

(٥) إنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .

---

(١) نيطت بها الرقاع : علقت فى أعناقها الرسائل . (٢) كان من أعظم الكتاب المقدمين فى دولة المماليك ، ويمتاز ببراعته فى كتابة الدواوين فى ذلك العصر ، ولد سنة ٦٢٠ هـ وتوفى سنة ٦٩٢ هـ . (٣) وزير غلب عليه الأدب ، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلا وتدبيراً ، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمى ، وشعره عذب رقيق ، وتوقيعاته آية الإبداع فى الإنشاء ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ . (٤) سح المطر : سال ، والغوادى : السحب تنشأ صباحاً جمع غادية ، والهطل : تتابع المطر وسيلانه ، يقول : جاءت سحبه بمطر متتابع .

(٣)

صُغ عباراتٍ تَقْتَبِسُ فى كلٍّ منها حديثاً من الأَحاديث الشريفة الآتية مع العناية بحسن وضعها :

(١) كلُّ معروفٍ صدقَةٌ .

(٢) إذَا لم تَسْتَحِى فاصنعْ ما شِئْتَ .

(٣) الظلمُ ظلماتٌ يَومَ القيامة .

(٤) الأَرْوَاح جُنُودٌ مجنَّدة .

(٤)

اشرح قولَ ابن الرُّومى فى الهجاء وبَيِّن حسن الاقتباس فيه :

لَئن أَخْطَأْتُ فى مَدْحِيِ ... لكَ ما أَخْطَأْتَ فى مَنْعى

لَقَدْ أَنزلتُ حاجاتى ... «بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ»

(٣) السَّجْع

الأَمثلة :

(١) قال صلى الله عليه وسلم :

«اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خلَفاً ، وأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» .

(٢) وقال أَعرابى ذهَبَ بابنه السَّيْل :

اللهُمَّ إنْ كنْتَ قَدْ أَبْلَيْتَ ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ .

* * *

(٣) الحُرُّ إذَا وَعَدَ وَفى ، وَإِذَا أَعَانَ كَفَى، وَإِذَا مَلَكَ عَفَا .

البحث :

إذا تأملتَ المثالين الأولين وجدت كلاًّ منهما مركباً من فِقْرَتَين متحدتين في الحرف الأَخير ، وإذا تأملت المثال الثالث وجدته مركباً من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأَخير أيضاً ، ويسمى هذا النوع من الكلام **سجعاً**(١) . وتسمى الكلمة الأَخيرة من كل فقرة **فاصلة** ، وتُسَكَّن الفاصلةُ دائماً في النثر للوقف .

وأفضل السجع ما تساوت فِقَرُه ، ولا يحسنُ السجعُ إلَّا إذا كان رَصينَ التركيب ، سليماً من التكلف ، خالياً من التكرار في غير فائدة ، كما رأيت في الأَمثلة .

القاعدة :

(٧٠) السَّجْعُ تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ في الْحَرْفِ الْأَخِير (٢) ، وأَفْضَلُهُ ما تَسَاوَتْ فِقَرُهُ .

تمرينات

(١)

بيِّن السجع في الأَمثلة الآتية ، ووضِّح وجوه حسنه :

(١) قال صلى الله عليه وسلم :

رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قالَ خَيْرًا فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ .

(٢) وقال الثعالبي(٣) :

الحِقْدُ صَدَأُ القلوب ، واللَّجَاجُ سَبَبُ الحروب(٤) .

---

(١) تشبيهاً له بسجع الحمامة إذا هدرت .

(٢) السجع موطنه النثر ، وقد يجيء في الشعر كقول أبي الطيب :

فنحن في جذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل

(٣) هو أبو منصور النيسابوري ، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، وكان واحد عصره في العلم والأدب ، وله تآليف كثيرة منها فقه اللغة ويتيمة الدهر ، وشعره جيد ، وتوفي سنة ٤٢٩ هـ .

(٤) اللجاج : التمادي في الخصومة .

(٣) وقال الحريري :

ارتفاع الأخطار ، باقتحام الأخطار[1] .

(٤) وقال بعض البلغاء :

الإنسانُ بآدابه . لا بِزِيِّه وثيابه .

(٥) وقال أعرابي لرجل سأل لئيماً :

نَزَلْتَ بوادٍ غَيْرَ مَمْطورٍ ، وفناءٍ غَيْرِ معمور ، ورَجَلٍ غيرِ مَيْسور ، فأَقِمْ بِنَدَم ، أو ارتحل بعدم .

(٦) وقال أعرابي :

باكَرَنا وَسْميٌّ[2] ، ثم خَلَفَه وَلِيٌّ[3] ، فالأَرضُ كأَنها وَشْيٌ[4] مَنْشور ، عليه لؤلؤ منثور ، ثم أتتنا غيوم جَراد ، بمناجل[5] حَصاد ، فَجَرَدَت[6] البلاد ، وأهلكت العباد ، فسبحان من يُهلك القويَّ الأكول بالضعيف المأكول .

(٢)

(١) اقرأ الرسالة الآتيةِ ، وبيِّن جمال السجع فيها ، ثم حُلَّها وابْنِها بناء آخر لا سجع فيه . كتَب ابن الرومي إلى مَريض :

أذنَ اللهُ في شفائِك ، وتَلقَّى داءَك بدوائك ، ومَسَحَ بِيَدِ العافية عليك ، وَوَجَّه وفدَ السلامةِ إليك ، وجعل عِلَّتَك ماحيةً لذنوبك ، مضاعفة لمثوبتك .

---

(١) خطر الرجل : قدره ومنزلته ، والخطر أيضاً : الإشراف على الهلاك ، يقول : ارتفاع قدر الإنسان إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك .

(٢) الوسمي : مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات . (٣) الولي : المطر الثاني .

(٤) الوشي : نوع من الثياب ذو ألوان . (٥) المناجل : جمع منجل وهو ما يحصد به .

(٦) جردت البلاد : جعلتها قاحلة جرداء .

(٢) تفهم ما يأتى وهو مما يُنسب إلى علىّ بن أبى طالب كرمَ الله وجهه ، ثم حُله وابْنِه بناءً آخر مسجوعاً :

اتق الله فى كلِّ صباح ومَساء ، وخَفْ على نفسك الدنيا الغَرُور . ولا تـأمنها على حال ، واعلم أنك إن لم تَرْدَع نفسك عن كثيرٍ مما تحبُّ مخافة مكروهه ، سَمَتْ بِكَ الأهواءُ إلى كثير من الضرر .

(٣)

بيِّن أمِن المسجوع أم مِنَ المُرسَل ما يأتى ووضِّح السبب

كتب هشام[1] لأخيه وكان أظهر رغبته فى الخلافة :

أما بعد ، فقد بَلغنى اسْتِثْقَالُك حياتى ، واستبطاؤُك مماتى ، ولعَمْرى إنك بعدى لواهى الْجَنَاح ، أَجْذَمُ الكفِّ ، وما استوجبتُ منك ، ما ما بلغنى عنك .

(١) أحد ملوك الدولة الأموية فى الشام ، اجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزانة أحد من ملوك بنى أمية ، وتوفى سنة ١٢٥ هـ .

المحسنات المعنوية

(١) التَّوْرِيَة

الأَمثلة :

(١) قال سِرَاجُ الدين الوَرَّاق[1] :

أَصُونُ أَدِيمَ وجهِى عَنْ أُنَاسٍ لقاءُ الموتِ عِنْدَهم الأَديبُ
وَرَبُّ الشعرِ عندهُمُ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمُ «حبيبُ»

(٢) وقال نَصِيرُ الدين الحَمَّامى[2] :

أَبْيَاتُ شِعْرِكَ كالقُصـ ـورِ ولا قُصُورَ بهَا يَعوقْ[3]
ومِنَ العجَائبِ لَفْظُها حُرٌّ ومعناها «رَقيقْ»

(٣) وقال الشَّابُّ الظريف:[4]

تَبَسَّم ثَغْرُا اللَّوْز عَنْ طيبِ نَشْرِهِ
وأَقْبَلَ فى حُسْنٍ يَجِلُّ عَن الوصْف
هَلُمُّوا إِليه بَينَ قَصْفٍ ولَذَّة
فإِنَّ غصونَ الزَّهْرِ تَصْلُحُ «للقَصْفِ»

---

(١) شاعر مصرى رقيق ، برع فى التورية وغيرها من أنواع البديع ، وله شعر كثير جيد ، ولد سنة ٦١٥ ه ومات سنة ٦٩٥ ه .

(٢) كان يحترف باكتراء الحمامات بمصر ، فلما كبرت سنه اقتصر على الاستجداء بالشعر ، وشعره يدل على نبوغ وعبقرية ، مات سنة ٧١٢ ه

(٣) يعوق : أى يمنع من إدراك جمالها .

(٤) هو شمس الدين بن العفيف التلمسانى ، كان نابغة عصره ، وقد فتن بشعره لرقته وجماله الفنى ، ولد سنة ٦٦٢ ه ومات سنة ٦٨٧ ه فكانت حياته خمساً وعشرين سنة .

البحث :

كلمة «حَبيب» فى المثال الأَول لها معنيان : أَحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذى يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة «بَغِيض»، والثانى اسم أَبى تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أَوْس ، وهذا المعنى بعيد ، وقد أَراده الشاعر ولكنه تَلطف فَوَرَّى عنه وستره بالمعنى القريب . وكلمة «رَقيق» فى المثال الثانى لها معنيان : الأَول قريب متبادر وهو العبد المملوك وسببُ تبادُرِه إلى الذهن ما سبقه من كلمة «حُرّ»، والثانى بعيد وهو اللطيف السهل. وهذا هو الذى يريده الشاعر بعد أَن سترَه فى ظل المعنى القريب . وكلمة «القَصْفِ» فى المثال الثالث معناها القريب الكسْر ، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله . «فإن غصون الزهر» ومعناها البعيد اللعب واللهو ، وهذا هو المعنى الذى قصد إليه الشاعر بعد أَن احتال فى إخفائه ويسمى هذا النوع من البديع **تورية** ، وهو فنٌّ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام فى القرن السابع والثامن من الهجرة ، وأَتَوْا فيه بالعجيب الرائع الذى يدل على صفاء الطبع والقدرة على اللعب بأَساليب الكلام .

القاعدة

(١) التَّوْرِيَةُ أَنْ يَذْكُرَ المتكلِّمُ لَفْظاً مُفْرَدًا له مَعْنَيَانِ ، قَرِيبٌ ظاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ ، وَبَعِيدٌ خَفِيٌّ هُوَ المُرادُ .

تمرينات

(١)

اشرح التوريةَ فى كلِّ مثال من الأَمثلة الآتية شرحاً وافياً :

(١) قال سراجُ الدين الورَّاق :

كَمْ قَطَعَ الْجُنُودُ من لِسَان ... قَلَّدَ مِنْ نظْمِهِ النحُورا

فَها أَنَا شَاعرٌ سِرَاجٌ ... فاقْطَعْ لِسَانى أَزِدْكَ نُورا[1]

(١) قطع لسان الشاعر : أسكته بعطاياه عن هجائه ، ولسان السراج : فتيله .

(٢) وقال :

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي سُودٌ غَدَتْ وَصَحَائِفُ الأَبْرَارِ فِى إشراق
وَمُوَنِّبٍ لِي فِى القيامةِ قالَ لى أَكَذَا تكونُ صحائفُ «الورَّاقِ؟» [١]

(٣) وقال أبو الحسين الجزار :

كَيْفَ لا أشكرُ الجزارةَ ما عِشْـ تُ حِفاظاً وأَهْجُرُ الآدابا ؟
وبها صَارتِ الْكلابُ تُرَجِّيـ نى وبالشِّعْرِ كُنتُ أَرجُو الكلابا [٢]

(٤) وقال بدرُ الدين الذهبيُّ :

رِفْقاً بِخِلٍّ ناصح أَبلَيْتَهُ صَدًّا وَهَجْرا
وَافاك سَائِلُ دَمْعِهِ فَرَدَدْتَهُ فى الحال نَهْرا [٣]

(٥) وقال :

يا عاذِلى فيه قلْ لى إذا بَدَا كَيْفَ أَسْلُو؟
يَمُرُّ بى كل وقتٍ وَكلَّما مرَّ يَحلُو

(٦) وقال :

ورياضٍ وَقَفَتْ أَشْجارُها وتَمشَّتْ نَسْمَةُ الصُّبْحِ إليها
طَالَعَتْ أَوْراقَها شَمْسُ الضُّحا بَعْدَ أَنْ وَقَّعتِ الوُرْقُ عليها [٤]

(٧) وقال الشاب الظريف :

قَامتْ حُروب الدَّهْر مَا بين الرِّياضِ السُّنْدُسِيَّهْ
وَأَتَتْ بِأَجْمعِهَا لِتَغْـ زُوَ رَوْضَةَ الوَرْدِ الجنِيَّهْ
لكنهَا انكسرت لأَنَّ الوَرْدَ شَوْكتهُ قَوِيَّهْ

---

(١) من معانى الوراق بائع الورق أو الكتب . (٢) قد يراد بالكلاب مجازاً لئام الناس .
(٣) من معانى النهر أن يكون مصدر نهر ينهر بمعنى زجر .
(٤) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة ، ووقعت قد يكون من التوقيع وهو كتابة الاسم فى أسفل الكتاب .

(٨) وقال نَصِيرُ الدِّين الحَمَّامِيّ :

جُودُوا لِنَسْجَعَ بالمدي ح على عُلاكُمْ سَرْمَدَا
فالطيرُ أَحسن ما تغ ردُ عِنْدَ مَايَقَعُ النَّدَى(١)

(٩) وقال سراج الدين الورَّاق :

وقَفْتُ بأَطلال الأَحِبَّةِ سائلاً وَدَمْعِيَ يَسْقِى ثَمَّ عَهْدًا ومعهَدَ
ومِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُرَوِّى دِيارهُمْ وَحَظِّىَ مِنها حين أَسْأَلُها الصَّدَى(٢)

(١٠) وقال ابن الظاهر :

شُكْرًا لِنَسْمَةِ أَرْضِكم كم بَلَّغَتْ عنِّى تَحِيَّهْ
لا غرْوَ إنْ حَفِظَت أَحا ديثَ الهوَى فهىَ الذَّكِيَّهْ(٣)

(١١) وقال ابن نُباتَة المصرى (٤) :

والنَّهـــرُ يُشْــبهُ مِبْرَدًا فِلأَجْل ذَا يَجْلُو الصَّدَى(٥)

(٢)

لكل من الألفاظ الآتية أكثر من معنى ، فاستعمل كل لفظ فى مثال للتورية :
الجَد(٦) . حَكى . الراحة . القُصُور . عفَا(٧) . قَضَى(٨) . الجُفُون(٩) .

(٣)

فى أَى شىءٍ تُوافق التورية الْجِنَاسَ التامَّ ، وفى أى شىءٍ تخالفه ؟
مثِّل بمثال للتورية ، ثم حوله إلى الجناس التام .

---

(١) من معانى الندى : الجود ، وما يسقط من بلل آخر الليل . (٢) من معانى الصدى : الظمأ ، وما يجيبك بمثل صوتك . (٣) الذكى : سريع الفطنة أو ساطع الرائحة .

(٤) هو جمال الدين حامل لواء الشعر والنثر فى عصر المماليك ، وله ديوان شعر مطبوع ، ولد سنة ٦٨٦ هـ . ومات سنة ٧٦٨ هـ . (٥) الصدا بتسهيل الهمزة : وسخ الحديد ونحوه ، والصدى : العطش . (٦) الجد : الحظ أو أبو الأب أو أبو الأم . (٧) عفا : صفح ، وعفا المنزل : زال أثره . (٨) قضى : مات أو حكم . (٩) الجفون : أغطية العيون أو أغماد السيوف .

(٤)

هل تستطيع أن تضع كلمة التورية فى العبارات الآتية

(١) اشتدَّ حزنُ الرياض على الربيع وجَمَدَت . . .

(٢) الحمَام أَبلغ من الكتَّاب إذا . . .

(٣) قلبي جارُهم يوم رَحَلوا ودمعي . . .

(٥)

اشرح قول ابن دَانْيال طبيب العيون[1] وبَيِّن ما فيه من حلاوة التورية

يَا سائلِي عَنْ حِرْفَتِي فى الورَى ... واضَيْعَتِي فيهم وإفلاسِي

ما حالُ منْ دِرْهَمُ إنْفَـاقِهِ ... يَأْخذه من أَعْيُنِ الناس؟

(٢) الطِّباق

الأَمثلة

(١) قال تعالى : « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ[2] » :

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَة لِعَيْنٍ نَائِمَة[3] » .

* * *

(٣) وقال تعالى : « يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ » .

(٤) وقال السموءَل :

وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
وَلَا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ[4]

---

(١) هو شمس الدولة الموصلى، صاحب النظم الحلو والنثر العذب والنكت الغريبة، وكان له دكان للكحل داخل باب الفتوح ، مات بمصر سنة ٧١٠ هـ .

(٢) أيقاظاً : جمع يقظ ككتف ، ورقود : نيام ، جمع راقد .

(٣) يعنى أن خير المال عين ماء ينام صاحبها وهى تظل فائضة تسقى له أرضه .

(٤) معنى الشطر الثانى أنهم لشدة بأسهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم ما يقولون .

البحث :

إذا تأملت الأَمثلةَ المتقدمةَ ، وجدت كلاً منها مشتملاً على شيء وضده ، فالمثال الأَول مشتمل على الكلمتين : «أَيقاظاً» و «رقود» والمثال الثانى مشتمل على الكلمتين : «ساهرة» و «نائمة» .

أَما المثالان الأَخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أَحدهما إيجابىٌّ والاخر سَلبى ، وباختلافهما فى الإيجاب والسلب صارا ضدين ، ويسمى الجمع بين الشيء وضده فى الأَمثلة المتقدمة وأَشباهها طباقاً ، غير أنه فى المثالين الأَولين يدعى «طباق الإيجاب» وفى المثالين الأَخيرين يدعى «طباق السلب» .

القاعدة :

(٧٢) الطِّباقُ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضِده فى الكلامِ ، وهُوَ نَوْعان :

(أ) طِبَاقُ الإِيجابِ ، وَهُوَ ما لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ الضدَّان إيجَاباً وَسَلْباً .

(ب) طِبَاقُ السَّلبِ ، وَهُوَ ما اخْتَلَفَ فِيهِ الضِّدَّان إيجَاباً وَسَلْباً .

تمرينات

(١)

بين مواضع الطباق فى الأَمثلة الآتية ، ووضِّح نوعه فى كل مثال :

(١) قال تعالى : «أَوَمَنْ كان مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ» .

(٢) وقال دِعْبِل الخُزاعىُّ :

لا تعجَبِى يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى[1]

(٣) وقال غيره :

على أَنى راضٍ بأَنْ أَحْمِلَ الهوَى وأَخْرُجَ مِنْهُ لاَ علَىَّ ولا لِيَا[2]

---

(١) سلم : مرخم سلمى اسم امرأة .

(٢) فى على معنى الضرر وفى اللام معنى الانتفاع ، ومن هنا جاء الطباق بين الحرفين .

(٤) وقال البحترى :

يُقَيِّضُ لى مِنْ حيْث لا أَعْلَمُ النوى ويَسرى إلىَّ الشَّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلمُ[١]

(٥) وقال المُقَنَّع الكندِى[٢] :

لهُمْ جُلُّ مَالى إن تَتابَعَ لى غِنًى وإنْ قَلَّ مَالى لَمْ أُكلِّفْهمُ رِفْدَا[٣]

(٦) وقال تعالى :

« ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يعْلَمُونَ[٤]. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[٥] ».

(٧) وقال تعالى :

« لَهَا مَا كَسَبَتْ وعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ[٦] ».

(٨) وقال السموءل بن عادياء :

سلِى إن جِهلْتِ النَّاسَ عَنا وعَنْهُمُ فَلَيْسَ سَوَاءٌ عالمٌ وجَهُولُ[٧]

(٩) وقال الفرزدق يهجو بنى كُلَيْب :

قَبح الإلٰهُ بَنى كُلَيْبٍ إنَّهمْ لاَ يَغْدِرونَ ولا يَفُونَ بِجَـارِ[٨]

(١٠) وقال أبو صَخْر الْهُذَلِىُّ[٩] :

أَمَا والَّذِى أَبْكَى وأَضْحَكَ والذى أَمَاتَ وأَحْيا والذى أَمرُه الأَمرُ

لَقَدْ تركَتْنى أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرى خَلِيلَيْنِ مِنْها لايَروعُهُما الذعْر[١٠]

---

(١) يقول يقضى عليه بالبعاد فلا يدرى له سبباً ، ويغالبه الشوق فيعرف مصدره ومبعثه .

(٢) شاعر مقل من شعراء الإسلام فى عهد بنى أمية ، وكان له شرف ومروءة وسؤدد فى عشيرته ، وكان سمح اليد بماله لا يرد سائلا ، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهاً . وكان يخشى إذا حسر اللثام عن وجهه أن تصيبه العين ، ولذلك كان يمشى مقنع الوجه ملثما .

(٣) الرفد : العطاء والصلة ، يقول : إنى إذا ازددت مالا ازددت لهم بذلا ، وإن قل مالى لم أطلب منهم عطاء . (٤) أى لا يعلمون أمور الآخرة (٥) أى يعلمون أمور الدنيا الظاهرة .

(٦) أى للنفس ثواب ما كسبته من الطاعات ، وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصى .

(٧) يقول : إن كنت جاهلة حالنا فسلى الناس عنا يخبروك ، فليس العالم كالجاهل .

(٨) يذم بنى كليب بأنهم ضعاف لايستطيعون الغدر بأحد ، ويذمهم بأنهم لايفون بحقوق الجار .

(٩) أحد بنى هذيل وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان موالياً لبنى مروان متعصباً لهم ، وله فى عبد الملك مدائح .

(١٠) راعه : أفزعه ، والذعر : الخوف ، يقول فى البيتين : أقسم بمن بيده الحزن والسرور والإماتة والإحياء ، لقد جعلتنى الحبيبة فى حال إذا تأملت معها الوحوش وهى تأتلف فى مراعيها تمنيت أن أكون مثلها فى تآلفها ، لأنى أرى كل أليفين منها آمنين لا يفزعهما خوف من الوشاة والرقباء .

(١١) وقال الحمامى :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِى الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِى حَياةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا[١]

(٢)

اقرأ ما كتبه ابن بطوطة[٢] فى وصف مصر وبَيِّن جمالَ الطباقِ فى أَسلوبه :

هى مَجْمَعُ الوارد والصادر[٣] ، ومَحط رَحْل[٤] الضعيف والقادر ، بها ما شِئتَ من عالِم وجاهِل ، وجادٍّ وهازِل ، وحليم وسَفِيه ، ووضيعٍ ونبيه ، وشريف ومَشروف ، ومُنْكَر ومعروف ، تمُوج مَوْج البحر بسكَّانها ، وتكاد تَضِيق بهم على سَعَة مَكانها .

(٣)

حول طباق الإيجاب فى الأَمثلة الآتية إلى طباق السلب :

(١) العدوُّ يُظهر السيئة ويُخْفِى الحسنة .

(٢) ليس من الحزم أن تُحْسِنَ إلى الناس وتسىء إلى نَفْسك .

(٣) لا يليق بالمُحْسن أن يُعْطِىَ البعيد ويمْنَعَ القريب .

(٤)

حول طباق السلب فى الأَمثلة الآتية إلى طباق الإيجاب :

(١) يَعْلم الإنسانُ ما فى اليوم والأَمس ، ولا يعلم ما يأْتِى به الغد .

(٢) اللئيم يَعْفُو عند العجز ، ولا يعفو عند المقدرة .

(٣) أُحب الصدق ولا أُحب الكذبَ .

---

(١) يقول : إنه تأخر عن القتال إبقاء على حياته ، فرأى أن الإقدام أحفظ لحياته وأبقى لها لأنه يدفع الأعداء عن نفسه ويقتلهم قبل أن يقتلوه .

(٢) رحالة مشهور ، ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ ، وسافر إلى مصر والعراق والشام واليمن والهند والصين وغيرها من الأقطار الشرقية ، ثم رجع إلى المغرب وأخذ يملى رحلته المسماة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار) وقد ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية ، وتوفى سنة ٧٧٩ هـ .

(٣) محل اجتماع من يأتى إليها ومن ينزح عنها. (٤) الرحل : ما يجعل على ظهر البعير للركوب .

(٥)

(١) مثّل لكل من طباق الإيجاب وطباق السلب بمثالين من إنشائك .

(٢) هات مثالين لطباق الإيجاب ، ثم حولهما إلى طباق السلب .

(٣) هات مثالين لطباق السلب ، ثم حولهما إلى طباق الإيجاب .

(٦)

اشرح البيت الآتى ، وبيّن نوع الطباق به :

والشَّيْبُ يَنْهضُ فى الشَّبابِ كأَنه   لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَار[1]

(٣) المقابلة

الأَمثلة :

(١) قال صلى الله عليه وسلم للأَنصار :

«إنكم لَتكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَع ، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع ».

(٢) وقال خالد بنُ صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلا :

لَيْسَ له صديقٌ فى السِّر ، وَلَا عَدُوٌّ فى الْعلَانِيَةِ .

* * *

(٣) قال بعض الخلفاء : مَنْ أَقْعَدَتْه نِكايَةُ اللِّئام ، أَقَامَتْهُ إعانةُ الكِرام .

(٤) وقال عبد الملك بن مَرْوان[2] : مَا حَمِدْتُ نَفْسى عَلَى مَحبوب ابتدأْتُه بِعَجْز ، ولا لُمْتُها عَلَى مكروه ابتدأْتُه بحزم .

---

(١) البيت للفرزدق ، والمراد بالشباب هنا الشعر الأسود .

(٢) ملك من أعاظم ملوك بنى أمية ودهاتها ، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها ، ونقلت فى أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وهو أول من صك الدنانير فى الإسلام ، وكان واسع العلم والمعرفة ، توفى سنة ٨٦ هـ .

البحث :

إذا تأملت مثالى الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل فى صدره على معنيين ، ويشتمل فى عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب ، ففى المثال الأول بيّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم صِفتين من صفات الأنصار فى صدر الكلام وهما الكثرة والفزع ، ثم قابل ذلك فى آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب ، وفى المثال الثانى قابل خالد بن صفوان الصديق والسرّ بالعدو والعلانية .

أُنظر مثالى الطائفة الثانية تجد كلاًّ منهما مشتملاً فى صدره على أكثر من معنيين ، ومشتملاً فى العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب وأداءُ الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة .

والمقابلة فى الكلام من أسباب حسنه وإيضاح معانيه ، على شرط أن تتاح للمتكلم عفواً ، وأما إذا تكلفها وجرى وراءها ، فإنها تعتقل المعانى وتحبسها ، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة .

القاعدة :

(٧٣) الْمُقَابَلَةُ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثم يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ .

تمرينات

(١)

بيِّن مواقع المقابلة فيما يأتى :

(١) روت عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

عليك بالرِّفق يا عائشة ، فإنه ما كان فى شىء إلا زانه ، ولا نُزِع من شىء إلا شانه .

(٢) وقال بعض البلغاء : كدرُ الجماعة خيرٌ من صفْو الفُرْقة .

(٣) وقال تعالى : «يُحِلُّ لهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائث» .

(٤) وقال جرير :

وَبَاسِطُ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ وقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمالِهِ

(٥) وقال البحترى :

فإذا حارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزا وَإذا سالَمُوا أَعَزُّوا ذليــلا

(٦) وقال الشريف :

ومَنْظَرٍ كان بِالسَّرَّاءِ يُضْحِكُنى يَا قُرْب مَا عَادَ بِالضراءِ يُبْكِينى

(٧) وقال تعالى : «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فاتكمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتَاكمْ».

(٨) وقال تعالى : «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُه مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» .

(٩) وقال النابغة الجَعْدِىُّ :

فَتًى كانَ فِيه مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ على أَن فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

(١٠) وقال أبو تمام :

يَا أُمَّةً كانَ قُبْحُ الجوْرِ يُسْخِطها دَهْرًا فأَصْبَحَ حُسْن العَدْلِ يُرْضِيها

(١١) وقال أيضاً :

قَدْ يُنْعِمِ اللهُ بالبَلْوَى وَإنْ عظُمَتْ وَيَبْتَلِى اللهُ بعض القَوْم بِالنِّعَمِ

(١٢) وقال تعالى :

«فَأَمَّا منْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بخِلَ واسْتَغْنَى وكذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» .

(١٣) وقال المعرىّ :

يَا دهْرُ يا مُنجزَ إِيعادِهِ ومُخْلِفَ المأْمولِ مِنْ وَعْدِه

(٢)

ميز الطباق من المقابلة فيما يأْتى :

(١) «فأُولئك يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَناتٍ» .

(٢) وقال تعالى : «وَأَنَّه هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيَا» .

(٣) وقال تعالى : «فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ومَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجاً» .

(٤) وقال أَبو الطيب :

أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يشْفَعُ لى ... وَأَنْثَنِى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بى

(٥) الكريم واسع المغفرة ، إذا ضاقت المَعْذِرَة .

(٦) غَضَبُ الجاهِل فى قَوْله ، وغضبُ العاقل فى فِعْله .

(٧) وقال المنصور : لا تخرجُوا من عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية .

(٨) لَئِنْ ساءَنى أَنْ نِلتِنِى بِمَساءةٍ ... لَقَدْ سَرَّنِى أَنِّى خَطَرْتُ بِبالِكِ

(٩) وقال النابغة :

وَإِنْ هَبَطَا سَهلاً أَثارَا عَجَاجَةً ... وَإِنْ عَلَوَا حزْناً تَشَظَّتْ جَنَادِلُ[1]

(١٠) قال أَوْس بن حَجر :

أَطَعْنَا رَبنَا وعَصَاهُ قَوْمٌ ... فَذُقْنا طَعْمَ طَاعَتِنَا وَذَاقُوا

(٣)

إيت بمقابل الأَلفاظ الآتية ، ثم كون منها ومن أضدادها بعض أمثلة للطباق ، وبعض أَمثلة أُخرى للمقابلة :

قدَّم . الليل . الصحة . الحياة . الخير . المنع . الغنى .

---

(١) تشظت جنادل : تكسرت حجارة .

(٤)

(١) هات مثالين للمقابلة تقابل فى كل منهما معنيين بآخرين .

(٢) » » » » » » ثلاثة معان بثلاثة أخرى

(٥)

اشرح البيت الآتى ، وهل ترى أن الشاعر وُفق فيه إلى المقابلة ؟

لِمَنْ نَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ

(٤) حسن التعليل

الأمثلة :

(١) قال المعرى فى الرثاء :

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً[1] ... وَلَكِنَّهَا فِى وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ

(٢) وقال ابن الرومى :

أَماذُكاءُ فَلِمْ تَصْفَرَّ إِذْ جَنَحَتْ ... إِلَّا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ

(٣) وقال آخر فى قِلَّةِ المطر بمصر :

مَاقَصَّرَ الغيثُ عَنْ مِصْر وتُرْبَتِها ... طَبْعاً وَلَكِنْ تَعَدَّاكُمْ مِنَ الخَجَلِ

البحث :

يَرْثِى أبو العلاء فى البيت الأول ويبالغ فى أن الحزن على المرثى شَمِل كثيراً من مظاهر الكون ، فهو لذلك يدَّعى أن كلفةَ البدر ، وهى ما يظهر على وجهه من كدْرَة ، ليست ناشئة عن سبب طبيعى ، وإنما هى حادثة من اللطم على فراق المرثى .

ويرى ابن الرومى فى البيت الثانى أن الشمس لم تَصفَرَّ عند الجنوح

(١) الكلفة : كدرة تعلو الوجه .

إلى المغيب للسبب الكونى المعروف عند العلماء ، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح. وينكر الشاعر فى البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر ، ويتلمس لذلك سبباً آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يَعمُّها فضلُ الممدوح وجوده ؛ لأنه لايستطيع مباراته فى الجودوالعطاء.

فأنت ترى فى كل مثال من الأمثلة السابقة أن الشاعر أنكر سبب الشَّىء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذى يرمى إليه ، ويسمى هذا الأسلوب من الكلام **حسن التعليل** .

القاعدة :

(٧٤) حُسْنُ التَّعْلِيل أَنْ يُنْكِرَ الأَدِيبُ صَرَاحَةً أَوْ ضِمناً عِلَّةَ الشَّىْءِ الْمَعْرُوفَةَ ، وَيَأْتِى بعلَّةٍ أَدَبِيَّةٍ طَرِيفَة تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذِى يَقْصِدُ إِلَيْهِ .

تمرينات

(١)

وضح حُسْن التعليل فى الأبيات الآتية :

(١) قال ابن نباتة :

لمْ يزَلْ جُودُه يَجُورُ على الْمـالِ ... إلى أن كَسا النُّضَارَ اصْفِرارا

(٢) وقال شاعر يمدح ويُعلل لزلزَال حَدَث بمصر :

مَازُلزلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍيرادُبها ... وإنما رَقَصت مِنْ عَدْلِهِ طَرَبا

(٣) أَرَى بَدْرَ السَّماءِ يَلوحُ حيناً ... ويَبْدُو ثمَّ يلْتَحِفُ السَّحَابا

وذَاكَ لأَنَّه لمَّا تَبَدَّى ... وأَبْصَرَ وجهَكَ اسْتَحْيا وغابا

(٤) وقيل فى وصف فرس أَدْهَمَ ذِى غرَّة[1] :

وأَدْهم كالغُرَاب سَوَاد لوْنٍ ... يطِيرُ مَعَ الرياحِ ولاَ جنَاحُ

كَساهُ اللَّيْل شَمْلتَهُ وَوَلَّى ... فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيهِ الصَّبَاحُ[2]

(١) الأدهم : الأسود ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس . (٢) الشملة : ثوب يتلفف به .

(٥) وقال ابن نُباتة السعدى فى فرس مُحَجَّل[1] ذِى غُرة :

وأدْهَم يستَمِدُّ الليلُ مِنْهُ ... وتَطْلُع بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا[2]

سَرَى خَلْفَ الصَّباحِ يطِيرُ زَهْوًا ... وَيَطْوِى خَلْفَهُ الأَفلاكَ طيًّا[3]

فلما خَافَ وشْكَ الْفَوْتِ مِنْهُ ... تَشَبَّثَ بالْقَوَائِمِ والمُحَيَّا[4]

(٦) وقال الأُرَّجانى :

أَبْدَى صَنِيعُكَ تَقصير الزَّمَانِ ففِى ... وقْتِ الرَّبيع طُلوعُ الوَرْدِ مِن خَجَل

(٧) وقال بعضهم يرثى كاتباً :

اسْتَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفاً ... وقَضَتْ بِصِحّةِ ذَلِكَ الأَيام

فَلِذَاكَ سُودَتِ الدُّوِىُّ كآبَةً ... أسفاً عَلَيْكَ وشُقَّتِ الأَقلامُ

(٨) وقال آخرُ :

سبقَتْ إِلَيْكَ مِنَ الحدائق وَرْدَةٌ ... وأَتَتْكَ قَبْل أَوانِهــا تَطْفِيلاً[5]

طَمِعَتْ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَتْكَ فجَمَّعَتْ ... فَمهَــا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تقبيلا

(٩) لاَ يطْلُعُ البدْرُ إِلاَّمِنْ تَشَوُّقِهِ ... إِليكَ حَتى يُوَافى وجْهَكَ النضِرَا

(١٠) بكت فَقْدَكَ الدُّنْيا قَدِيماً بِدَمْعِها ... فكان لها فى سالِفِ الدَّهْرِ طُوفان[6]

(٢)

علل لما يأْتى بعلل أَدبية طريفة :

(١) دُنُوّ السحاب من الأَرض . (٣) كُسوف الشمس .

(٢) احتراق دار غابَ عنها أَهلوها (٤) نزول المطر فى يوم مات فيه عظيم .

---

(١) التحجيل : بياض فى قوائم الفرس . (٢) يقول : إن الفرس لشدة سواده يستمد الليل لونه ، ويشبه الشاعر غرة الفرس بالثريا . (٣) الزهو : الكبر والفخر ، والأفلاك : جمع فلك وهو مدار النجوم . (٤) وشك الفوت : سرعته ، والتشبث : التعلق ، يقول : إن الصباح لما خاف أن يسبقه الفرس تعلق بقوائمه ووجهه يمنعه السبق .

(٥) أتتك تطفيلا : أتتك بلا دعوة منك . (٦) الطوفان : المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شىء ، يريد الشاعر الطوفان الذى حدث فى زمن نوح عليه السلام .

(٣)

مثل بمثالين من إنشائك لحسن التعليل .

(٤)

اشرح البيتين الآتيين ، وبَيِّن ما فيهما من حسن التعليل ، وهما لأبى الطيب فى المدح :

أَلَسْتَ ابنَ الأُلَى سعدُوا وسَادوا ولَمْ يَلِدُوا امْرَأً إلاَّ نَجِيبا

ومَا ريحُ الرِّياض لَهَا ولٰكِنْ كَسَاها دَفنُهم فى التُّرْبِ طيبَا

(٥ و ٦) تأْكيدُ المدح بما يُشْبهُ الذَّم وعَكْسه

الأَمثلة :

(١) قال ابن الرومى :

لَيْسَ بهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِه

(٢) وقال آخر :

ولَا عَيْبَ فِى مَعْرُوفِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ
يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكِرِينَ عَنِ الشُّكْرِ

* * *

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّى من قُرَيْش » .

(٤) وقال النابغة الجَعْدِى :

فتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِى عَلَى الْمالِ بَاقِيَا

البحث :

لا أظنك تتردد فى أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح ولكنها وُضعت فى أسلوب غريب لم تَعْهَدْه ، ولذلك نرى أن نشرحه لك .

صَدَّرَ ابن الرومى فى المثال الأول كلامه بنفى العيب عامة عن ممدوحه ، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هى «سوى» فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيباً فى الممدوح ، وأن ابن الرومى سيكون جريئاً فى مصارحته به ، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفةَ مدح ، فراعه هذا الأسلوب ، ووجد أن ابن الرومى خدعه فلم يذكر عيباً ، بل أكّدَ المدح الاول فى صورة توهم الذم ، ومثل ذلك يقال فى المثال الثانى .

انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبى صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بصفة ممدوحة وهى أنه أفصح العرب ، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهِش السامع ، وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم سيذكر بعدها صفةً غير محبوبة ، ولكن سَرْعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أداة الاستثناء ، وهى أنه من قريش ، وقريش أفصح العرب غير منازَعين . فكان ذلك توكيدًا للمدح الأول فى أسلوب ألفَ الناس سماعه فى الذَّم ، وكذلك يقال فى المثال الأخير. ويسمي هذا الأسلوب فى جميع الأمثلة المتقدمة وما جاء على شاكلتها **تأكيد المدح بما يشبه الذم** .

وهناك أسلوبٌ لتركيد **الذم بما يشبه المدح** وهو كالأسلوب السابق ، له صورتان : فالأولى نحو : لا جمالَ فى الخطبة إلاَّ أنها طويلة فى غير فائدة ، والثانية نحو : القوم شِحاحٌ إلاَّ أنهم جُبناء .

القواعد :

(٧٥) تَأْكِيد الْمَدْحِ بِما يُشْبِهُ الذم ضربان :

(١) أَنْ يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَة ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ

(ب) أَن يُثْبَتَ لِشَىْءٍ صِفَةُ مَدْحٍ ، ويُؤْتَى بَعْدَها بِأَدَاةِ ٱسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى .

(٧٦) تأْكِيدُ الذَّم بما يُشْبِهُ المدحَ ضربان .

(ا) أَن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّة صِفَةُ ذَمٍّ .

(ب) أَنْ يُثْبَتَ لِشَىْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدَها بِأَدَاةِ ٱسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى .

تمرينات

(١)

اشرح ما فى الأَمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وبيِّن ضربه :

(١) قال ابنُ نُباته المِصْرىّ :

ولاَ عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنِّى قَصَدْتُهُ ... فَأَنْسَتْنِى الْأَيَّامُ أَهلاً ومَوْطِنَا

(٢) وُجُوهٌ كأَزْهَار الرِيَاضِ نَضَارةً ... ولَكِنَّها يَومَ الهِيَاجِ صُخُورُ

(٣) ولَا عَيْبَ فِيكُمْ غَيْرَ أَنَّ ضُيُوفَكُمْ ... تُعَاب بِنِسْيانِ الأَحِبَّةِ والوَطَنْ

(٤) هم فُرْسان الكلام إِلَّا أَنهم سادة أَمجاد .

(٢)

اشرح ما فى الأَمثلة الآتية من تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وبين ضربه :

(١) لا فضل للقوم إِلَّا أَنهم لا يعرفون للجار حقَّه .

(٢) الكلام كثير التعقيد سِوَى أَنه مُبْتَذَلُ المعانى .

(٣) لا حُسْنَ فى المنزل إِلَّا أَنه مُظْلم ضيق الحجرات .

---

(١) ومثل أداة الاستثناء فى ذلك أداة الاستدراك .

(٣)

بيِّن ما فى الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسِه :

(١) قال صَفِيُّ الدينِ الحِلِّيّ [1] :

لاَ عَيْبَ فِيهم سِوَى أَنَّ النزيلَ بِهِمْ   يَسْلُو عَنِ الأَهْلِ والأَوْطانِ والحَشَمِ

(٢) لا خير فى هؤلاءِ القوم إلا أنهم يعيبون زمانهم والعيبُ فيهم .

(٣) ولاَ عيْب فِيهِ لِامْرِئٍ غَيْرَ أَنَّهُ   تُعَابُ لَهُ الدُّنْيا ولَيْسَ يُعابُ

(٤) هو بذىءُ اللسان غير أن صدره مجمَعُ الأَضْغان .

(٥) تُعَدُّ ذُنوبِى عِنْدَ قَومٍ كَثِيرَةً   ولاَ ذَنْبَ لِى إلاَّ العُلَا والْفَضَائِلُ

(٦) لا عزة لهم بين العشائر غير أن جارهم ذليل .

(٧) الجاهل عدوٌّ نَفْسِهِ لكنَّهُ صديق السفهاء .

(٨) لا عيب فى الروض إلا أنه عليل النسيم .

(٤)

(١) امدح كتاباً قرأته وأكد المدح بما يشبه الذم .

(٢) امدح بَلَدًا زرتَه « « « « .

(٣) ذُمّ طريقاً سلكْتَها ، وأكد الذم بما يشبه المدح .

(٥)

اشرح البيتين الاتيين وبين فى أسلوبهما تأكيد المدح بما يشبه الذم :

مَدَحْتُكمْ بمديحٍ لَوْ مَدَحْتُ بِهِ   بَحْرَ الحِجَازِ لأَغْنَتْنِى جَوَاهِرُهُ [2]

لاَ عَيْبَ لِى غَيْرَ أَنِّى مِنْ دِيَارِكُم   وزَامِرُ الحَىِّ لَمْ تُطرِبْ مَزَامِرُه

(١) شاعر الجزيرة ، ولد ونشأ فى الحلة « بين الكوفة وبغداد » ثم تأدب ونظم الشعر وأجاده ، وهو من أئمة البديع المغالين فى استعماله بلا كثير تكلف ، وله ديوان شعر ، وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) يريد ببحر الحجاز بحر عمان حيث يغاص على اللؤلؤ .

(٧) أُسلوبُ الحكيم

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ » .

(٢) وقال ابن حجّاج [١] :

قالَ ثَقَّلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرارًا
قُلْتُ ثقلْتَ كاهِلِي بالْأَيادِي [٢]
قالَ طَوَّلْتُ قُلْتُ أَوْلَيْتَ طَوْلًا
قالَ أَبْرَمْتُ قُلْتُ حَبْلَ وِدَادى [٣]

البحث :

قد يخاطبك إنسان أَو يسأَلك سائل عن أَمر من الأمور فتجد من نفسك ميلًا إلى الإعراض عن الخوض فى موضوعِ الحديث أَو الإجابة عن السوال لأَغراض كثيرة منها أَن السائل أَعجزُ من أَن يفهم الجواب على الوجه الصحيح ، وأَنه يَجْمُل به أَن يَنْصرف عنه إلى النظر فيما هو أَنفع له وأَجدَى عليه ، ومنها أَنك تخالف محدثك فى الرأى ولا تريد أَن تجبهه برأيك فيه ، وفى تلك الحال وأَمثالها تَصرفه فى شيءٍ من اللباقة عن الموضوع الذى هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أَجدر وأَولى .

اُنظر إلى المثال الأَول تجد أَن أَصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سأَلوه عن الأَهِلة ، لِمَ تبْدو صغيرةً ثم تزداد حتى يتكاملَ نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى ، وهذه مسأَلة من مسائل علم الفلك يُحتاج فى فهمها إلى دراسة

---

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادى ، شاعر فكه مقتدر على المعانى التى يديرها ، كثير الهزل والفحش فى شعره وله ديوان شعر كبير ، توفى سنة ٣٩١ هـ . (٢) الكاهل : ما بين الكتفين .

(٣) طولت : أطلت الإقامة ، والطول : التفضل والإحسان ، أبرمت من معانيها : أمللت ، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل .

دقيقة طويلة . فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت فى المعاملات والعبادات ؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا ، وإلى أنَّ البحث فى العلوم يجب أن يُرْجأ قليلاً حتى تتوطد الدولة وتَسْتَقِرَّ صخرة الإسلام .

وصاحبُ ابن حجاج فى المثال الثانى يقول له قد ثقَّلْتُ عليك بكثرة زياراتى فيصرفه عن رأيه فى أدب وظُرْف وينقُل كلمته من معناها إلى معنى آخر ، ويقول له : إنك ثقَّلتَ كاهلى بما أغدقت علىَّ من نِعَم ، ومثل ذلك يقال فى البيت الثانى ، وهذا النوع من البديع يسمى : **أسلوب الحكيم** .

القاعدة :

(٧٧) أُسْلوبُ الحكيم تَلَقِّى الْمُخَاطَبِ بِغَيرِ ما يَتَرَقَّبه ، إمَّا بِتَرْكِ سوالِهِ والإجابةِ عن سؤال لم يَسْأَلْهُ ، وإمَّا بحَمْلِ كلامِهِ عَلَى غيرِ ما كانَ يَقْصِدُ ؛ إشارَةً إلى أنَّهُ كانَ يَنْبَغِى له أنْ يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى .

تمرينات

(١)

بَيِّن كيف جاء الكلام على أسلوب الحكيم فى الأمثلة الاتية :

(١) ولقد أتيتُ لصاحبى وسألته ... فى قَرْضِ دينارٍ لأمرٍ كانا
فأجابنى واللهِ دارى ما حوتْ ... عَيْناً فقلْتُ له ولاَ إنْساناً[1]

(٢) قيل لشيخ هَرِم : كم سِنك ؟ فقال : إنى أنْعَمُ بالعافية .

(٣) قيل لرجل : ما الغنى ؟ فقال : الجود أنْ تجودَ بالموجود .

(٤) سئل غريبٌ عن دينه واعتقاده ، فقال : أُحِبُّ للناس ما أُحِبُّ لنفسى

(٥) قيل لتاجر : كم رأس مالك ؟ فقال : إنى أمينٌ وثِقَةُ الناس بى عَظيمة

(١) العين : الذهب والباصرة ، والإنسان قد يراد به إنسان العين وقد يراد به أحد بنى آدم .

(٦) قال الحجاج للمهلب : أنا أطول أم أنت ؟ فقال : أَنْتَ أَطْوَلُ[١] وأنا أَبْسَط قامة .

(٧) سئل أحد العمّال ما ادخرتَ من المال ؟ فقال : لا شيء يعادل الصحة.

(٨) دخل سيد بن أَنَسٍ على المأمون فقال له المأمون : أَنْتَ السَّيِّد ، فقال : أَنتَ السيد وأنا ابن أَنَس .

(٩) طلبتُ مِنه دِرْهمــاً يوْماً فأَظْهرَ الْعَجَبْ
وقال ذَا مِنْ فِضَّــةٍ يُصْنَعُ لاَ مِنَ الذّهَبْ

(١٠) قال تعالى : « وَيَسْأَلونَكَ مَاذا يُنْفِقُون ، قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَين وَالأَقْرَبينَ وَاليَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابنِ السَّبِيل » .

(١١) لمّا توجّه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه من قِبَل أهلها رجل ذو تجربة ، فقال له خالد : فِيمَ أنت ؟ قال : فى ثيابى .فقال : علام أنت ؟ فأجاب : على الأرض ؛ فقال : كم سِنك ؟ قال : اثنتان وثلاثون ، فقال : أسألك عن شىء وتجيبنى بغيره ؟ فقال : إنما أجبتُ عما سألتَ .

(١٢) ولمّا نَعَى الناعِى سألنا مَخَشْيةً وللعَيْن خوف البيْنِ تَسكابُ أمطار
أَجاب قضى !قلنا قَضى حاجَةَ العُلَا فقال مَضَى ! قلنا بكل فَخار[٢]

(٢)

إِذَا سُئِلْت الأَسئلة الآتية وأردت أن تَتَّبِعَ أسلوبَ الحكيم فكيف تجيب ؟ :

(١) ما دَخْلُ أبيك ؟
(٢) أين منزلك ؟
(٣) ما ثمنُ هذه الحُلَّة ؟
(٤) كم سنةً قَضَيْت فى التعليم الثانوىّ ؟

---

(١) من معانى أطول أنها اسم تفضيل من الطول ضد القصر ؛ وأنها اسم تفضيل من الطَّول بمعنى التفضيل .
(٢) قضى من معانيها مات ، وأدى ، ومضى من معانيها مات ؛ ومضى بكذا ذهب به واختص .

(٣)

كوّن مثالين من إنشائك تجرى فيهما على أسلوب الحكيم .

(٤)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن النوع البديعىّ الذى فيهما :

جاءنى ابْنى يَوْماً وكنتُ أراهُ لِىَ رَيْحانَةً ومَصْدَرَ أُنْسِ
قال ما الروح ؟ قُلتُ إنك رُوحى قال ما النفْسُ ؟ قلتُ إناك نفسى

والحمد لله أولاً وآخِرًا

أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الثانى

فى القواعد والتطبيق لسنة ١٩٣٠ على النظام الجديد

(١) أسئلة الدور الأول

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية .

(١) هاتِ مثالين للهمزة التى يُطْلَب بها التصوّر . وآخرين للهمزة التى يطلب بها التصديق ، وأتِ بجواب الاستفهام فى كل مثال .

(٢) تكلم من علم البيان على البيتين الأخيرين من قول الشريف .

وَلَيْلَةٍ خُضْتُها عَلى عَجَلٍ وصُبْحُهَا بالظلامِ مُعْتَصِمُ
تَطَلَّعَ الفجرُ فى جوانِبِهَا وانْفَلَتَتْ من عِقَالها الظُّلَمُ
كأنما الدَّجْنُ فى تزاحمِهِ خَيْلٌ لها من بُروقِهِ لُجُم

الدَّجْن = الغَيْم

(٣) إذا علمت أنَّ «مَقِيلاً» و «مَقالاً» اسما مكان ، فما مضارع كل منهما ؟ مع بيان السبب .

(٤) أعرب البيت الاتى إعراباً موجزًا :

سلام إذا لم تكن لُقْيَة وإنَّ يدًا أن تردّوا السلاما

يدًا = نعمة

أجب عن سوالين من الأسئلة الآتية :

(١) خطب أبو بكر – رَضى الله عنه – فكان ممَّا قال :

« أيُّها الناس ! إنّى وُلِّيتُ عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأَعينونى . وإن زُغْتُ فَقَومونى » .

بيِّن سبب ما جاء فى الجمل السابقة من فصل ووصل .

(٢) تقول العرب فيمن جاهر قوماً بالعداوة :

«لبس لهم جِلْد النَّمِر ، وجِلْد الأَرْقَم ، وقَلَبَ لهم ظَهْرَ المِجَنِّ »

الأَرْقَم = الحيَّة — المجنّ = الترس

فَبِمَ تُسَمِّى هذا الضرب من التعبير فى علم البيان ؟ وما سرّ البلاغة فيه؟

(٣) تكلم من علم البيان على قول أعرابىّ :

« كنتُ فى شبابى أَعَضُّ على الملام ، عضَّ الجواد على اللجام ، حتَّى أَخذ المشيبُ بِعِنانى » .

(٤) هاتِ مثالاً للتورية فى وصف غناء الطيور ، مستعملا كلمة « عُود » .

(٢) أَسئلة الدور الثانى

أَجب عن الأَسئلة الأَربعة الآتية :

(١) قد ينادى القريب بأَداة لنداء البعيد ، وقد ينادى البعيد بأَداة لنداء القريب فما الأَغراض البلاغيَّة لذلك ؟ مَثِّل .

(٢) تكلم من علم البيان على قول الشريف فى الشيب :

ضوءٌ تَشَعْشَعَ فى سوادِ ذَوائبى ... لا أَستضىء به ولا أَستَصْبِحُ

بعتُ الشبابَ به على مِقَةٍ له ... بَيْعَ السليم بأَنه لا يربح

المِقَةُ : المحبة

(٣) يقولون إنَّ التصغير يردُّ الأَشياءَ إلى أُصولها ، فكيف توضِّح ذلك بتصغير ما يأْتى :

دارٌ — صيغة — موقِظ.

(٤) أَعرب البيت الآتى إعراباً موجزًا :

ليت الغمام الذى عندى صواعقه ... يُزِيلهنَّ إلى من عنده الدِّيَمُ

أجب عن سوالين من الأَسئلة الآتية .

(١) بيِّن الغرض من الاستفهام فى البيت الآتى :

وهل نافعى أَن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أَمّلت منك حجاب ؟

(٢) بيِّن فى البيت الآتى الجمل الأَصلية والفرعيَّة ، ونوعها من حيث الاسميَّة والفعليَّة . وإذا كان به إطناب فأَين هو ؟ وما اسمه ؟

ليس الزمانُ وإن حَرَصتَ مُسالماً خُلقُ الزَّمان عداوة الأَحرار

(٣) اجعل كلاًّ مما يأتى مشبهاً به فى تشبيه تمثيل :

(ا) الهلال يبدو صغيرًا ، ثمّ ينمو ، ثمَّ يصير بدرًا .

(ب) العواصف تدع النبات الضعيف ، وتقصف الأَشجار العالية .

(٤) اكتب سجعتين فى آخر كل منهما كلمة « الراحة » وسمّ هذا النوع .

فهرس

تراجم الأعلام الواردة فى حاشية كتاب البلاغة الواضحة

الفهرس

علم البيان

علم المعانى

علم البديع

أسئلة امتحان الشهادة الثانوية للقسم الثانى

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة على مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤

٤٥٠ م.